فدك في التــاريخ

الإمام الشهيد محمد باقر الصدر

قدس سره

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٧ : –

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد الله فدك في التأريخ بقلم الأمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين و صحبه المنتجبين .

باكورة النتاج العلمي الخطب للأمام الشهيد الصدر (فدك في التاريخ) : بين يدي الكتاب والمؤلف وهذه الدراسة تعد بحق بلحاظ الفترة التاريخية التي كتبت فيها دراسة رائدة وأصيلة ، وذلك . قدس سره لاعتمادها المنهج ا لعلمي الحديث ليس في

الاستقصاء و التتبع لحيثيات القضية ، ومستنداتها فحسب ، بل في عمق التحليل ، ورضانة الاسلوب ، ودقة المناقشة ، وقوم المنطق . إن النظر إلى الدراسات سواء منها التي صدرت في تلك الفترة أي قبل نصف قرن تقريبا أو الفترة اللاحقة فيما

يتعلق بمثل هذه الموضوعات الحساسة ، سيتبين منها مدى السبق العلمي والأنجاز التا ريخي الذي حققه الأمام الشهيد في دراسته التي بين يديك أيها القارئ العزيز . ولا غرابة في ذلك فالسيد الشهيد تفجرت عبقريته منذ وقت مبكر ، ثم تطورت

مواهبه سريعا ليرفد المكتبة الأسلامية بدراساته المبتكرة في مختلف حقول المعرفة الأنسانية وعلوم الشريعة الأسلامية . لقد كان الأمام الشهيد الصدر عالما ربانيا ومجتهدا ورعا وعبقريا فذا ، وقد أغنى الفكر الأسلامي المعاصر ، وأمده بعناصر الحيوية والاستمرار ، حتى ليصح القول : إن

الأمام

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٨ : –

الشهيد كان اطروحة الأسلام المتجدد . يدلك على ذلك أنه قدس سره قد نهض بمسؤوليا ت فكرية وجهادية بما لم ينهض بمثله إلا القائل في تاريخ الأسلام المجيد ، إذ كان في جهاد متواصل ، وسعي دائب من أجل تحرير وعي الامة المسلمة من

اطروحة الغرب الكافر ، وتحرير مستقبلها من هيمنة الاستكبار العالمي وعملائه ، حتى توجت حياته . الشريفة بالشهادة في سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمة الأسلام

منهجا علميا حدد معالمه (فدك في التاريخ)المنهج والكتاب : اعتمد السيد الشهيد في هذا الكتاب ورأي أنه لابد من اعتماد في مثل هذه الدراسات التاريخية ذات الأبعاد السياسية . ويقوم هذا المنهج على اسس المو ضوعية التي عبر عنها (بالتجرد

عن المرتكزات) ، والتتبع والاستقصاء والتأمل (الأناة في الحكم) ثم (الحرية في التفكير) . ويعتبر الشهيد الصدر هذه الامور شروطا أساسية لأقامة بناء تاريخي محكم لقضايا الأسلاف ، ترتسم فيه خطوط حياتهم التي عرفوها في أنفسهم ، أو

عرفها الناس عنهم يومئذ . . . ثم يرى قدس سره (أن ذلك للبناء ينبغي أن يتسع لتأملا ت شاملة لكل موضوع من موضوعات ذلك الزمن المنصرم يتعرف على لونه التاريخي والاجتماعي ، ووزنه في حساب الحياة العامة أو في حساب

الحياة الخاصة التي يعنى بها الباحث ، وتكون مدارا لبحثه كالحياة الدينية والأخلاقية والاجتماعية وإذا كان هذا هو الهدف من مثل هذه الدراسات التاريخية ، وذاك هو . (*) (والسياسية

* (هامش) *

(*) راجع الفصل الثالث . (*)

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٩ : –

إطارها العام ، فإن الشهيد ينبه هنا إلى ضرورة (أن تستمد هذه التأملات كيانها النظري من عالم الناس المنظور ، لا من عالم تبتدعه العواطف والمرتكزات ، وينشئه التعبد والتقليد) . ثم يضع قيدا على مثل تلك التأملات وهو أن لا تستند إلى خيال

مجنح يرتفع بالسفاسف إلى الذروة ، وتبنى عليها نتائج غير سليمة . وأخيرا يؤ كد السيد الشهيد ضرورة الالتزام بمنطق البحث العلمي لا بما نستلهمه من عواطفنا ومورو ثاتنا . ثم ينبه إلى حقيقة خطيرة في حقل الدراسات هي تحول المؤرخ إلى

روائي يستوحي من دنيا ذهنه ، لا من الوقائه التاريخية . إن معالم هذا المنهج يكشف عن وعي وقد رأيت السيد الشهيد وهو يخوض غمار . مبكر وعميق باصول البحث العلمي وشروطه الأساسية هذا البحث متسلحا بمنطق العلم ، متحمسا لمنطق

الحق ، مستمسكا بما يهديه إليه منطق الأحداث . وهو في كل ذلك يستند إلى ما نقله المؤرخون ، . وما نطقت به الوثيقة التاريخية ، ويستنتج وفق الضوابط والاصول المعتبرة

لمحة موجزة عن فصول الكتاب : تناول الشهيد الصدر (قضية فدك) بالمنظور الفاطمي أي بأبعادها المتشعبة في جوانب الحياة الأسلامية ، وفي آماد الزمان اللاحق ، ولذلك اعتبرها أي (قضية فدك) ثورة شاملة ، فعرض لخلفية (الحديث) أي

ما اعتمل في ذهن الزهراء (سلام الله عليها) من أفكار ، وما دار في خلدها من ذكريات عظيمة في حياة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ها هي تصحو على واقع مؤلم مرير يموج بالمحنة وبالفتنة التي لا تقف عند حدود ، فيحفزها ذلك إلى أن تطلق صرختها ، وتعلن عن الشروع بالمجابهة ، ثم ينتقل السيد الشهيد إلى الفصل الثاني (فد ك في معناها

الحقيقي ومعناها الرمزي) فيعرف بها ، ثم ينتقل معها عبر مراحل التاريخ المتعاقبة منذ أن انتزعت من يد الزهراء عليها السلام ، إلى آخر ما استقر عليه أمرها في أواخر زمن العباسيين . ثم يتحول إلى الفصل الثالث الذي عنونه بـ (تاريخ

الثورة) فيتحدث عن الثورة ممهدا لها بالكلام على شروط البحث واسلوب كتابة تاريخ الفرد والامة مشيدا بعصر صدر الأسلام وما تحقق فيه من إنجازات . يعرج بعد ذلك إلى كتاب العقاد (فاطمة والفاطميون) فينعى عليه المعالجة المبتسرة

لمثل تلك القضية الخطيرة ومحاولته – أي العقاد – حصرها في نطاق ضيق متابعا في مناقشته لها منطق التعبد والتقليد للمتوارث من غير روية أو إعمال فكر . ثم ينطلق بعد ذلك ليحدد أبعاد (فدك) ، بأنها ليست منازعة في أمر محدود وحق مغصوب ، بل هو يراها أكبر من ذلك بكثير ،

قال : (إننا نحس إذا درسنا الواقع التار يخي لمشكلة فدك ومنازعاتها أنها مطبوعا بطابع الثورة التي . . . توفرت بواعثها ، ونتبين أن هذه المنازعات كانت في وا قعها ودوافعها ثورة على السياسة العليا) .

ادرس ما شئت من المستندات) :ثم يقدم تبريرا منطقيا لتناوله القضية بكل تلك الأبعاد فيقول التاريخية الثابتة للمسألة ، فهل ترى نزاعا ماديا ؟ أو ترى اختلافا حول (فدك) بمعناها المحدود ، وواقعها الضيق ؟ أو ترى تسابقاا على غلات أرض

كلا ، بل هي الثورة على اسس الحكم ، والصرخة التي أرادت الزهراء عليها السلام أن تقتلع بها . . . الحجر الأساس الذي بني عليه التاريخ بعد يوم السقيفة . . .) . ومن هنا يبدأ السيد الشهيد في رصد الأحداث قبل يوم السقيفة ثم يلاحقها مناقشا ،

مسلطا الضوء على الزوايا والخفايا سواء فيما يتعلق بالمواقف أو بالشخصيات ، مبرزا مواقف الأمام على عليه السلام التي أملتها

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١١ : –

المصلحة الأسلامية العليا . . . ينتقل السيد الشهيد في فصل آخر إلى (الخطاب الفاطمي) فيحلل ، ويدين المقاصد والأغراض ، وينطلق خلال ذلك ليكشف عن خصائص ومواقف أمير المؤمنين عليه السلام ، تلك الخصائص والميزات التي

تؤهله دون غيره لاحتلال المركز القيادي الأول والمرجعية الكفرية والسياسية لامة الأسلام . ثم يختم ناقش فيه (قضية فدك) مبينا ملا بساتها وحيثياتها ، (الكتاب بفصل عنونه بـ (محكمة الكتاب مثيرا الأشكالات العميقة على مباني القوم في حرمان

الزهراء (سلام الله عليها) من حقها الثابت ، مستندا في كل ذلك إلى النصوص الثابتة قرآنا وسنة ، وإلى ما يقتضيه قانون الشرع ومنطق الحق والأنصاف . ذلك باختصار لمحات عن فصول الكتاب الذي سيجد فيه القارئ العزيز تحليلا عميقا ،

ومناقشات رصينة ، باسلوب بليغ ، مع التزام بشرائط البحث ومقتضاته . كلمة في المقام : إن قضية إذن ليست مسألة (نحلة) انتزعت من يدها ، لأسباب (فدك في منظور الزهراء (سلام الله عليها اختلقتها السلطة أو بررتها ، بل إن القضية أخطر

من ذلك بكثير ، إنها تشكل بادرة خطيرة في حياة الدولة الأسلامية وفي حياة التجربة الأسلامية الوليدة ، تلك التجربة وهذه الدولة التي ناضى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم نضالا مريرا في سبيل إقامتها على شرعة الحق وميزان العدل ،

وأراد لها أن تمتد في أقطار الأرض وآماد الزمان . إن الخطورة تلك تكمن في استعجال (النخبة) التي يفترض أنها المسؤولة عن حماية التجربة ، استعجالها للحصول على (المكاسب

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٢ : –

الانية) ، ومحاولة الاستحواذ على المراكز القيادية بغض النظر عن الاصول المقررة ، والنصوص المعتبرة . وذلك يعني أول ما يعني فتح الباب واسعا أمام أصحاب المطامع والنهازين ، أو على حد تعبير ا م المؤمنين عائشة : إن الخلافة – حينئذ

ولذلك فإن تصدي الزهراء (سلام الله عليها) لمثل تلك الحالة ، إنما . (*)سينالها البر والفاجر كان للحيلولة دون تحقق النتائج الخطيرة والمتوقعة . ومن هنا كان الهدف في (إثارة فدك) بأبعادها الشمولية وتبصير الامة قيادات وأفرادا وجماهير

بتلك المخاطر الرهيبة التي تنتظرهم في حال الاندفاع بهذا الاتجاه ، وقد صرحت الزهراء (سلام الله عليها) بذلك قائلة : (أما لعمر الله لقحت فنظرة ريثما تنتج ، ثم احتلبوها طلاع العقب دما عبيطا . . . هنا ك يخسر المبطلون ، ويعرف التالون

غب ما أسسه الأولون ثم طيبوا من أفسكم نفسا ، واطمئنوا للفتنة جأشا وأبشروا بسيف صارم ، وهرج في ضوء ذل كله . (* *) (. . . شامل . واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيدا ، وجمعكم حصيدا يمكن فهم الحماس الذي يبديه السيد الشهيد ،

والتأثير البالغ الذي يعتمل في داخله ، إذ هو يحلل ويناقش ويستنتج (بالمنظور الفاطمي) وبدافع الحرص على نقاء الأسلام .

لقد كان السيد الشهيد في طول البحث (يترضى) على الصحابة ويقدر مآثرهم في دنيا ا لأسلام ، ولكنه لا يغمض النظر عن موارد الخلل ، ومواطن الزلل في مسيرة القوم . ولا نرى أن هناك تقاطعا ، إ ذ أن الأكثر أهمية ، والأولى

* (هامش) *

(*) الدر المنثور / السيوطي ٦ : ١٩ – المطبعة الميمنية بمصر / ١٣١٤ هـ .

(* *) بلاغات النساء / ابن أبي طاهر طيفور : ٣٣ . (*)

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٣ : –

بالمراعاة هو سلامة التجربة الأسلامية وأصالتها ونقاؤها . ثم لو أراد البعض أن يتأول – ولا مانع من التأويل – إلا أنه غير ملزم لنا فضلا عن كونه خلاف الواقع ، ولنتذكر على سبيل المثال هنا قولة الخليفة الثاني بشأن خالد بن الوليد في قضية مالك

. بن نويرة ، قال الخليفة عمر بن الخطاب لأبي بكر : (إن خالدا قتل امرءا مسلما ونزا على امرأته على حد تعبير الطبري فتأول الخليفة الأول لخالد ذلك الفعل ، إلا أن ذلك التأويل لم (*) (. . يحقق القناعة عند الخليفة عمر ، وأضمرها في

نفسه ثم تصرف لا حقا استنادا إلى (الواقعة) ، نفسها فعزل خالدا حالما تسلم الحكم . إذن نحن غير ملزمين بقبول كل تأويل على أن تأشير الخطأ ، وتسجيل الوقائع ، واستنطاقها لا شك أمر يجنبنا النتائج الوخيمة ، وهو بالتالي يصب في صالح خدمة

مسيرة الامة الأسلامية وأصالة الأسلام . وهذا ما كان يهدف إليه الأمام الشهيد من دراسته القيمة ، وذلك هو الذي حفزنا إلى القيام بالتحقيق العلمي لهذه الدراسة ، وقد ظهر لنا أن كل إشارة وردت ، أو قول أو تحليل أو استنتاج ، إنما يستند إلى منطق

الأحداث ، وإلى المصادر الموثوقة ، والوقائع المشهورد ، وسيرة القوم . وسوف يظهر للقارئ الكريم من خلال هذا (التحقيق) أنه ليس هناك مجازفة في قول ، ولا تحامل في رأي ، ولا استنتاج من غير دليل . عملي في التحقيق : ظهر كتاب (فدك في التاريخ) في طبعتين ، اولا هما طبعة

المطبعة الحيدرية في

* (هامش) *

(*) تاريخ الطبري ٢ : ٢٨٠ – الطبعة المحققة (محمد أبو الفضل إبراهيم) . (*)

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٤ : –

النجف الأشرف لصاحبها الفاضل الشيخ محمد كاظم الكتبي ، وذلك سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ / م ثم ظهرت الطبعة الثانية بعد ذلك بسنوات ، . . . وهذه الطبعة – في الواقع – جيدة وقليلة الأخطاء وهي طبعة دا ر التعارف البيروتية التي أشرت إليها ،

ولم أعثر على طبعات اخرى . ولما كانت الطبعة الحيدرية أدق ولأن السيد الشهيد اطلع عليها بنفسه ، فقد اعتمدتها أصلا . ولقد قمت بتخريج الايات والروايات من مظانها كما وثقت الأحالات التي أوردها السيد الشهيد ووضعت إزاءها كلمة (الشهيد

تمييزا لها من التخريجات والتعليقات والأضافات التي اقتضاها التحقيق ، ورأيت من المناسب ذكرها (. وقد رجعت في كل ذلك إلى الكتب والمصادر المعتمدة عند إخواننا أهل السنة ليتضح جليا أن المطالب التي حققت تعتمد وتستند على هاتيك

المصادر . ثم يبقى بعد ذلك أصالة التحليل ، والتزام المنهج العلمي في العرض والمناقشة وأخيرا فإني في الوقت الذي أحمد الله تعالى . والاستدلال من ميزات السيد الشهيد في هذه الدراسة على توفيقه وتسديده في إنجاز هذا العمل أرجوه تعالى أن

يجعله خالصا لوجهه ، كما أسأله تعالى أن يوفق العاملين في مركز الغدير للدراسات الأسلامية لخدمة الأسلام العزيز ومذهب أهل البيت عليهم السلام . ولهم الشكر والثناء . والحمد لله أولا وآخرا (د . عبد الجبار شرارة دكتوراه في الدراسات الأسلامية والدينية (استاذ مساعد

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٥ -

أيها اقارئ الكريم : هذا إنتاج اغتنمت له عطلة من عطل الدراسة في جامعتنا الكريمة – النجف الأشرف – وتوفرت فيها على درس مشكلة من مشاكل التاريخ الأسلامي ، وهي (مشكلة فدك) ،

والخصومة التاريخية التي قامت بين الزهراء (صلوات الله عليها) والخليفة الأول (رضي الله تعالى عنه) .

وكانت تتبلور في ذهني استنتاجات وفكر ، فسجلتها على أوراق متفرقة ، حتى إذا انتهيت من مطالعة مستندات القضية ورواياتها ، ودرس ظروفها ، وجدت في تلك الوريقات ما يصلح خميرة لدراسة كافية للمسألة ، فهذبتها ورتبتها على

فصول ، اجتمع منها كتيب صغير ، وكان في نيتي الاحفاظ به كمذكر عند الحاجة ، فبقي عندي سنين مذكرا ومؤرخا لحياتي الفكرية في الشهر الذي تمخض عنه ، غير أن حضرة الوجيه الفاضل الشيخ محمد كا ظم الكتبي ابن الشيخ صادق الكتبي

أيده الله) طلب مني تقديمه إليه ليتولى طبعه . وقد نزلت على رغبته تقديرا لأياديه البيضاء على (المكتبة العربية والأسلامية . والكتاب هو ما تراه بين يديك . المؤلف

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٧ : –

الفصل الأول على مسرح الثورة

* فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، والموعد القيامة ، الزهراء عليها السلام .وعند الساعة يخسر المبطلون

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٩ : –

تمهيد

وقفت لا يخالجها شك فيما تقدم عليه ، ولا يطفح عليها موقفها الرهيب بصبابة من خوف أو ذعر ، ولا يمر على خيالها الذي كان جديا كلم الجد ، تردد في تصميمها ، ولا تساورها هاجسة من هواجس القلق والارتباك ، وها هي الان في أعلى القمة

من استعدادها النبيل ، وثباتها الشجاع على خطتها الطموح ، واسلوبها الدفاعي ، فقد كانت بين بابين لا يتسعان لتردد طويل ، ودرس عريض ، فلا بد لها من اختيار أحدهما وقد اختارت الطريق المتعب من الطريقين الذي يشق سلوكه على المرأة

بطبيعتها الضعيفة لما يكتنفه من شدائد ومصاعب تتطلب جرأة أدبية ، وملكة بيانية مؤثرة ، وقدرة على صب معاني الثورة كلها في كلمات وبراعة وفنية في تصوير النقمة ، ونقد الأوضاع القائمة تصويرا ونقدا يجعلان في الألفاظ معنى من حياة ،

وحظا من خلود ، لتكون الحروف جنود الثورة الخيرة ، وسندها الخالد في تاريخ العقيدة ، ولكنه الأيمان والاستبسال في
سبيل الحق الذي يبعث في النفوس الضعيفة نقائضها ، ويفجر في الطبائع المخذولة قوة لا تتعرض لضعف ولا تردد . ولذا كان اختيار الثائرة لهذا الطريق مما يوافق طبعها ، ويلتئم مع شخصيتها المركزة على الانتصار للحق ، والاندفاع في سبيله .

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٢٠ : –

وكانت حولها نسوة متعددات من حفدتها ونساء قومها كالنجوم المتناثرة يلتفون بها بغير انتظام ، وهن جميعا سواسية في هذا الاندفاع والاتياع ، وقائد تهن بينهن تستعرض ما ستقدم عليه من وثبة كريمة تهيئ لها العدة والذخيرة ، وهي كلما استرسلت

في استعراضها ازدادت رباطة جأش ، وقوة جنان ، وتضاعفت قوة الحق التي تعمل في نفسها ، واشتدت صلابة في الحركة ، وانبعاثا نحو الدفاع عن الحقوق المسلوبة ، ونشاطا في الاندفاع ، وبسالة في الموقف الرهيب ، كأنها قد استعارت في

لحظتها هذه قلب رجلها العظيم ، لتواجه به ظروفها ا لقاسية وما حاكت لها يد القدر . أستغفر الله بل ما قدر لها المقدر الحكيم من مأساة مروعة تهد الجبل وتزلزل الصعب الشامخ .

وكانت في لحظتها الرهيبة التي قامت فيها بدور الجندي المدافع شبحا قائما ترتسم عليه سحابة حزن مرير ، وهي شاحبة اللون ، عابسة الوجه ، مفجوعة القلب ، كاسفة البال ، منهدة العمد ، ضعيفة الجانب ، مائعة الجسم ، وفي صميم نفسها ،

وعميق فكرها ، المتأملة إشعاعة بهجة ، وإثارة طمأنينة ، وليس هذا ولا ذاك استعذابا لأمل باسم ، أو سكونا إلى حلم لذيذ ، أو استقبالا لنتيجة حسنة مترقبة ، بل كانت الأشعاعة إشعاعة رضا بالفكرة ، والاستبشار بالثورة ، وكانت الطمأنينة ثقة بنجاح

، لا هذا الذي نفيناه بل على وجه آخر ، وإن في بعض الفشل الاجل إيجابا لنجاح عظيم وكذلك وقع ، فقد قامت امة برمتها تقدس هذه الثورة النائرة بل تستمد منها ثباتها واستبسالها في هذا الثبات . ودفعتها أفكارها في وقفتها تلك إلى الماضي القريب يوم كانت

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٢١ : –

موجهات السعادة تلعب بحياتها السعيدة ، ويوم كان نفس أبيها يصعد ، ونسمه يهبط . وكان بيتها . قطب الدولة العتيد ، ودعامة المجد الراسخة المهيمنة على الزمن الخاشع المطيع

ولعل أفكارها هذه ساقتها إلى تصور أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وهو يضمها إلى صدره الرحيب ، ويحوطها بحنانه العبقري ، ويطبع على فمها الطاهر قبلاته التي اعتادتها منه ، وكانت غذاءها . صباحا ومساء

ثم وصلت إلى حيث بلغت سلسلة الزمن ، فيواجهها الواقع العابس وإذا بالزمان غير الزمان وها هو بيتها مشكاة النور ورمز النبوة والأشعاعة المتألقة المحلقة بالسماء ، مهدد بين الفينة والفينة ، وما هو ، وهارونها (2)، ووزيرها المخلص (1)ابن عمها الرجل الثاني في دنيا الأسلام باب علم النبوة الطاهرة عن بداية (4)المرجى ، الذي لم يكن لينفصل ببدايته (3)

* (هامش) *

(١) إشارة إلى الحديث المشهور : (أنا مدينة العلم وعلي بابها) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١ : ٦٤ طبعة دار الفكر ، وصححه السيوطي في جمع الجوامع ، وأخرجه الترمذي في صحيحة بلفظ آخر ، وراجع : التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم / الشيخ منصور علي ناصب ٣ : ٣٣٧ ، قال : رواه الترمذي والطبراني وصححه الحاكم .

(٢) إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم – في حديث الدار أو الأنذار – المشهور : (إن هذا – والأشارة إلى علي – أخي ووزيري وخليفتي فيكم . . .) راجع الرواية الكاملة في تاريخ الطبري ٣ : ٢١٨ – ٢١٩ طبعة المطبعة الحسينية بمصر ، وراجع تفسير الخازن ٣ : ٣٧١ طبعة دار المعرفة .

(٣) إشارة إلى الحديث المتواتر : (أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا

نبي بعدي) راجع : صحيح البخاري ٥ : ٨١ باب ٣٩ ، صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٣ ، التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم / الشيخ منصور علي ناصف ٣ : ٣٣٣ .

(٤) راجع : نهج البلاغة ، خطبة ١٩٢ ضبط الدكتور صبحي الصالح ص ٣٠٠ – ٣٠١ قال الأمام علي عليه السلام : (وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا ولد . . . ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الأسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي وأشم ريح النبوة . . .) . (*)

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٢٢ : –

النبوة المباركة ، فهو ناصرها في البداية ، وأملها الكبير في النهاية ، يخسر أخيرا خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتقوض معنوياته النورية التي شهدت لها السماء والأرض جميعا ، وتسقط سوا بقه الفذة عن الاعتبار ببعض المقاييس

التي تم اصطلاحها في تلك الأحايين . وهنا بكت بكاء شقيا ما شاء الله لها أن تبكي ، ولم يكن بكاء بمعناه الذي يظهر على الأسارير ، ويخيم على المظاهر ، ت بل كان لوعة الضمير ، وارتباع النفس ، وانتفاضة الحسرات في أعماق القلب ،

وختمت طوافها الأليم هذا بعبرتين ندتا من مقلتيها . ثم لم تطل وقفتها ، بل اندفعت كالشرارة الملتهبة وحولها صويحباتها حتى وصلت إلى ميان الصراح ، فوقفت وقفتها الخالدة ، وأثارث حربها التي استعملت فيها ما يمكن مباشرته للمرأة في الأسلام ، وكادت ثورتها البكر أن تلتهم الخلافة لولا أن عاكسها شذوذ الظرف ، وتناثرت أمامها العقبات .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٢٢ -

(أجواء الحدث)

تلك هي الحوراء الصديقة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ريحانة النبوة ، ومثال العصمة ، وهالة النور المشعة ، وبقية الرسول بين المسلمين – في طريقها إلى المسجد – وقد خسر ت أبوة في أزهى الابوات في تاريخ الأنسان ، وأفيضها

حنانا ، وأكثرها إشفاقا ، وأوفرها بركة . وهذه كارثة من شأنها أن تذيق المصاب بها مرارة الموت أو أن تظهر له الموت حلو اشهيا ، وأملا نيرا .

وهكذا كانت الزهراء حينما لحق أبوها بالرفيق الأعلى ، وطارت روحه الفرد إلى جنان ربها راضية مرضية . ثم لم تقف الحوادث المرة عند هذا الحد الرهيب ، بل عرضت الزهراء لخطب آخر قد لا يقل تأثيرا في نفسها الطهور ، وإيقادا

لحزنها ، وإذ كاء لأساها عن الفاجعة الاولى كثيرا وهو خسارة المجد الذي سجلته السماء لبيت النبوة على طول التاريخ ، وأعني بهذا المجد العظيم سيادة الامة وزعامتها الكبرى ، فقد كان من تشريعات السماء أن يسوس آل محمد صلى الله عليه

وآله وسلم امته وشيعته ، لأنهم مشتقاته ومصغراته ، وإذا بالتقدير المعاكس يصرف مراكز الزعامة عن أهلها ، ومناصب الحكم عن أصحابها ،

* (هامش) *

(١) كان تخطيط السماء أن يتولى علي وأهل البيت الأطهار إمامة الامة وزعامتها ، وقد كانت هناك عملية إعداد واسعة النطاق تربويا وفكريا لمثل هذه الخلافة والزعامة ، بل كان هناك منهج واضح تتوالى خطواته بهذا الاتجاه وتشهد لذلك نصوص ا لقرآن الكريم والسنة المطهرة ، بما لا يدع مجالا للشك .

(راجع بحثا مستفيضا حول هذه النقطة في كتاب نشأة التشيع والشيعة للشهيد الصدر رضوان الله تعالى عليه) بتحقيق الدكتور عبد الجبار شرارة) ، فقد أثبتنا بالأرقام والشواهد والنصوص هذه الحقيقة بالرجوع إلى المصادر المعتمدة والروايات الصحيحة عند إخواننا أهل السنة

وراجع أيضا على سبيل المثال : تاريخ الطبري ٣ : ٢١٨ – ٢١٩ الطبعة الاولى / المطبعة الحسينية بمصر ،
تاريخ الخلفاء / السيوطي : ١٧١ ،
الصواعق المحرقة / ابن حجر : ١٢٧ ،
مختصر تاريخ ابن عساكر / ابن منظور ١٧ : ٣٥٦ وما بعدها . (*)

ويرتب لها خلفاء وامراه من عند نفسه . وبهذا وذاك خسرت الزهراء أقدس النبوات والابوات ، وأخلد الرئاسات والزعا مات بين عشية وضحاها ، فبعثها نفسها المطوقة بآفاق من الحزن والأسف إلى المعركة ومجالاتها ، ومباشرة الثورة والأستمرار عليها .

والحقيقة التي لا شك فيها أن أحدا ممن يوافقها على مبدئها ونهضتها لم يكن ليمكنه أن يقف موقفها ، ويستبسل استبسالها في الجهاد إلا وأن يكون أكلة باردة ، وطعمة رخصيصة للسطات الحاكمة التي كانت قد بلغت يومذاك أوج الضغط والشدة .

فعلى الأشارة عتاب ، وعلى القول حساب ، وعلى الفعل عقاب ، فلم يكن ليختلف عما نصطلح عليه اليوم بالأحكام العرفية ، وهو أمر ضروري للسلطات يومئذ في سبيل تدعين أساسها ، وتثبيت بنيانها .

، وصورته الناضرة ، (2)أما إذا كان القائم المدافع بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبضعته فهي محفوظة لا خوف عليها بلا شك ، باعتبار هذه النبوة المقدسة ، ولما للمرأة في الأسلام عموما من حرمات وخصائص تمنعها وتحميها من الأذى

* (هامش) *

(١) راجع : أخبار السقيفة في تاريخ الطبري ٢ : ٢٤٤ طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ، وما دار فيها ، ومن ذلك قول الخليفة الثاني : (اقتلوا سعد بن عبادة . . .) .

(٢) جاء في الحديث الصحيح : (فاطمة بضعة مني من اذاها فقد اذاني . . . .) .

راجع : التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٣ : ٣٥٣ عن البخاري ومسلم وغير هما ،

صحيح البخاري – باب فضائل الصحابة ٥ : ٨٣ باب ٤٣ حديث رقم ٢٣٢ طبعة دار القلم – بيروت ،

صحيح مسلم ٤ : ١٩٠٢ حديث رقم ٢٤٩٣ باب فضائل الصحابة – فضائل فاطمة عليها السلام . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٢٥ -

: مستمسكات الثورة

ارتفعت الزهراء بأجنحة من خيالها المطهر إلى آفاق حياتها الماضية ودنيا أبيها ا لعظيم التي استحالت حين لحق سيد البشر بربه إلى ذكرى في نفس الحوراء متألقة بالنور ، تمد الزهراء في كل حين بألوا ن من الشور والعاطفة والتوجيه ، وتشيع

في نفسها ضروبا من البهجة والنعيم ، فهي وإن كانت قد تأخرت عن أبيها في حساب الزمن أياما أو شهورا ، ولكنها لم تنفصل عنه في حساب الروح والذكرى لحظة واحدة . وإذن ففي جنبيها معين من القوة لا ينضب ، وطاقة على ثورة كاسحة لا تخمد ، وأضواء من نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونفس محمد تنير لها الطريق ، وتهديها سواء السبيل .

وتجردت الزهراء في اللحظة التي اختمرت فيها ثورة نفسها عن دنيا الناس ، واتجهت بمشاعرها إلى تلك الذكرى الحية في نفسها لتستمد منها قبسأ من نور في موقفها العصيب ، وصارت تنادي : إلي يا صور السعادة التي أفقت منها على شقاء لا

حدثيني وأفيضي علي من نورك الألهي . . . يصطبر عليه . . . إلي يا أعز روح علي ، وأحبها إلي ، كما كنت تصنعين معي دائما . إلي يا أبي أناجيك إن كانت المناجاة تلذ لك ، أبثك همومي كما اعتدت أن أفعل في كل حين ، واخبرك أن تلك الظلال الظليلة التي كانت تقيني من لهيب هذه الدنيا لم يعد لي منها شئ .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٢٦ -

قد كان بعدك أبناء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب إلي يا ذكريات الماضي العزيز حدثيني حديثك الجذاب ورددي على مسامعي كل شئ لاثيرها حربا لا هوادة فيها على هؤلاء الذين ارتفعوا أو ارتفع الناس بهم إلى منبر أبي ومقامه ، ولم يعرفوا

والتخريب (2)لا ل محمد صلى الله عليه وآله وسلم حقوقهم ، ولا لبيتهم حرمة تصونه من الأحراق ، ذكريني بمشاهد أبي وغز واته ألم يكن يقص علي ألوانا من بطولة أخيه وصهره واستبساله في ، تفوقة على سائر الأنداد ، ووقوفه (3)الجهاد

إلى صف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أشد الساعات ، وأعنف المعارك التي فر فيها الشجعان . أيصح بعد هذا أن نضع أبا بكر على منبر (4)فلان وفلان وتقاصر عن اقتحامها * (النبي وننزل بعلي عما يستحق من مقام ؟ ! * (هامش

* (هامش) *

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦ : ٣١٢ .

(٢) إشارة إلى التهديد بإحراق بيت الزهراء عليها السلام ، راجع : الأمامة والسياسة / ابن قتيبة : ١٢ ، والطبري في تاريخه ٢ : ٢٣٣ طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ، شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ٦ : ٤٧ – ٤٨ ، رواية تنص على أن عمر بن الخطاب جاء إلى بيت فاطمة عليها السلام في عصابة في رجال من الأنصار ونفر من المهاجرين ، فقال : (والذي نفسي بيده لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقن البيت عليكم) .

(٣) راجع تاريخ الطبري ٢ : ٢٥ و ٦٥ و ٦٦ ، عندما قتل علي عليه السلام طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين . . . وقتل أصحاب الألوية ، أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من المشركين ، فقال : (احمل عليهم) ، فحمل عليهم ففرق جمعهم ، وقتل عمرو الجمحي ، ثم أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من المشركين ، فقال لعلي : (احمل عليهم) ، فحمل عليهم ففرق جمعهم ، وقتل شبية بن مالك . فقال (جبريل) عليه السلام : (يا رسول الله إن هذه للمواساة) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إنه مني وأنا منه) ، فقال (جبريل) : (وأنا منكما . . .) .

(٤) راجع : رواية سعيد بن أبي وقاص في صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٣ ، صحيح الترمذي ٥ : ٥٩٦ ، الصواعق المحرقة / ابن حجر : ١٤٣ فهي تنطق بهذا المعنى . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٢٧ -

آية (1)خبريني يا ذكريات أبي العزيز أليس أبو بكر هو الذي لم يأتمنه الوحي على تبليغ للمشركين ؟ وانتخب للمهمة عليا ، فماذا يكون معنى هذا إن لم يكن معناه أن عليا هو الممثل الطبيعي للأسلام الذي يجب أن تستند إليه كل مهمة لا يتيسر للنبي

صلى الله عليه وآله وسلم مباشرتها ؟ إني لأتذكر بوضوح ذلك اليوم العصيب الذي أرجف فيه ما (2)المرجفون لما استخلف أبي عليا على المدينة وخرج إلى الحرب ، فوضعوا لهذا الاستخلاف شاؤوا من تفاسير ، وكان علي ثابتا كالطود لا

تزعزعه مشاغبات المشاغبين ، وكنت احاول أن يلتحق بأبي ليحدثه بحديث الناس ، وأخيرا لحق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم رجع متهلل الوجه ضاحك الأسارير ، تحمله الفرحة إلى قرينته الحبيبة ليزف إليها بشرى لا بمعنى من معاني

الدنيا بل بمعنى من معاني السماء . فقص علي كيف استقبله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورحب ، وهارون موسى (3) (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) : به وقال له كان شريكا له في الحكم ، وإماما لامته ، ومعدا لخلافته ، فلابد أن يكون هارون محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليا للمسلمين وخليفته فيهم من بعده .

* (هامش) *

(١) إشارة إلى قصة تبليغ سورة براءة ، وهي في مسند الأمام أحمد بن حنبل ١ : ٣ طبعة دار صادر – بيروت ،
وفي الكشاف / الزمخشري ٢ : ٢٤٣ ، قال : (روي أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق لتبليغ سورة براءة ، هبط جبرائيل عليه السلام فقال : (يا محمد لا يبلغن رسالتك إلا رجل منك ، فأرسل عليا . . .) . راجع الرواية أيضا في صحيح الترمذي ٥ : ٥٩٤ .

(٢) راجع تفصيل الرواية في تاريخ الطبري ٢ : ١٨٢ – ١٨٣ ، البداية والنهاية / ابن كثير الدمشقي ٧ : ٣٤٠ .

(٣) راجع : التاج الجامع للاصول في احاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم / الشيخ منصور علي ناصف ٣ : ٣٣٢ ،
قال : رواه الشيخان والترمذي ، صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٣ ، خصائص النسائي : ٤٨ – ٥٠ . (الشهيد) (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٢٨ -

ولما وصلت إلى هذه النقطة من أفكارها المتدفقة صرخت إن هذا هو الأنقلاب الذي أنذر تعالى في كتابه إذ قال :

1) (و ما محمد إلا رسول رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)) .

فها هم الناس قد انقلبوا على أعقابهم ، واستولى عليهم المنطق الجاهلي الذي تبادله الحزبان في السقيفة حين قال أحد هما : نحن أهل العزة والمنعة ، واولوا العدد والكثرة ، وأجابه الاخر : من ينازعنا سلطان محمد صلى الله (عليه وآله وسلم ونحن أولياؤه وعترته) (2)

وسقط الكتاب والسنة في تلك المقاييس ثم أخذت تقول : يا مبادئ محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي جرت في عروقي منذ ولدت كما يجري الدم في العصب ، إن عمر الذي هجم عليك في بيتك المكي الذي أقامه النبي مركزا لدعوته قد هجم على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في دارهم وأشعل النار فيها أو كاد . . (3) .

يا روح امي العظيمة إنك ألقيت علي درسا خالدا في حياة النضل الأسلامي بجهادك الرائع في صف سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وسوف أجعل من نفسي خديجة علي في محنته القائمة 4)) .

* (هامش) *

(١) آل عمران / ١٤٤ .

(٢) راجع تفصيل ذلك في أخبار السقيفة / تاريخ الطبري ٢ : ٢٣٤ وما بعدها ، شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ٦ : ٦ – ٩ ، فقد نقلا هذه المحاورات والمداخلات .

(٣) في هذه المسألة التي كثر فيها الكلام ، راجع : تارى الطبري ٢ : ٢٣٣ ، أخرج عن ابن حميد بسند قال : أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه رجال من المهاجرين فقال : (والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة . . .) .

(٤) إشارة إلى موقف زوج الرسول الكريم خديجة الكبرى التي خصها الله بالكرامة في موقفها من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند محنته مع قريش في تكذيبه . (*)

لبيك لبيك يا اماه إني أسمع صوتك في أعماق روحي يدفعني إلى مقاومة الحاكمين . فسوف أذهب إلى أبي بكر لأقول له :

لقد جئت شيئا فريا ، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد (، والموعد القيامة

) (1) ،

لقد لقحت فنظرة) : ولانبه المسلمين إلى عواقب فعلتهم والمستقبل القاتم الذي بنوه بأيديهم وأقوال ريثما تحلب ، ثم احتلبوها طلاع القعب دما عبيطا ، وهناك يخسر المبطلون ، ويعرف التالون ، غب ما أسس الأولون) (2) .

ثم اندفعت إلى ميدان العمل وفي نفسها مبادئ محمد صلى الله عليه وآله وسلم وروح خديجة ، وبطولة علي ، وإشفاق عظيم على هذه الامة من مستقبل مظلم .

* (هامش) *

(1) و (2) راجع : من خطبتها : شرح نهج البلاغة 16 : 212 .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٢٩ -

طريق الثورة :

لم يكن الطريق الذي اجتازته الثائرة طويلا ، لأن البيت الذي انبعث منه شرر الثورة ولهيبها هو بيت علي عليه السلام ، بالطبع الذي كان يصطلح عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيت النبوة (لا يفصل بينهما سوى جدار (4)، وهو جار المسجد (3

* (هامش) *

(٣) ينقل الرواة والمؤرخون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استمر أكثر من ستة أشهر بعد نزول آية التطهير يقف على باب دار علي وفاطمة عليها السلام ، عند ذهابه إلى الصلاة وهو يقول : (السلام عليكم يا أهل البيت) ،

راجع : مسند الأمام أحمد بن حنبل ٣ : ٢٨٥ طبعة دار صادر ، المستدرك على الصحيحين / الحاكم ا

لنيسابوري ٣ : ١٥٨ .

(٤) في مسند أحمد بن حنبل ٤ : ٣٦٩ ، وفي تاريخ ابن كثير ٣ : ٣٥٥ ، كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبواب شارعة في المسجد ، فأمر رسول الله بسد هذه الأبواب إلا باب علي عليه السلام . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٣٠ -

واحد ، فلعلها دخلته من الباب المتصل به ، والمؤدي إليه من دارها مباشرة ، كما يمكن أن يكون مدخلها الباب العام . ولا يهمنا تعيين أحد الطريقين ، وإن كنت ارجح أنها سلكت الباب العام لأن سياق الرواية التاريخية التي حكت لنا هذه الحركة

الدفاعية يشعر بهذا ، فإن دخولها من الباب الخاص لا يكلفها سيرا في نفس المسجد ، ولا اجتياز رسول (1)طريق بينه وبين بيتها ، فمن أين للراوي أن يصف مشيها ، وينعته بأنه لا يخرم مشية الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو لم يكن معها بالطبع

؟ ! ولو تصورنا أنها سارت في نفس المسجد ، لا ينتهي سيرها بالدخول على الخليفة ، وإنما يبتدي بذلك ، لأن من دخل المسجد صدق عليه أنه دخل على من فيه ، وإن سار في ساحته من أن . الراوي يجعل دخولها على أبي بكر متعقبا لمشيها ، وهذا وغيره يكون قرينة على ما استقرىناه

: النسوة

من قومها وحفدتها كما سبق ذكره (2)وتدلنا الرواية على أن على الزهراء كانت تصحب معها نسوة ، ومرد هذه الصحبة وذلك الاختيار للباب العام إلى أمر واحد ، وهو تنبيه الناس ، وكسب التفاتهم باجتيازها في الطريق مع تلك النسوة ليجتمعوا في المسجد ، ويتهافتوا حيث ينتهي بها السير بقصد التعرف

* (هامش) *

(١) راجع الرواية ، وأن مشيها لا يخرم مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١١ .

(٢) المصدر السابق . (*)

على ما تريده ، وتعزم عليه من قول أو فعل ، وبهذا تكون المحاكمة علنية تعيها أسماع عامة المسلمين في ذلك الوسط المضطرب .

ظاهرة :

سبق أن الرواية التاريخية جاءت تنص على أن الزهراء لم تكن لتخرم في مشيتها مشية أبيها صلى الله عليه وآله وسلم .

ويتسع لنا المجال لفلسفة هذا التقليد الدقيق ، فلعله كان طبيعة قد جرت عليها في موقفها هذا بلا تكلف ولا اعتناء خاص ،
ولى هذا ببعيد فإنها (صلوات الله عليها) قد اعتادت أن تقلد أباها وتحاكيه في سائر أفعالها وأقوالها ، ويحتمل أن يكون لهذه

المشابهة المتقنة وجه آخر بأن كانت الحوراء قد عمدت في موقفها يو مذاك إلى تقليد أبيها في مشيه عن التفات وقصد فأحكمت التمثيل ، وأجادت المحاكاة ، فلم تكن لتخرم مشية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأرادت بهذا أن تستولي على

المشاعر وإحساس الناس ، وعواطف الجمهور بهذا التقليد البا هر الذي يدفع بأفكار هم إلى سفر تصير ، وتجول لذيذ في الماضي القريب حيث عهد النبوة المقدس ، والأيام الضواحك التي قضوها تحت ظلال نبيهم الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

، فيكون في إرهاف هذه الأحساسات وصقلها صقلا عاطفيا ما يمهد للزهراء الشروع في مقصودها ، ويوطئ القلوب لتقبل دعوتها الصارخة ، واستجابة استنقاذها الحزين ، ونجاح محاولتها اليائسة أو شبه اليائسة .

ولذا ترى أن الراوي نفسه أثرت عليه هذه الناحية أيضا من حيث يشعر أو لا يشعر ، ودفعه تأثره هذا إلى تسجيلها فيما سجل من تصوير الحركة

الفاطمية :

صرخة باركتها الزهراء ، ورعتها السماء فكانت عند اندلاعها محط الثقل الذي تركز عنده الحق المذبوح ، والمحاولة اليائسة التي شاعت حولها ابتسامات أمل استحالت بعد انتهائها إلى عبوس مرير ، ويأس ثابت ، واستسلام فرضته حياة الناس الواقعة يو مذاك .

ثورة لم تكن لتقصد بها الثائرة نتيجة لها على ما يطرد في الثورات الاخرى بقدر ما كانت تهدف إلى تثبيت الثورة لذاتها ، وتسجيلها فيما يسجله التاريخ في سطوره البارزة ، فكانت الثورة على هذا بنفسها تؤدي الغرض كاملا غير منقوص ، وهذا ما وقع بالفعل وبه نفسر الحكم بنجاحها وإن فشلت كما سنوضحه في موقع آخر من هذا الكتاب .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٣٣ -

الفصل الثاني فدك بمعناها الحقيقي والرمزي

بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس * تنظيم صبحي الصالح : / آخرين . (قرين الزهراء) أمير المؤمنين عليه السلام (نهج البلاغة ٤١٦)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٣٥ -

فدك : قرية في الحجاز ، بينها وبين المدينة يومان ، وقيل ثلاثة ، وهي أرض يهودية (: الموقع) . (1) في مطع تاريخها المأثور

وكان يسكنها طائفة من اليهود ، ولم يزالوا على ذلك حتى السنة السابعة حيث قذف الله بالرعب في قلوب أهليها فصالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النصف من فدك وروي أنه صالحهم عليها كلها(2) .

(: فدك في أدوارها الاولى)

وابتدأ بذلك تاريخها الأسلامي ، فكانت ملكا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنها مما لم

* (هامش) *

(١) راجع معجم البلدان / ياقوت الحموي ٤ : ٢٣٨ – ٢٣٩ طبعة دار احياء التراث العربي – بيروت – ١٣٩٩ .

(٢) راجع : فتوح البلدان / البلاذري : ٤٢ – ٤٦ ، وما كان من أمر فدك ومصالحة أهلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النصف ، وأنها خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب .

وفي ص ٤٦ قال : (ولما كانت سنة عشر ومائتين أمر أمير المؤمنين المأمون عبد الله بن هار ون الرشيد ، فدفعها إلى ولد فاطمة ، وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة . . .) . (*)

، وبقيت عندها حتى توفي أبوها (2)، ثم قدمها لابنته الزهراء (1)يوجف عليها بخيل ولا ركاب على حد تعبير صاحب الصواعق - صلى الله عليه وآله وسلم فانتزعها الخليفة الأول رضى عنه الله وأصبحت من مصادر - (3)المحرقة

(4)المالية العامة وموارد ثروة الدولة يو مذاك ، حتى تولى عمر الخلافة فدفع فدكا إلى ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبقيت فدك عند آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن تولى الخلافة عثمان بن عفان فأقطعها مروان بن الحكم

، ثم يهمل التاريخ أمر فدك بعد عثمان فلا يصرح عنها بشئ . ولكن الشئ (5)على ما قيل الثابت هو أن أمير المؤمنين عليا انتزعها من مروان على تقدير كونها عنده في خلافة عثمان – كسائر ما نهبه بنو امية في أيام خليفتهم.

(: في عهد أمير المؤمنين)

وقد ذكر بعض المدافعين عن الخليفة في مسألة فدك أن عليا لم يدفعها عن المسلمين بل اتبع فيها سيرة أبي بكر ، فلو كان يعلم بصواب الزهراء وصحة دعواها ما انتهج ذلك المنهج . ولا اريد أن أفتح الجواب بحث التقية على مصراعيه واوجه بها

* (هامش) *

(١) كما هو مقتضى النص القرآني : (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) الحشر / ٦ .

(٢) فتوح البلدان : ٤٤ .

(٣) راجع : الصواعق المحرقة : ٣٨ .

(٤) راجع : شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٣ .

(٥) فتوح البلدان : ٤٤ ، إن بني امية اصطفوا فدك وغيروا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، شرح نهج البلاغة ١٦ : ٢١٦ . (*)

عمل أمير المؤمنين ، وإنما أمنع أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام قد سار على طريقة الصديق ، فإن التاريخ لم يصرح بشئ من ذلك ، بل صرح بأن أمير المؤمنين كان يرى فدك لأهل البيت ، كما سيأتي (1)وقد سجل هذا الرأي بوضوح في رسالته إلى عثمان بن حنيف .

فمن الممكن أنه كان يخص ورثة الزهراء وهم أولادها وزوجها بحاصلات فدك ، وليس في هذا التخصيص ما يوجب إشاعة الخبر ، لأن المال كان عنده وأهله الشرعيون هو وأولاده .

كما يحتمل أنه كان ينفق غلاتها في مصالح المسلمين برضى منه ومن أولاده عليهم الصلاة والسلام ، بل لعلهم أو قفوها وجعلو ها من الصدقات العامة (2) .

* (هامش) *

(١) راجع : شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٠٨ ، رسالة الأمام عليه السلام إلى عثمان بن حنيف – (نعم كانت في أيدينا فدك . . .) .

(٢) وهذا أقرب الاحتمالات ، لأن الأول تنفيه رسالة أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف إذ يقول : (وسخت عنها نفوس آخرين . . .) ، والثالث يبعده قبول الفاطميين لفدك . (الشهيد) (*)

ولما ولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة أمعن في السخرية وأكثر من (: في فترة الامويين) الاستخفاف بالحق المهضوم ، فأقطع مروان بن الحكم ثلث فدك ، وعمر بن عثمان ثلثها ، ويزيد حتى (3)ابنه ثلثها الاخر ، فلم يزالوا يتدا ولونها

خلصت كلها لمروان بن الحكيم أيام ملكه ، ثم صفت لعمربن عبد العزيز بن مروان ، فلما تولى هذا الأمر رد فد ك على ولد فاطمة عليها السلام وكتب إلى واليه على

* (هامش) *

(٣) راجع : شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٦ ،

فتوح البلدان / البلاذري : ٤٦ ، قال : (ثم ولي معاوية فأقطعها (فدك) مروان بن الحكم . .) . (*

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٣٨ -

إن فاطمة عليها السلام قد ولدت في) : المدينة أبى بكر بن عمرو بن حزم يأمره بذلك ، فكتب إليه آل عثمان وآل فلان وفلان فعلى من أرد منهم ؟ فكتب إليه : أما بعد ، فإني لو كتبت إليك أمرك أن تذبح بقرة لسألتني ما لونها فإذا ورد عليك كتابي هذا

، فنقمت بنو أمية ذلك على عمر (1) (فاقسمها في ولد فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام . (بن عبد العزيز وعاتبوه فيه وقالوا له : (هجنت فعل الشيخين

) : وقيل : إنه خرج إليه عمر بن قيس في جماعة من أهل الكوفة فلما عاتبوه على فعله قال لهم إنكم جهلتم وعلمت ، ونسيتم وذكرت ، إن أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حدثني عن أبيه عن : جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال

وإن فدك كانت صافية (2) (فاطمة بضعة مني يسخطها ما يسخطني ، ويرضيني ما أرضاها) على عهد أبي بكر وعمر ثم صار أمرها إلى مروان فوهبها لعبد العزيز أبي فورثتها أنا واخوتي عنه فسألتهم أي يبيعوني حصتهم منها فمن بائع وواهب حتى استجمعت لي فرأيت أن أردها على ولد ، (فاطمة

ثم انتزعها يزيد بن عبد . (3) (فقالوا له : (فإن أبيت إلا هذا فامسك الأصل واقسم الغلة ، ففعل . (4)الملك من أولاد فاطمة فصارت في أيدي بني مروان حتى انقرضت دولتهم

* (هامش) *

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبى الحديد ١٦ : ٢٧٨ .

(٢) الحديث أخرجته الصحاح والمسانيد ، راجع : التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم / الشيخ منصور علي ناصف ٣ : ٣٥٣ ، الطبعة الثالثة – مكتبة ياموق – استانبول ١٣٨١ هـ . وقد مر تخريجه أيضا .

(٣) راجع : فتوح البلدان / البلاذري : ٤٦ ، شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٧٨ .

(٤) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٦ . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٣٩ -

فلما قام أبو العباس السفاح بالأمر وتقلد الخلافة ردها على عبد الله بن (: في فترة العباسيين) الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ثم قبضها أبو جعفر المنصور في خلافته من بني الحسن . (1)وردها المهدي بن المنصور على الفاط ميين ثم قبضها موسى بن المهدي من أيديهم

هـ) 210) ولم تزل في أيدي العباسيين حتى تولى المأمون الخلافة فردها على الفاطميين سنة وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة : (أما بعد ، فإن أمير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والقرابة به

أولى من استن سنته ، ونفذ أمره ، وسلم لمن منحه منحة وتصدق عليه بصدقة منحته وصدقته ، وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته وإليه في العمل بما يقربه إليه رغبته ، وقد كان رسو ل الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطى فاطمة بنت رسول الله

فدك وتصدق بها عليها ، وكان ذلك أمرا ظاهرا معروفا لا اختلاف فيه بين آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تزل تدعي منه ما هو أولى به من صدق عليه ، فرأى أمير المؤمنين أن يردها إلى ورثتها ويسلمها إليهم تقربا إلى الله تعالى بإقامة

حقه وعدله وإلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتنفيذ أمره وصدقته ، فأمر بإثبات ذلك في دواوينه والكتاب به إلى عماله ، فلئن كان ينادى في كل موسم بعد أن قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يذكر كل من كانت له صدقة أو

هبة أو عدة ذلك فيقبل قوله وتنفذ عدته ، إن فاطمة (رضي الله عنها) لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل

* (هامش) *

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٦ – ٢١٧ . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٤٠ -

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها ، وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري – مولى أمير المؤمنين – يأمره برد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها وما فيها من الرقيق

والغلات وغير ذلك ، وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لتولية فاعلم ذلك من . أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها

رأى أمير المؤمنين وما ألهمه الله من طاعته ووفقه له من التقرب إليه وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأعلمه من قبلك ، وعامل محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري ، وأعنهما على ما في عمارتها ومصلحتها ووفور غلاتها إن شاء الله والسلام (1) .

ولما بويع المتوكل على الله انتزعها من الفاطميين وأقطعها عبد الله بن عمر البا زيار وكان فيها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده الكريمة ، فوجه عبد الله بن عمر البازيار رجلا يقال له : بشران بن أبي امية الثقفي

وينتهي آخر عهد الفاطميين بفدك . (2) إلى المدينة فصرم تلك النخيل ثم عاد إلى البصرة ففلج بخلافة المتوكل ومنحه إياها عبد الله ابن عمر البازيار (3) .

هذه إلمامة مختصرة بتاريخ فدك المضطرب الذي لا يستقيم على خط ولا يجمع على قاعدة ، وإنما حاكت أكثره الأهواء ، وصاغته الشهوات على ما اقتضته المطامع والسياسات الوقتية ، وعلى هذا فلم يخل هذا التاريخ من

* (هامش) *

(١) فتوح البلدان / البلاذري : ٤٦ – ٤٧ .

(٢) و (٣) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٧ . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٤١ -

اعتدال واستقامة في أحايين مختلفة ، وظروف متباعدة ، حيث توكل فدك إلى أهلها وأصحابها الأولين . ويلاحظ أن مشكلة فدك كانت قد حازت أهمية كبرى بنظر المجتمع الأسلامي وأسياده ، ولذا ترى حلها يختلف باختلاف سياسة الدوة ، ويرتبط

باتجاه الخليفة العام نحو أهل البيت مباشرة ، فهو إذا استقام اتجا هه ، واعتدل رأيه ، رد فدك على الفاطميين ، وإذا لم يكن كذلك وقع انتزاع فدك في أول القائمة من أعمال ذلك الخليفة .

القيمة المعنوية والمادية لفدك :

ويدلنا على مدى ما بلغته فدك من القيمة المعنوية في النظر الأسلامى قصيدة دعبل الخزاعي التي أنشأها حينما رد المأمون فدك ومطلعها : أصبح وجه الزمان قد ضحكا * برد مأمون هاشم فدكا)1 وقد بقيت كلمة بسيطة وهي أن فدك لم تكن (

أرضا صغيرة أو مزرعا متواضعا كما يظن البعض ، بل الأمر الذي أطمئن إليه أنها كانت تدر على صاحبها أموالا طائلة تشكل ثروة مهمة وليس علي بعد هذا أن احدد الحاصل السنوي منها وإن ورد في بعض طرقنا الارتفاع به إلى أعداد عالية جدا .

ويدل على مقدار القيمة المادية لفدك امور :

أبا بكر من ترك فدك للزهراء لضعف المالية العامة مع (2)ما سيأتي من أن عمر منع (الأول) احتياجها إلى التقوية لما يتهدد الموقف من حروب الردة وثروات العصاة .

* (هامش) *

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٧ .

(٢) راجع : السيرة الحلبية ٣ : ٣٩١ ، شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٣٤ . (*)

ومن الجلي أن أرضا يستعان بحاصلاتها على تعديل ميزانية الدولة ، وتقوية مالياتها في ظروف حرجة كظرف الثورات والحروب الداخلية لا بد أنها ذات نتاج عظيم .

قول الخليفة لفاطمة في محاورة له معها حول فدك : (إن هذا المال لم يكن للنبي صلى (الثاني) الله عليه وآله وسلم وإنما كان مالا من أموال المسلمين يحمل النبي به الرجال وينفقه في سبيل الله ، فإن تحميل الرجال لا يكون إلا بمال مهم تتقوم به نفقات الجيش (1) .

، وإعطائه لكل من يزيد ومروان وعمرو بن (2)ما سبق من تقسيم معاوية فدك أثلاثا (الثالث)

عثمان ثلثا ، فإن هذا يدل بوضوح على مدى الثروة المجتناة من تلك الأرض ، فإنها بلا شك ثروة عظيمة تصلح لأن توزع على امراه ثلاثة من أصحاب الثراء العريض والأموال الطائلة .

، وتقدير بعض نخليها بنخيل الكوفة في (3)التعبير عنها بقرية كما في معجم البلدان (الرابع) القرن السادس الهجري كما في شرح النهج لابن أبي الحديد (4) .

* (هامش) *

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٤ .

(٢) المصدر السابق ١٦ : ٢١٦ .

(٣) معجم البلدان / الحموي ٤ : ٢٣٨ ،

فتوح البلدان : ٤٥ ، قال : حدثنا سريج بن يونس قال : أخبر إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن الزهري في قول الله تعالى : (فما

أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) قال : هذه قرى عربية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدك وكذا وكذا .

(٤) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٣٦ . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٤٣ -

الفصل الثالث تاريخ الثورة

قد كان بعدك أنباء وهنبثة * لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
أبدت رجال لنا نجوى صدورهم * لما مضيت وحالت دونك الترب
212 : 16شرح نهج البلاغة

صبت علي مصائب لو أنها * صبت على الأيام صرن لياليا
قد كنت أرتع تحت ضل محمد * لا اختشي ضيما وكان جماليا
واليوم أخضع للذليل وأتقي * ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا
الزهراء عليها السلام

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٤٥ -

إذا كان التجرد عن المرتكزات ، والأناة في الحكم ، والحرية في التفكير (منهج دراسة التاريخ) شروطا للحياة الفكرية المنتجة ، وللبراعة الفنية في كل دراسة عقلية مهما يكن نوعها ، ومهما يكن موضوعها ، فهي أهم الشروط الأساسية لأقامة

بناء تاريخي محكم لقضايا أسلافنا ترتسم فيه خطوط حياتهم التي صارت ملكا للتاريخ ، ويصور عناصر شخصياتهم التي عرفوها في أنفسهم أو عرفها الناس يومئذ فيهم ، ويتسع لتأملات شاملة لكل موضوع من موضوعات ذلك الزمن المنصرم

يتعرف بها على لونه التاريخي والاجتماعي ووزنه في حساب الحياة العامة ، أو في حساب الحياة الخاصة التي يعني بها الباحث ، وتكون مدارا لبحثه ، كالحياة الدينية ، والأخلاقية ، والسياسية إلى غير ذلك من النواحي التي يأتلف منها المجتمع

الأنساني على شرط أن تستمد هذه التأملات كيانها النظري من عالم الناس المنظور لا من عالم تبتدعه العواطف والمرتكزات ، وينشئه التعبد والتقليد ، ولا من خيال مجنح يرتفع بالتوافه والسفاسف إلى الذروة ، ويبني عليها ما شاء من تحقيق ونتائج ، ولا من قيود لم يستطع الكاتب أن يتحرر عنها . ليتأ مل ويفكر كما تشاء له أساليب البحث العلمي النزيه

وأما إذا جئنا للتاريخ لا لنسجل واقع الأمر خيرا كان أو شرا ، ولا لنجس دراستنا في حدود من مناهج البحث العلمي
الخالص ، ولا لنجمع الاحتمالات والتقديرات التي يجوز افتراضها ليسقط منها على محك البحث ما يسقط ويبقى ما يليق

بالتقدير والملاحظة ، بل لنستلهم عواطفنا وموروثاتنا ونستمد من وحيها الأخاذ تاريخ أجيالنا السابقة ، فليس ذلك تاريخا
لاولئك الأشخاص الذين عاشوا على وجه الأرض يوما ما ، وكانوا بشرا من البشر تتازعهم ضروب شتى من الشعور

والأحساس ، وتختلج في ضمائرهم ألوان مختلفة من نوازع الخير ونزعات الشر ، بل هو ترجمة لأشخاص عاشوا في ذهننا وطارت بهم نفوسنا إلى الافاق العالية من الخيال .

فإذا كنت تريد أن تكون حرا في تفكيرك ، ومؤرخا لدينا الناس لا روائيا يستوحي من دنيا ذهنه ما يكتب ، فضع عواطفك
جانبا أو إذا شئت فاملأ بها شعاب نفسك فهي ملك لا ينازعك فيها أحد ، واستثن تفكيرك الذي به تعالج البحث ، فإنه لم يعد

ملكك بعد أن اضطلعت بمسؤولية التاريخ وأخذت على نفسك أن تكون أمينا ليأتي البحث مستوفيا كثيرة جدا هذه الأسباب التي تحول . (1)لشروطه قائما على اسس صحيحة من التفكير والاستنتاج بين نقاد التاريخ وبين حريتهم فيما ينقدون ، وقد اعتاد المؤرخون أو أكثر المؤرخين بتعبير أصح ، أن

* (هامش) *
(١) يلاحظ معالم المنهج العلمي الذي يحدده الأمام الشهيد الصدر رضوان الله عليه سو اء في قراءته التاريخ أو في كتابته ، والخطوات التي يحددها رضوان الله عليه هنا هي ما تقتضيه اصول البحث التاريخي . راجع : منهج البحث التاريخي / الدكتور حسن عثمان ، طبعة دار المعارف بمصر . (*)

يقتصروا على ضروب معينة من هندسة الحياة التى يؤرخونها ، وأن يصوغوا التاريخ صياغة قد يظهر فيها الجمال الفني أحيانا حينما يتوسع الباحث في انطباعاته عن الموضوع ، ولكنها صورة باهتة في أكثر الأحايين ليس فيها ما في دنيا الناس

التي تصورهم من معاني الحياة وشؤونها المتدفقة بألوان من النشاط ، والحركة ، والعلمل ، وسوف تجد فيما يأتي أمثلة
بمقدار ما يتسع له موضوعنا من الزمن الدقيق الذي ندرسه في هذه الفصول أعني الظرف الذي تلا وفاة النبي صلى الله عليه

وآله وسلم وتقررت فيه المسألة الأساسية في تاريخ الأسلام على شكل لا يتغير ، وهي نوع السلطة التي ينبغي أن تتولى امور المسلمين .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٤٧ -

كلنا نود أن يكون التاريخ الأسلامي في عصره الأول الزاهر طاهرا (: تقويم تاريخ صدر الأسلام) كل الطهر ، بريئا مما يخالط الحاية الأنسانية من مضاعفات الشر ومزالق الهوى ، فقد كان عصرا مشعا بالمثاليات الرفيعة ، إذ قام على إنشائه أكبر

المنشئين للعصور الأنسانية في تاريخ هذا الكوكب على الأطلاق ، وارتقت فيه العقيدة الألهية إلى حيث لم ترتق إليه الفكرة الألهية في دنيا الفلسفة والعلم ، فقد عكس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم روحه في روح ذلك العصر ، فتأثر بها وطبع

بطابعها الألهي العظيم ، بل فنى الصفوة من المحمديين في هذا الطابع فلم يكن لهم اتجاه إلا نحو المبدع الأعظم الذي ظهرت وتألقت منه أنوار الوجود وإليه تسير ، كما كان استاذهم الأكبر الذي فنى الوجود المنبسط كله بين عينيه ساعة هبوط الرسالة

السماوية عليه . فلم يكن يرى شيئا ولا يسمع صوتا سوى الصوت الألهي المنبعث من كل صوب وحدب ، وفي كل جهة من جهات الوجود ، وناحية من نواحي الكون يعلن تقليده الشارة الكبرى .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٤٨ -

إن عصرا تلغى فيه قيمة الفوارق المادية على الأطلاق ، ويستوي فيه الحاكم والمحكوم في نظر القانون (1)، ومجالات تنفيذه ، ويجعل مدار القيمة المعنوية ، والكرامة المحترمة فيه تقوى الله (2) التي هي تطهير روحي ، وصانية للضمير ،

وارتفاع بالنفس إلى آفاق من المثالية الرفيعة ، ويحرم في عرفه احترام الغني لأنه غني ، وإهانة الفقير لأنه فقير ، ولا يفرق فيه بين الأشخاص إلا بمقدار الطاقة الانتاجية (3) (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) .

ويتسارع فيه إلى لجهاد لصالح النوعى الأنساني الذي معناه إلغاء مذهب السعادة الشخصية في هذه الدنيا ، وإخراجها عن حساب الأعمال (4).

إن العصر الذي تجتمع له كل هذه المفاخر لهو خليق بالتقديس والتبجيل والأعجاب والتقدير ، ولكن ماذا أراني دفعت إلى التوسع في أمر لم أكن اريد أن اطيل فيه ؟ وليس لي أن افرط في جنب الموضوع الذي احاوله بالتوسع في أمر آخر ، ولكنها الحماسة لذلك العصر هي التي (أقول)

دفعتني إلى ذلك ، فهو بلا ريب زين العصور في الروحانية والاستقامة . أنا أفهم هذا

* (هامش) *

راجع الحادثة التاريخية المشهورة في موقف الأمام علي عليه السلام في مجالس القضاء ، وكذلك ما (1) ابن أبي /جرى عليه الأمر في تاريخ القضاء الأسلامي . لاحظ الأشارة إلى ذلك في شرح نهج البلاغة . 269 : الحديد ١٦

. 13 /الحجرات (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) : إشارة إلى قوله تعالى (2)

. 286 /البقرة (3)

إشارة إلى الاستعداد للتضحية بالغالي والنفيس من أجل الأسلام ورفع الظلم ونصرة المستضعفين كما (4) قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون) : في قوله تعالى (. . . كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره (*) . 24 /التوبة

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٤٩ -

، ولكني لا أفهم أن يمنع عن التعمق في الدرس العلمي ، أو (1)جيدا ، واوافق عليه متحمسا التمحيص التاريخي لموضوع
كموضوعات الساعة التي نتكلم عنها من مراحل ذلك الزمن ، أو يحظر علينا أن نبدأ البحث في مسألة فدك على أساس أن

أحد الخصمين كان مخطئا في موقفه بحسب موازين الشريعة ومقاييسها ، أو أن نلاحظ أن قصد الخلافة وفكرة السقيفة لم تكن مرتجلة ولا وليدة يومها إذا دلنا على ذ لك سير الحوادث حينذاك ، وطبيعة الظروف المحيطة بها .

وأكبر الظن أن كثيرا منا ذهب في تعليل مناقب ذلك العصر ومآثره مذهبا جعله يعتقد أن رجالات الزمن الخالي ، وبتعبير أوضح تحديدا أن أبا بكر وعمر وأضرابهما الذين هم من موجهي الحياة العامة يومئذ لا يمكن أن يتعرضوا لنقد أو محاكمة ،

لأنهم بناة ذلك العصر ، والواضعون لحياته خطوطها الذهبية ، فتاريخهم تاريخ ذلك العصر ، وتجريدهم عن شئ من مناقبهم تجريد لذلك العصر عن مثاليته التي يعتقدها فيه كل مسلم .

واريد أن أترك لي كلمة مختصرة في هذا الموضوع فيها مادة لبحث طويل ، ولمحة من دراسة مهمة قد أعرض لها في فرضة اخرى من فرص التأليف ، وأكتفي الان أن أتساءل عن نصيب هذا الرأي من الو اقع .

* (هامش) *

لاحظ التقويم الدقيق للحالة الأسلامية في صدر الأسلام ، وزمن الخلفاء الراشدين ، ومدى التقدير (1) العالي ١٩ لمناقبية ذلك العصر ، ومع ذلك فإن الأمام الشهيد رضوان الله عليه لا يريد أن يقع تحت جاذبية الانبهار والأعجاب بذلك العصر ويغمض النظر عما وقع فيه من مفارقات ، تدعو إلى الدراسة والبحث والتحليل والتحقيق وصولا إلى الرأي الأقرب إلى الصواب . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٥٠ -

صحيح أن الأسلام في أيام الخليفتين كان مهيمنا ، والفتوحات متصلة والحياة متدفقة بمعاني الخير ، وجميع نواحيها مزدهرة بالانبعاث الروحي الشامل ، واللون القرآني المشع ، ولكن هل يمكن أن نقبل أن التفسير الوحيد لهذا وجود الصديق أو الفاروق على كرسي الحكم ؟ (1)

والجواب المفصل عن هذا السؤال نخرج ببيانه عن حدود الموضوع ، ولكنا نعلم أن المسلمين في أيام الخليفتين كانوا في أوج تحمسهم لدينهم ، والاستبسال في سبيل عقيدتهم ، حتى إن التاريخ سجل لنا (إن شخصا أجاب عمر حينما صعد يوما على

المنبر وسأل الناس : لو صرفناكم عما تعرفون إلى ما تنكرون ما كنتم صانعين ؟ – إذن كنا نستتيبك فإن تبت فبلناك ، فقال عمر : وإن لم ؟ – قال نضرب عنقك الذي فيه عيناك . فقال عمر : الحمد لله الذي جعل في هذه الامة من إذا اعوججنا أقام أودنا) . (2)

ونعلم أيضا أن رجالات الحزب المعارض – وأعني به أصحاب علي – كانوا بالمرصاد للخلافة الحاكمة ، وكان أي زلل وانحراف مشوة للون الحكم حينذاك كفيلا بأن يقلبوا الدنيا رأسا على عقب ، كما قلبوها على عثمان – يوم اشترى قصرا ، ويوم ولى أقاربه ، ويوم عدل عن السيرة النبوية المثلى في الدين (4)مع أن الناس في أيام عثمان كانوا أقرب إلى الميوعة - (3)

* (هامش) *

طرح مثل هذا الافتراض يعد منطقيا ومتسقا مع المنهج العلمي في صدد تقديم تفسير دقيق للمرحلة (1) التاريخية .

القضية مشهورة في سيرة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (2) .

راجع : تاريخ الطبري 2 : 651 ، فقد نقل المحاورة بين الخليفة عثمان والوفود التي قدمت من مصر (3) وغيرها للتفاوض معه ، وفيها

تصريح بهذه الامور .

المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين ، المجلد الرابع : ٢٦٨ – دار الكتاب اللبناني – بيروت (4) (*) .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٥١ -

واللين والدلة منهم في أيام صاحبيه . ونفهم من هذا أن الحاكمين كانوا في ظرف دقيق لا يتسع للتغيير والتبديل في اسس السياسة ونقاطها الحساسة لو أرادوا إلى ذلك سبيلا ، لأنهم تحت مراقبة النظر الأسلامي العام الذي كان مخلصا كل

الأخلاص لمبادئه ، وجاعلا لنفسه حق الأشراف على الحكم والحاكمين ، ولأنهم يتعرضون لو فعلوا شيئا من ذلك لمعارضة خطرة من الحزب الذي ما يزال يؤمن بأن الحكم الأسلامي لا بد أن يكون مطبوعا بطابع محمدي خالص ، وأن الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يطبعه بهذا الطابع المقدس هو علي – وارث رسول الله ووصيه وولي المؤمنين من بعده (1) .

وأما الفتوحات الأسلامية فكان لها الصدارة في حوادث تلك الأيام ولكننا جميعا نعلم أيضا أن ذلك لا يسجل للحكومة القائمة في أيام الخليفتين بلونها المعروف مجدا في حساب التاريخ ما دام كل شأن من شؤون الحرب ومعداته وأساليبه يتهيأ بعمل

أشبه ما يكون بالعمل الأجماعي من الامة الذي تعبر به عن شخصيتها الكاملة تعبيرا عمليا خالدا ، ولا يعبر عن شخصية الحاكم الذي لم يصل إليه من لهيب الحرب شرر ، ولم يستقل فيه برأي ، ولم يتهيأ له إلا بأمر ليس له فيه أدنى نصيب ،

فإن خليفة الوقت سواء أكان وقت فتح الشام أو العر اق ومصر لم يعلن بكلمة الحرب عن ٢٠ قوة حكومته ومقدرة شخصه على أن يأخذ لهذه الكلمة اهبتها ، بل أعلن عن قوة

* (هامش) *

حديث الدار – طبعة المطبعة الحسينية بمصر ، 219 - 218 : 3تاريخ الطبري (1)
: 3النسائي : ٨٦ – ٨٧ ، المستدرك /طبعة دار المعرفة ، الخصائص - 371 : 3تفسير الخازن
126 . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٥٢ -

اهتزت له قلوب المسلمين (1)الكلمة النبوية التي كانت وعدا قاطعا بفتح بلاد كسرى وقيصر حماسة وأملا بل إيمانا ويقينا ، ويحدثنا التاريخ أن كثيرا ممن اعتزل الحياة العملية بعد رسول الله لم يخرج عن عزلته إلى مجالات العمل إلا حين ذكر هذا الحديث النبوي ، فقد كان هو والأيمان المتركز في القلوب القوة هيأت للحرب كل ظروفه وكل رجاله وإمكانياته .

وأمر آخر هيأ للمسلمين أسباب الفوز ، وأنالهم ا لنصر في معارك الجهاد لا يتصل بحكومة الشورى عن قرب أو بعد ، وهو الصيت الحسن الذي نشره رسول الله للأسلام في آفاق الدنيا ، وأطراف المعمورة ، فلم يكن يتوجه المسلمون إلى فتح بلد من البلاد إلا كان أمامهم جيش آخر من الدعايات والترويجات لدعوتهم ومبادئهم (2) .

وفي أمر الفتوحات شئ آخر هو الوحيد الذي كان من وظيفة الحاكمين وحدهم القيام به دون سائر المسلمين الذين هيئوا بقية الامور وهو ما يتلو الفتح من بث الروح الأسلامية ، وتركيز مثاليات القرآن في البلاد المفتوحة ، وتعميق الشعور الوجداني

والديني في الناس الذي هو معنى وراء الشهادتين ، ولا أدري هل يمكننا أن نسجل للخليفتين شيئا من البراعة في هذه الناحية ، أو نشك في ذلك كل الشك كما صار إليه بعض الباحثين ، وكما يدل عليه تاريخ البلاد المفتوحة في الحياة الأسلامية .

لقد كانت الظروف كلها تشارك الخليفتين في تكوين الحياة العسكرية المنتجة التي قامت على عهدهما ، وفي بناء الحياة السياسية الخاصة التي اتخذاها .

* (هامش) *
. 92 : 2تاريخ الطبري : راجع (1)
(*) . ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٠ / ، شرح نهج البلاغة 44 :فتوح البلدان : راجع (2)

ولا أدري ماذا كان موقفهما لو قدر لهما ولعلي أن يتبادلوا ظروفهم فيقف الصديق والفاروق موقف الأمام ويسود في تلك الظروف التي كانت كلها تشجع على بناء سياسة ، ومنهج لحكم جديد ، وإنشاء حياة لها من ألوان الترف ، وضروب النعيم

حظ عظيم ، فهل كانا يعاكسان تلك الظروف كما عاكسها أمير المؤمنين ؟ . . . فضرب بنفسه مثلا في الأخلاص للمبدأ والنزاهة في الحكم .

وأنا لا أقصد بهذا أن أقول إن الخليفتين كانا مضطرين اضطرارا إلى سيرة رشيدة في الحكم ، واعتدال في السياسة والحياة ، ومرغمين على ذلك ، وإنما أعني أن الظروف المحيطة بهما كانت تفرض عليهما ذلك سواء أكانا راغبين فيه أو مكرهين عليه

كما أني لا اريد أن اجردهما عن كل أثر في التاريخ ، وكيف يسعني شئ من ذلك ، وهما اللذان كتبا يوم السقيفة سطور التاريخ الأسلامي كله ، وإنما عنيت أنهما كانا ضعيفي الأثر في بناء تاريخ أيامهما خاصة ، وما ازدهرتت به من حياة مكافحة وحياة فاضلة .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٥٣ -

(مع العقاد في دراسته)

للاستاذ عباس محمود العقاد ، وقد جئته بشوق (فاطمة والفاطميون)أكتب هذا كله وبين يدي كتاب)بالغ لأرى ما يكتب في موضوع الخصومة بين الخليفة والزهراء ، وأنا على يقين من أن أيام التعبد بأعمال السالفين (1

* (هامش) *

يعني أن التقليد والمتابعة في الدراسة والتقويم سواء ما يتعلق بالشخصيات أم بالأحداث (1) التاريخية من دون تحقيق وتدقيق علمي ، ما عاد لها وزن ، ولا اعتبار في نظر العلم ، بالأخص (*) . ونحن نعيش في عصر اخضع كل شئ فيه إلى المحاكمة العلمية ، والتحقيق العلمي

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٥٤ -

وتصويبها على كل تقدير قد انتهت ، وأن الزمان الذي يتحاشى فيه عن التعمق في شئ من مسائل الفكر الأنساني دينا كانت ، أو مذهبا أو تاريخا أو أي شئ آخر قد مضى مع ما مضى من تاريخ الأسلام بعد أ ن طال قرونا . ولعل الخليفة الأول كان

هو أول من أعلن ذلك المذهب عندما صرخ في وجه من سأله عن مسألة الحرية الأنسانية والقدر ولكن أليس قد أراحنا الله تعالى من هذا المذهب الذي يسئ إلى روح الأسلام ؟ (1)وهدده وتوعده

وإذن فكان لي أن أتوقع بحثا لذيذا يتحفنا به الاستاذ في موضوع الخصومة من شتى نواحيها ، ولكن الواقع كان على عكس ذلك ، فإذا بكلمة الكتاب حول الموضوع قصيرة وقصيرة جدا وإلى حد أستبيح لنفسي أن أنقلها وأعرضها عليك دون أن اطيل

والحديث في مسألة فدك هو كذلك من الأحاديث التي لا تنتهي إلى مقطع للقول) : عليك ، فقد قال متفق عليه ، غير أن الصدق فيه : لا مراء أن الزهراء أجل من أن تطلب ما ليس لها بحق وأن الصديق أجل من أن يسلبها حقها الذي تقوم به

البينة عليه ، ومن أسخف ما قيل أنه إنما منعها فدك مخافة أن ينفق علي من غلتها على الدعوة إليه ، فقد ولي الخلافة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ولم يسمع أن أحدا بايعهم لمال أخذه منهم ولم يرد ذكر شئ من هذا في إشاعة ولا في خبر يقين ، وما

نعلم تزكية لذمة الحكم من عهد الخليفة الأول أوضح بينة من حكمه في مسألة فدك ، فقد كان يكسب برضى فاطمة ويرضى الصحابة برضاها وما أخذ من فدك شيئا لنفسه فيما ادعاه عليه مدع ،

* (هامش) *

(*) .دار إحياء السنة النبوية - 54 - 53 :سنن الدارمي (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٥٥ -

وإنما هو الحرج في ذمة الحكم بلغ أقصاه بهذه القضية بين هؤلاء الخصوم الصادقين المصدقين رضوان الله عليهم أجمعين انتهى(1) .

ونلاحظ قبل كل شئ أن الاستاذ شاء أن يعتبر البحث في مسألة فدك لونا من ألوان النزاع التي ليس لها قرار ، ولا يصل الحديث فيه إلى نتيجة فاصلة ليقدم بذلك عذره عن التوفر على دراستها ، واعتقد أن في محاكمات هذا الكتاب التي سترد عليك

جوابا عن هذا ، ونلاحظ أيضا أنه بعد أن جعل مسألة فدك من الأحاديث التي لا تنتهي إلى مقطع للقول متفق عليه ، رأى أن فيها حقيقتين لا مراء فيهما ولا جدال :

أن الصديق أجل من أن (الاخرى)أن الصديقة أرفع من أن تنالها تهمة بكذب . و (أحدهما) يسلبها حقها الذي تثبته البينة .

فإذا لم يكن في صحة موقف الخليفة واتفاقه مع القانون جدال ، ففيم الجدال الذي لا قرار له ؟ ! ولم لا تنتهي مسألة فدك إلى مقطع للقول متفق عليه ؟ ! وأنا أفهم أن للكاتب الحرية في أن يسجل رأيه في الموضوع أي موضوع كما يشاء وكما يشاء له

ذلك الرأي وبعد أن يدخل تقديرات المسألة كلها في الحساب (2)تفكيره بعد أن يرسم للقارئ مدارك ليخرج منها بتقدير معين ، ولكني لا أفهم أن يقول أن المسألة موضوع لبحث الباحثين ثم لا يأتي إلا برأي مجرد عن المدارك يحتاج إلى كثير

من الشرح والتويح وإلى كثير من البحث والنظر ، فإذا كانت الزهراء أرفع من كل تهمة فما

* (هامش) *

. سلسلة الهلال - عباس محمود العقاد /فاطمة الزهراء والفاطميون (1)

. الدليل : المدارك جمع مدرك ، والمدرك في لغة الفقه وفي مصطلح الفقهاء هو (2)

(*) . نشر دار الهجرة – قم المقدسة - 192 : 1المصباح المنير : راجع

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٥٦ -

حاجتها إلى البينة ؟ وهل تمنع التشريعات القضائية في الأسلام عن أن يحكم العالم استنادا إلى ؟ وإذا كانت تمنع عن ذلك فهل معنى هذا أن يجوز في عرف الدين سلب الشئ من (1)علمه المالك ؟ هذه أسئلة ، ومعها أسئلة اخرى أيضا في المسألة تتطلب جوابا علميا ، وبحثا في ضوء . أساليب الاستناط في الأسلام

واريد أن أكون حرا ، وإذن فإني أستميح الاستاذ أن الاحظ أن تزكية موقف الخليفة والصديقة معا أمر غير ممكن ، لأن الأمر في منازعتهما لو كان مقتصرا على مطالبة الزهراء بفدك وامتناع الخليفة عن تسليمها له لعدم وجود مستمسك شرعي يحكم

بواسطته لها بما تدعيه ، وانتهاء المطالبة إلى هذا الحد ، لو سعنا أن نقول إن الزهراء طلبت حقها في نفس الأمر والواقع ، وإن الخليفة لما امتنع عن تسليمه لها لعدم تهيؤ المدرك الشرعي الذي تثبت به الدعوى تركت مطالبتها ، لأنها عرفت أنها لا

تستحق فدك بحسب النظام القضائي وسنن الشرع ، ولكننا نعلم أن الخصومة بينهما أخذت أشكالا . (2)مختلفة حتى بلغت مبلغ الاتهام الصريح من الزهراء وأقسمت على المقاطعة

* (هامش) *

، تنقيح الأدلة في بيان حكم 142 : 10سنن البيهقي / راجع في جواز حكم الحاكم أو القاضي بعلمه (1)

السيد محمد رضا الحسيني / الأعرجي – المطبعة العلمية – قم ، فهو بحث تفصيلي /الحاكم بعلمه . استدلالي في المسألة

ابن أبي الحديد / ، شرح نهج البلاغة 1374 : راجع الرواية في صحيح البخاري ، عن عروة عائشة ٣ (2) وأما إخفاء القبر وكتمان الموت – موت الزهراء) : ، وقال ابن أبي الحديد تعقيبا في ص ٢٨١٢٨٦ : ١٦ عليها السلام – وعدم الصلاة وكل ما ذكره المرتضى – أي الشريف – فيه فهو الذي يظهر ويقوى عندي ، : 4، أعلام النساء (. . . لأن الروايات به أكثر وأصح من غيرها ، وكذلك القول في موجدتها وغضبها (*) . 124 - 123

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٥٧ -

إحداهما أن نعترف بأن الزهراء قد ادعت بإصرار ما ليس لها بحق في : وإذن فنحن بين اثنتين عرف القضاء الأسلامي والنظام الشرعي وإن كان ملكها في واقع الأمر ، والاخرى أن نلقي التبعة على الخليفة ونقول إنه قد منعها حقها الذي كان

يجب عليه أن يعطيها إياه أو يحكم لها بذلك على فرق علمي بين التعبيرين يتضح في بعض الفصول الاتية ، فتزيه الزهراء
عن أن تطلب طلبا لا ترضى به حدود الشرع ، والارتفاع بالخليفة عن أن يمنعها حقها الذي تسخو . به عليها تلك الحدود لا يجتمعان إلا إذا توافق النقيضان

ولنترك هذا إلى مناقشة اخرى ، فقد اعتبر الاستاذ حكم الخليفة في مسألة فدك أوضح بينة ودليل على تزكيته وثباته على الحق وعدم تعديه عن حدود الشريعة لأنه لو أعطى فدك لفاطمة لأرضاها . بذ لك وأرضى الصحابة برضاها

ولنفترض معه أن حدود القانون الأسلامي هي التي كانت تفرض عليه أن يحكم بأن فدك صدقة ، ولكن ماذا كان يمنعه عن أن ينزل للزهراء عن نصيبه ونصيب سائر الصحابة الذين صرح الاستاذ . . .بأنهم يرضون بذلك ؟

أكان هذا محرمات في عرف الدين أيضا ؟ أو أن أمرا ما أوحى إليه بأن لا يفعل ذلك ، بل ماذا كان يمنعه عن تسليم فدك للزهراء بعد أن أعطته وعدا قاطعا بأن تصرف حاصلاتها في وجوه الخير والمصالح العامة ؟

وأما ما استسخفه الكاتب من تعليل لحكم الخليفة فسوف نعرف في هذا الفصل ما إذا كان سخيفا حقا .

إذا عرفنا أن مرتكزت الناس ليست وحيا من السماء فلا تقبل شكا ولا جدالا ، وأن درس مسائل السالفين ليس كفرا ، ولا زندقة ، ولا تشكيكا في أعلام النبوة كما كانوا يقولون ، فلنا أن نتساءل عما بعث الصديقة إلى البدء

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٥٨ -

بمنازعتها حول فدك على ذلك الوجه العنيف الذي لم يعرف أو لم يشأ أن يعرف هيبة للسلطة المهيمنة ، أو جلالا للقوة المتصرفة ، يعصم الحاكمين من لهيبها المتصاعد ، وشررها المتطاير ، وبقي الحكم من إ شعاعة نور متألقة تلقي ضوءا عليه

، فتظهر للتاريخ حقيقته مجردة عن كل ستار ، بل كانت بداية المنازعة ومراحلها نذير ثورة مكتسحة أو ثورة بالفعل عندما اكتملت في شكلها الأخير ، ويومها الأخير ، تحمل كل ما لهذا المفهوم من . مقدمات ونتائج ، ولا تتعرض لضعف أو تردد

وما عساه أن يكون هدف السلطة الحاكمة ، أو بالأحرى هدف الخليفة رضى عنه الله نفسه في أن يقف مع الحوراء على طرفي الخط ، أولم يكن يخطر بباله أن خطته هذه تفتح له بابا في التاريخ في تعدا د أولياته ، ثم يذكر بينها خصومة أهل

البيت ؟ ! فهل كان راضيا بأوليته هذه مخلصا لها حتى يستبسل في امتناعه ، وموقفه السلبي ، بل الأيجابي المعاكس ؟ أو أنه كان منقاد للقانون ، وملتزما بحرفيته في موقفه هذا كما يقولون ، فلم يشأ أ ن يتعد حدود الله تبارك وتعالى في كثير أو قليل ،

وإن لموقفه الغريب نجاه الزهراء صلة بموقفه في السقيفة ، وأعني بهذه ا لصلة الاتحاد في الغرض ، وبالأحرى أن تقوم على دائرة واحدة متسعة . (1)أو اجتماع الغرضين على نقطة واحدة

* (هامش) *

قال : (وسألت علي بن الفارقي مدرس 284 : 16ينقل ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (1) المدرسة الغربية ببغداد ، فقلت له : أكانت فاطمة صادقة ؟ قال : نعم ، قلت : فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة ؟ فتبسم ، ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه

لو أعطاها اليوم فد ك بمجرد دعواها لجاءت إليه غدا ، وادعت لزوجها الخلافة : وحرمته وقلة دعايته ، قال ، وزحزحته عن مقامه ، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشئ ، لأنه يكون قد أسجل على نفسه أنها صادقة فيما تدعي كاثنا ما كان من غير حاجة إلى بينة ولا شهود) . قال ابن أبي الحديد : وهذا كلام (*) . صحيح

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٥٩ -

اتساع دولة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها آمال بواسم ، وموجات من الأحلام ضحك لها . الخليفة كثيرا وسعى في سبيلها كثيرا أيضا

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٥٩ -

(بواعث الثورة)

إننا ندرك بوضوح ، ونحن نلاحظ الظرف التاريخي الذي حف بالحركة الفاطمية ، أن البيت الهاشمي المفجوع بعميده الأكبر قد توفرت له كل بواعث الثورة على الأوضاع القائمة ، والانبعاث نحو وتغييرها وإنشائها إنشاء جديدا ، وأن الزهراء قد

اجتمعت لها كل إمكانيات الثورة ومؤهلات المعارضة التي قرر المعارضو ن أن تكون منازعة سلمية مهما كلف الأمر . وإننا نحس أيضا إذا درسنا الواقع التاريخي لمشكلة فدك ومنازعاتها بأنها (1) مطبوعة بطابع تلك الثورة ، ونتبين بجلاء أن

هذه المنازعات كانت في واقعها ودوافعها ثورة على السياسة العليا وألوانها التي بدت للزهراء بعيدة عما تألفه من ضروب الحكم ، ولم تكن حقا منازعة في شئ من شؤون السياسة المالية ، والمناهج الاقتصادية التي سارت عليها خلافة الشورى ، وإن بدت على هذا الشكل في بعض الأحايين

* (هامش) *

(1) كان هناك إصرار عجيب من الأمام علي عليه السلام على أن تكون المعارضة سلمية لا تتعدى حدود الاحتجاج وقطع الأعذار ، ولو كلف ذلك أن يجر ابن أبي طالب ويسحب من بيته سحبا للمبايعة ، أو أن يتعرض البيت الطاهر إلى التهديد بالأحراق .

ويلاحظ هنا أن الأمام عليا عليه السلام عندما جاء ، أبو سفيان ، وقال له : لو شئت لأملأنها عليهم خيلا

. ورجالا ، نهره الأمام عليه السلام ورفض مبادرته

ابن أبي الحديد ٦ : ٤٧ – ٤٩ وص ١١ في احتجاج الأمام علي عليه السلام /شرح نهج البلاغة : راجع
(*) . و ٢٣٧ 233 : 2بالحجة البالغة ، وص ١٧ – ١٨ في موقف أبي سفيان ، تاريخ الطبري

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٦٠ -

وإذا أردنا أن نمسك بخيوط الثورة الفاطمية من اصولها ، أو ما يصح أن يعتبر من اصولها ، فعلينا أن ننظر نظره شاملة عميقة لنتبين حادثتين متقاربتين في تاريخ الأسلام ، كان أحدهما صدى للاخر وانعكاسا طبيعيا له ، وكانا معا يمتدان بجذورهما

وخيوطهما الاولى إلى حيث قد يلتقي أحد هما بالاخر أو بتعبير أصح إلى النقطة المستعدة في طبيعتها إلى أن تمتد منها خيوط الحادثتين .

الثورة الفاطمية على الخليفة الأول التي كادت أن تزعزع كيانه السياسي ، وترمي بخلافته : أحدهما بين مهملات التاريخ .

بنت الخليفة الموتور في وجه (1)موقف ينعكس فيه الأمر فتقف عائشة ام المؤمنين : والاخر علي زوج الصديقة الثائرة على أبيها . وقد شاء القدر لكلتا الثائرتين أن تفشلا مع فارق بينهما مرده إلى نصيب كل منهما من الرضا بثورتها ،

والاطمئنان الضميري إلى صوابها وحظ كل منهما من الانتصار في حساب الحق الذي لا التواء فيه بيعتي ، والسيدة عائشة (2)وهو أن الزهراء فشلت بعد أن جعلت الخليفة يبكي ويقول : أقيلوني فشلت فصارت تتمنى أنها لم تخرج إلى حرب
ولم تشق عصا طاعة (3) .

* (هامش) *
إشارة إلى يوم الجمل المشهور ، وكان أبطاله الزبير وطلحة وعائشة ام المؤمنين وذلك سنة ٣٦ هـ ، (1)
وكان موقع المواجهة في البصرة
. حوادث سنة ٣٦ هـ ، مطبعة الاستقامة – القاهرة 476 : 3تاريخ الطبري : راجع

. ، قال أبو بكر بعد المحاورة مع الزهراء : أقيلوني 124 : 4أعلام النساء : راجع (2)
، وفيه : قال أبو بكر رضى عنه الله أجل ، إني لا آسى على شئ من الدنيا 353 : 3تاريخ الطبري

إلا على ثلاث فعلتهن ، وودت

، (فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شئ : أني تركتهن . . . وذكر منها

. ابن أبي الحديد ٦ : ٤١ في حبه للأمارة /شرح نهج البلاغة

، 111 : 3تاريخ ابن الأثير : راجع (3)

(*) . ، إصدار مكتبة نينوى الحديثة – طهران81 - سبط ابن الجوزي : ٨٠ /تذكرة الخواص

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٦١ -

هاتان الثورتان متقاربتان في الموضوع والأشخاص فلماذا لا تنتهيان إلى أسباب متقاربة وبواعث متشابهة .

ونحن نعلم جيدا سر الانقلاب الذي طرأ على السيدة عائشة حين إخبارها بأن عليا ولي الخلافة يرجع إلى الأيام الالى في حياة علي وعائشة حينما كانت المنافسة على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين زوجته وبضعته .

ومن شأن هذه المنافسة أن تتسع في آثارها فتثبت مشاعر مختلفة من الغيظ والتنافر بين الشخصين المتنافسين وتلف بخيوطها من حولهما من الأنصار والأصدقاء ، وقد اتسعت بالفعل في أحد الطرفين فكان ما كان بين السيدة عائشة وعلي ، فلا بد أن تتسع في الطرف الاخر فتعم من كانت تعمل ام المؤمنين على حسابه في بيت النبي .

نعم إن انقلاب ام المؤمنين إنما هو من وحي ذكريات تلك الأيام التي نصح فيها علي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلقها في قصة الأفك المعروفة (1) .

وهذا النصح إن دل على شئ فإنه يدل على انزعاجه منها ومن منافستها لقرينته ، وعلى أن الصراع بين زوج الرسول وبضعته كان قد اتسع في معناه وشمل عليا وغير علي ممن كان يهتم بنتائج تلك المنافسة وأطوارها .

* (هامش) *

طبعة الميمنية – مصر ١٣١٢ هـ ، 24 : 3راجع تفصيل الحادثة في صحيح البخاري (1)

(*) .حوادث سنة ٦ هـ 113 : 2تاريخ الطبري

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٦١ -

(دوافع الخليفة الأول في موقفه)

نعرف من هذا أن الظروف كانت توحي إلى الخليفة الأول بشعور خاص

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٦٢ -

نحو الزهراء وزوج الزهراء ، ولا ننسى أنه هو الذي تقدم لخطبتها فرده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم تقدم علي إلى ذلك فأجابه النبي إلى ما أراد(1) .

وذاك الرد وهذا القبو ل يولدان في الخليفة إذا كان شخصا طبيعيا يشعر بما يشعر به الناس ، وبأن فاطمة كانت هي -ويحس كما يحسون شعورا بالخيبة والغبطة لعلي – إذا احتطنا في التعبير السبب في تلك المنافسة بيه وبين علي التي انتهت بفوز منافسه .

ولنلاحظ أيضا أن أبا بكر هو الشخص الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليقرأ سورة التوبة على الكافرين ، ثم أرسل وراءه وقد بلغ منتصف الطريق ليستد عيه ويعفيه من مهمته(2) لا لشئ إلا لأن الوحي شاء أن يضع أمامه مرة اخرى منافسه في الزهراء الذي فاز بها دونه(3) .

ولا بد أنه كان يراقب ابنته في مسابقتها مع الزهراء على الأولية لدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتأثر بعواطفها كما هو شأن الاباء مع الأبناء . وما يدرينا لعله اعتقد في وقت من الأوقات أن فاطمة هي التي دفعت بأبيها إلى الخروج لصلاة الجماعة في المسجد يوم مهدت له ام المؤمنين التي

* (هامش) *

(1) الصواعق المحرقة/ ، ابن حجر الهيتمي : ٢٤٩ – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ٢ / ١٤١٤ هـ

. قال : وأخرج أبو داود أن أبا بكر خطب فاطمة ، فأعرض عنه رسول الله ثم عمر فأعرض عنه

32 :مطبعة دار صادر ، الصواعق المحرقة 3 : 1راجع قصة تبليغ سورة براءة ، مسند الأمام أحمد (2) ،

. النسائي : ٩٠ – ٩١ /الخصائص

بينما أنا قاعد عند النبي صلى الله عليه وآله) : ابن حجر : ١٤٣ عن أنس قال /جاء في الصواعق (3) ، أخرجه ابن (. . . وسلم إذ غشيه الوحي ، فلما سرى عنه ، قال : إن ربي أمرني أن ازوج فاطمة من علي . . . عسا كر . . . ثم قال تعليقا على رأي الذهبي : (أخرجه النسائي بسند صحيح وفيه رد على الذهبي (*) . (. . . وتبين أن للقصة أصلا أصيلا

إن التاريخ لا . (1)كانت تعمل على حسابه فهي بيت النبي أن يؤم الناس ما دام النبي مريضا يمكننا أن نترقب منه شرح

كل شئ شرحا واضحا جليا غير أن الأمر الذي تجمع عليه الدلائل أن من المعقول جدا أن يقف شخص مرت به ظروف

كالظروف الخاصة التي أحاطت بالخليفة من علي وفاطمة موقفه التاريخي المعروف ، وأن امرأة تعاصر ما عاصرته الزهراء في أيام أبيها من منافسات حتى في شباك يصل بينها وبين أبيها حري بها أن لا تسكت إذا أراد المنافسون أن يستولوا على حقها الشرعي الذي لا ريب فيه .

* (هامش) *

. مج ٣ / ٤ : ٦٥٣ ، توجد رواية تشير إلى ذلك -سيرة ابن هشام (1)

(أبعاد قضية فدك السياسية)

هذه هي الثورة الفاطمية في لونها العاطفي وهو لون من عدة ألوان أوضحها وأجلاها اللون السياسي الغالب على أساليبها وأطوارها .

وأنا حين أقول ذلك لا أعني بالسياسة مفهومها الرائج في أذهان الناس هذا اليوم المركز على الالتواء والافتراء ، وإنما أقصد بها مفهومها الحقيقي الذي لا التواء فيه .

فالممعن في دراسة خطوات النزا ع وتطوراته والأشكال التي اتخذها لا يفهم منه ما يفهم من قضية مطالبة بأرض ، بل يتجلى له منها مفهوم أوسع من ذلك ينطوي على غرض طموح يبعث إلى الثورة (2)ويهدف إلى استرداد عرش مسلوب وتاج ضائع ومجد عظيم وتعديل أمة ا نقلبت على أعقابها .

* (هامش) *

وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على) : إشارة إلى قوله تعالى (2) أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)آل عمران /144 .

وراجع الرواية التي تشير إلى ارتداد الناس وانكفائهم عن الأسلام حديث الحوض المشهور ، قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (أنا فرطكم على الحوض فيؤتى برجال أعرفهم فيمنعون مني ، فأقول أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا لمن بدل بعدي . . . صحيح البخاري كتاب 86 : 8، 245 : 2الزمخشري ٤ : ٨١١ ، تاريخ الطبري /الفتن ، الكشاف) . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٦٤ -

وعلى هذا كانت فدك معنى رمزيا يرمز إلى المعنى العظيم ولا يعني تلك الأرض الحجازية المسلوبة ، وهذه الرمزية التي اكتسبتها فدك في التي ارتفعت بالمنازعة من مخاصمة عادية منكمشة في افقها ، محدودة في دائرها إلى ثورة واسعة النطاق رحيبة الافق .

ادرس ما شئت من المستندات التاريخية الثابتة للمسألة ، فهل ترى نزاعا ماديا ، أو ترى اختلافا حول فدك بمعناها المحدود وواقعها الضيق ، أو ترى تسابقا على غلات أرض مهما صعد بها المبالغون وا رتفعوا ؟

بل هي الثورة على اسس الحكم ، والصرخة التي ! فليست شيئا يحسب له المتنازعون حسابا . كلا . أرادت فاطمة أن تقتلع بها الحجر الأساسي الذي بني عليه التاريخ بعد يوم السقيفة

ويكفينا لأثبات ذلك أن نلقي نظرة على الخطبة التي خطبتها الزهراء في المسجد أمام الخليفة وبين يدي الجم المحتشد من المهاجرين والأنصار ، فإنها دارت أكثر ما دارت حول امتداح علي والثناء على مواقفه الخالدة في الأسلام وتسجيل حق أهل البيت الذين وصفتهم بأنهم الوسيلة إلى الله في خلقه وخاصته ومحل قدسه وحجته في غيبه ، وورثة أنبيائه في

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٦٥ -

الخلافة والحكم . وإلفات المسلمين إلى حظهم العاثر واختيارهم المرتجل وانقلابهم على أعقابهم ، التي سقطوا فيها ، والدواعي (1)ووروده غير شربهم ، وإسنادهم الأمر إلى غير أهله ، والفتنة . التي دعتهم إلى ترك الكتاب ومخالفته فيما يحكم به في موضوع الخلافة والأمامة

فالمسألة إذن ليست مسألة ميراث ونحلة إلا بالمقدار الذي يتصل بموضوع السياسة العليا ، وليست مطالبة بعقار أو دار ، بل هي في نظر الزهراء (مسألة إسلام وكفر ، ومسألة إيمان ونفاق ، ومسألة نص وشورى) (2) .

وكذلك نرى هذا النفس السياسي الرفيع في حديثها مع نساء المهاجرين والأنصار ، إ ذ قالت فيما قالت : (أين زحزحوها عن رواسي الرسالة ، وقواعد النبوة ، ومهبط الروح الأمين والطبين بأمر الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين ، وما الذي

نقموا من أبي الحسن ، نقموا والله نكير سيفه ، وشدة وطأته ، ونكال وقعته ، وتنمره في ذات الله ، تالله لو تكافؤوا عن زمام نبذه إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا عتلقه وسار إليهم سيرا ، ولأوردهم منهلا نميرا فضفاضا تطفح (3)سجحا لا تكلم حشاشه ، ولا يتعتع راكبه

* (هامش) *

(1) راجع نصوص السقيفة في تاريخ الطبري : وما بعدها ، وفيها 235 : 2 . (. . أن بيعة أبي بكر فلتة) .

(2) هذا بلحاظ المنظور الفاطمي للقضية برمتها وفي أبعادها ، وقد عبرت عن ذلك في خطبتها قائلة :

/ التوبة (ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) : إنما زعمتهم خوف الفتنة ثم تلت قوله تعالى الأمام السيد / ، وراجع المناقشة الوافية الشافية لمسألة (النص والشورى) في نشأة التشيع والشيعة 49 . الشهيد الصدر – بتحقيق الدكتور عبد الجبار شرارة

، قول الخليفة الثاني في قصة الشورى . . . قالوا : يا أمير المؤمنين لو 580 : 2تاريخ الطبري (3) فقال : قد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أنظر فاولي رجلا أمركم ، هو أحراكم أن يحملكم !عهدت عهدا (*) . البلاذري ٢ : ٢١٤ /على الحق . وأشار إلى علي . . .) . وراجع أنساب الأشراف

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٦٦ -

فضفاضه ، ولأصدرهم بطانا قد تحير بهم الرأي غير متحل بطائل إلا بغمر الناهل وردعه سورة الساغب ، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض ، وسيأخذهم الله بما كانوا يسكبون ، ألا هلم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجبا وإن تعجب فقد أعجبك الحادث إلى أي لجأ استندوا وبأي عروة . تمسكوا ، لبئس المولى ولبئس العشير ، ولبئس للظالمين بدلا

استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل فرغما لمعاطس قو م يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي)ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، ويحهم . (1) (إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون

ولم يؤثر عن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنهن خاصمن أبا بكر في شئ من ميراثهن ، أكن أزهد من الزهراء في متاع الدنيا ، وأقرب إلى ذوق أبيها في الحياة ؟ أو أنهن اشتغلن بمصيبة رسول الله ولم تشتغل بها بضعته ، أو أن الظروف السياسية هي التي فرقت بينهن فأقامت من . الزهراء معارضة شديدة ، ومنازعة خطرة دون نسوة النبي اللاتي لم تزعجهن أوضاع الحكم

وأكبر الظن أن الصديقة كانت تجد في شيعة قرينها ، وصفوة أصحابه الذين لم يكونوا يشكون في أفلا يفيدنا هذا أن . صدقها من يعطف شهادته على شهادة علي وتكتمل بذلك البينة عند الخليفة الهدف الأعلى لفاطمة الذي كانوا يعرفونه جيدا ليس هو إثبات النحلة أو الميراث ، بل القضاء على ؟ وهو لا يحصل بإقامة البينة في موضوع فدك ، بل بأن (2)نتائج السقيفة

* (هامش) *

. 35 /يونس (1)
ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٣٦ ، ويظهر أن الخلافة فطنت إلى هذا الأمر ، /شرح نهج البلاغة : راجع (2) فحالت دونه ، ويظهر من المحاورة التي جرت بين الخليفة الثاني وابن عباس جلية الموقف ،

قال عمر : يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منهم – من بني هاشم . . . 578 : 2جاء في تاريخ الطبري – بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال ابن عباس : فكرهت أن اجيبه ، فقلت : إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني ، فقال عمر : كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة

والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا ، فاختارت قريش لنفسها فأصابت ووفقت . فقلت : يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام . . . فقال : تكلم يا ابن عباس ، فقلت : أما قولك : اختارت قريش فأصابت . . . فلو أن قريشا اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز وجل لكان لها

أما قولك : كرهوا أن تجتمع النبوة والخلافة فإن الله وصف قوما بالكراهية . . . الصواب بيدها غير مردود (*) . سورة محمد / ٩ (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) : فقال

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٦٧ -

وهذا ما كانت تريد أن تقدمه . (1)تقدم البينة لدى الناس جميعا على أنهم ضلوا سواء السبيل الحوراء في خطتها المناضلة

ولنستمع إلى كلام الخليفة بعد أن انتهت الزهراء من خطبتها وخرجت من المسجد ، فصعد المنبر أيها الناس ما هذه الرعة إلى كل قالة ! أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله صلى الله) : وقال عليه وآله وسلم . ألا من سمع فليقل ، ومن شهد

فليتكلم ، إنما هو ثعالة شهيده ذنبه ، مرب لكل فتنة (هو الذي يقول : كروها جذعة بعد ما هرمت ، يستعينون بالضعفة ، ويستترون بالنساء) ، كام طحال أحب أهلها إليها البغي . ألا إني لو أشاء أ ن أقول لقلت ولو قلت لبحت ، إني ساكت ما

تركت) ، ثم التفت إلى الأنصار وقال : (قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم وأحق من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنتم ، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم ، ألا إني لست باسطا يد . (2) (ا ولا لسانا على من لم يستحق ذلك (منا

وهذا الكلام يكشف لنا عن جانب من شخصية الخليفة ، ويلقي ضوءا على منازعة الزهراء له ،

والذي يهمنا الان ما يوضحه من أمر هذه المنازعة

* (هامش) *

(*) . المصدر السابق ٢١٤ – ٢١٥ (2) . ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٣٦ /شرح نهج البلاغة (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٦٨ -

وانطباعات الخليفة عنها ، فإنه فهم حق الفهم أن احتجاج الزهراء لم يكن حول الميراث أو النحلة ، وإنما كان حربا سياسية كما نسميها اليوم وتظلما لقرينها العظيم الذي شاء الخليفة وأصحابه من يبعدوه عن المقام الطبيعي له في دنيا الأسلام ، فلم يتكلم إلا عن علي فوصفه بأنه ثعالة وأنه مرب لكل فتنة ، وأنه كام طحال ، وأن فاطمة ذنبه التابع له ، ولم يذكر عن الميراث قليلا أو كثيرا .

ولنلاحظ ما جاءت به الرواية في صحاح السنة من أن عليا والعباس كانا يتنازعان في فدك في أيام عمر بن الخطاب ، فكان علي يقول إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعلها في حياته لفاطمة ، وكان العباس يأبى ذلك ويقول هي ملك رسول

الله وأنا وارثه ، ويتخاصمان إلى عمر ، فيأبى أن يحكم بينهما ويقول : (أنتما أعرف بشأنكما أما فقد نفهم من هذا الحديث إذا كان صحيحا أن حكم الخليفة كان سياسيا (1) (أنا قد سلمتها إليكما موقتا وإن موقفه كان ضرورة من ضرورات الحكم في

تلك الساعة الحرجة ، وإلا فلم أهمل عمر بن الخطاب رواية الخليفة وطرحها جانبا وسلم فدك إلى العباس وعلي ، وموقفه منهما يدل على أنه سلم فدك إليهما على أساس أنها ميراث رسول الله لا على وجه التوكيل ، إذ لو كان على هذا

* (هامش) *

، لاحظ الروايات التي تؤكد أن علي بن أبي طالب وصي رسول الله 221 : 16شرح نهج البلاغة (1) . صلى الله عليه وآله وسلم ووارثه وخليفته والولي من بعده

ابن عساكر الشافعي ٣ : ٥ ح ١٠٢١ ، ١٠٢٢ قول الرسول الأعظم صلى الله /تاريخ دمشق : راجع مثلا (لكل نبي وصي ووارث وإن عليا وصيي ووارثي) : عليه وآله وسلم

، ط ١ ، الحسينية بمصر ، 218 : 3وراجع حديث الدار المشهور في تاريخ الطبري
، (. . . وأنذر عشيرتك الأقربين) : في تفسير قوله تعالى - طبعة دار المعرفة - 371 : 3وتفسير الخازن
(*) . ح ١٣٧١ – طبعة دار المعارف ، بسند صحيح 352 : 2مسند ٢٩ أحمد بن حنبل

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٦٩ -

الوجه لما صح لعلي والعباس أن يتنازعا في أن فدك هل هي نحلة من رسول الله لفاطمة أو تركة من تركاته التي يستحقها ورثته ؟ وما أثر هذا النزاع لو فرض أنها في رأي الخليفة مال للمسلمين وقد وكلهما في القيام عليه ؟

ولفض عمر النزاع وعرفهما أنه لا يرى فدك مالا موروثا ولا من أملاك فاطمة ، وإنما أوكل أمرها إليهما لينوبا عنه برعايتها وتعاهدها ، كما أن عدم حكمه بفدك لعلي وحده معناه أنه لم يكن واثقا بنحلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدك لفاطمة فليس من وجه لتسليمها إلى علي والعباس إلا الأرث .

1)أن عمر كان يتهم الخليفة بوضع الحديث في نفي الأرث (أحدهما) : وإذن ففي المسألة تقديران) .

أنه تأوله وفهم منه معنى لا ينفي التوريث ولكن لم يذكر تأويله ، ولم ينا قش به أبا بكر (والاخر) حينما حدث به وسواء أصح هذا أو ذاك ، فالجانب السياسي في المسألة ظاهر ، وإلا فلماذا يتهم عمر الخليفة بوضع الحديث إذا لم يكن في ذلك ما

يتصل بسياسة الحكم يومئذ ، ولماذا يخفي تأويله وتفسيره ، وهو الذي لم يتحرج عن إبداء مخالفته للنبي أو الخليفة الأول فيما اعترضهما من مسائل.

وإذا عرفنا أن الزهراء نازعت في أمر الميراث بعد استيلاء الحزب الحاكم عليه ، لأن الناس لم يعتادوا أن يستأذنوا الخليفة في قبض مواريثهم أو في تسليم المواريث إلى أهلها ، فلم تكن فاطمة في حاجة إلى مراجعة

* (هامش) *
إشارة إلى الرواية التي انفرد بها الخليفة الأول ، وهي قوله : قال رسول الله : (نحن معاشر الأنبياء لا (1)

ابن أبي الحديد ١٦ /شرح نهج البلاغة 34 :الصواعق المحرقة : نورث ، ما تركناه صدقة . . .) ، راجع (*) . : ٢٢٣

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٧٠ -

المنتزي على الحكم في رأيها ، فالمطالبة بالميراث (1)الخليفة ، ولم تكن لتأخذ رأيه وهو الظالم ، والاستيلاء (2)لابد أنها كانت صدى لما قام به الخليفة من تأميمه للتركة على ما نقول اليوم عليها .

إذا عرفنا هذا وإن الزهراء لم تطالب بحقوها قبل أن تنتزع منها ، تجلى لدينا أن ظرف : (أقول) المطالبة كان مشجعا كل التشجيع للمعارضين على أن يغتنموا مسألة الميراث مادة خصبة لمقاومة الحزب الحاكم على اسلوب سلمي كانت تفرضه المصالح العليا يومئذ ، واتهامه بالغصب والتلاعب بقواعد الشريعة والاستخفاف بكرامة القانون .

* (هامش) *

راجع المحاورة بين الخليفة الثاني وبين علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب ، (1)

ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٢٢ /شرح نهج البلاغة .

أصبح مصطلح التأميم شائعا ، وهو يعني المصادرة والاستيلاء على الملك الخاص من قبل الدولة (2) . (*

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٧١ -

(قضية فدك في ضوء الظروف الموضوعية)

وإذا أردنا أن نفهم المنازعة في أشكالها وأسبابها في ضوء الظروف المحيطة بها ، وتأثيرها ، كان لزاما علينا أن نعرض تلك الظروف عرضا مستعجلا ونسجل صورة واضحة الألوان للعهد الانقلابي بالمقدار الذي يتصل بغرضنا .

ولا أعني بالانقلاب حين أصف عهد الخليفة الأول بذلك إلا مفهومه الحقيقي المنطبق على تلون السلطة الحاكمة بشكل جمهوري يتقوم بالثورة ويكتسب صلاحياته من الجماعات المنتخبة ، ونزعها لشكلها الأول الذي يستمد قوته وسلطته من السماء .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٧١ -

على يد الخليفة نقطة التحول في تاريخ (1) فقد كانت تلك اللحظة التي ضرب بها بشيرين سعد الأسلام التي وضعت حدا لأفضل العهود وأعلنت عهد آخر نترك تقريضه للتاريخ .

(مسألة موت الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم)

وقد كان ذلك في اليوم الذي حانت فيه الساعة الأخيرة في تاريخ النبوات التي قطعت أقدس أداة وصل بين السماء والأرض وأبركها وأفيضها خيرا ونعمة وأجودها صقلا للأنسانية إذ لفظ سيد البشر نفسه الأخير وطارت روحه إلى الرفيق الأعلى

فكان قاب قوسين أو أدنى ، فهرع الناس إلى بيت النبوة الذي كان يشرق بأضوائه لتوديع العهد المحمدي السعيد وتشييع النبوة التي كانت مفتاح مجد الامة ، وسر عظمتها ، واجتمعوا حوله تتقاذفهم شتى الخواطر وترتسم في أفكارهم ذكريات ممن روعة النبوة وجلال النبي العظيم .

وقد خيل إليهم أن هذه السنوات العشر التي نعموا فيها برعاية خير الأنبياء ، وأبر الاباء كانت حلما لذيذا تمتعوا به لحظة من زمان وازدهرت به الأنسانية برهة من حياتها ، وهاهم قد أفاقوا على أسوأ ما يستيقظ عليه نائم .

وبينما كان المسلمون في هذه الغمرة الطاغية ، والصمت الرهيب لا ينطق منهم أحد بكلمة ، وقد اكتفوا في تأبين الراحل العظيم بالدموع والحسرات والشخوع والذكريات ، إذ يفاجؤون بصوت يجلجل في الفضاء ويقطع خيط الصمت الذي لف

المجتمعين وهو يعلن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يمت ولا يموت حتى يظهر دينه لا أسمع رجلا يقول) : على الدين كله وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته مات رسول الله

* (هامش) *

(*) . ، وفيه إشارة إلى سبق بشير بن سعد إلى مبايعة الخليفة الأول243 : 2تاريخ الطبري : راجع (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٧٢ -

. (1) (إلا ضربته بسيفي

والتفت الأنظار إلى مصدر الصوت ليعرفوا القائل ، فوجدوا عمر بن الخطاب قد وقف خطيبا بين الناس وهو يجلجل برنيه في شدة لا تقبل نزاعا وشاعت الحياة في الناس من جديد فتكلموا وتحدثوا . في كلام عمر والتف بعضهم حوله

وأكبر الظن أن قوله وقع من أكثرهم موقع الاستغراب والتكذيب ، وحاول جماعة منهم أن يجادلوه في رأيه ولكنه بقي شديدا في قوله ثابتا عليه والناس يتكاثرون حوله ويتكلمون في شأنه ويعجبون لحاله من كان) : حتى جاء أبو بكر ، وكان حين توفي النبي في منزله بالسنح ، والتفت إلى الناس وقال .يعبد محمدا فإنه قد مات ، ومن كان يعبد الله فإنه حي لا يموت

) (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) : وقال (2) (إنك ميت وإنهم ميتون) : قال الله تعالى ، ولما سمع عمر ذلك أذعن واعترف بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : (كأني (3 . (4) (سمعتها – يعني الاية – (الان

ونحن لا نرى في هذه القصة ما يراه كثير من الباحثين من أن الخليفة كان بطل ذلك ا لظرف العجيب ، والرجل الذي تهيأت له معدات الخلافة بحكم موقفه من رأي عمر ، لأن المسألة ليست والأهمية بهذ ا الحد ولم

* (هامش) *

، وفيه : وكان عمر يتوعد الناس بالقتل ، 233 - 232 : 2تاريخ الطبري (1)

الشهرستاني ١ : ٢٩ . . . قال عمر بن الخطاب : من قال : (إن محمدا قد مات /الملل والنحل
. (. . . قتلته بسيفي هذا
. 31 ، 30 /الزمر (2)
. 144 /آل عمران (3)
(*) . 233 - 232 : 2تاريخ الطبري (4)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٧٣ -

يحدثنا التاريخ عن شخص واخذ انتصر لعمر في رأيه ، فلم يكن إلا رأيا شخصيا لا خطر له ولا شأن للقضاء عليه . وقد يكون من حق البحث أن الاحظ أن شرح الخليفة لحقيقة الحال في خطابه الذي وجهه إلى الناس كان شرحا باهتا في غير حد

لا يبدو عليه من مشاعر المسلمين المتحرقة في ذلك اليوم شئ ، بل لم يزد في بيان الفاجعة الكبرى . (إن من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات) : على أن قال

وقد كان الموقف يتطلب من أبي بكر إذا كان يريد أن يقدم في نفسه زعيما لتلك الساعة تأبينا للفقيد الأعظم يتفق مع العواطف المتدفقة بالذكريات الحسرات يومئذ.

ومن الذي كان يعبد سيد الموحدين حتى يقول من كان يعبد محمدا فإنه قد مات ؟
وهل كان في كلام عمر معنى يدل على أنه كان يعبد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

أو كانت قد سرت موجة من الارتداد والألحاد في ذلك المجتمع المؤمن الذي كان يعتصر دموعه من ذكرياته ، وصبره ، وتماسكه من عقيدته حتى يعلن لهم أن الدين ليس محدودا بحياة رسول الله لأنه ليس بالأله المعبود .

إذن فلم يكن لكلام أبي بكر الذي خاطب به الناس صلة بموقفهم ولا علاقة برأي عمر ، ولا انسجام مع عواطف المسلمين في ذلك اليم وشؤونهم ، وقد سبقه به غيره ممن حاول مناقشة الفاروق كما سيأتي .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٧٣ -

(مسألة السقيفة وموقف الأمام علي عليه السلام)

وكان يعاصر هذا الاجتماع الذي تكلمنا عنه اجتماع آخر للأنصار عقدوه في سقيفة بني ساعدة برئاسة سعد بن عبادة زعيم الخزرج ودعاهم فيه إلى إعطائه

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٧٤ -

. (1)الرئاسة والخلافة فأجابوه

ثم ترادوا الكلام فقالوا : (فإن أبى المهاجرون وقالوا : نحن أولياؤه وعترته ، فقال قوم من الأنصار فهذا أومل الوهن ، وسمع عمر الخبر ، فأتى منزل رسول : نقول : منا أمير ومنكم أمير ، فقال سعد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه أبو بكر

فأرسل إليه أن اخرج إلي ، فأرسل إني مشغول ، فأرسل إليه عمر أن اخرج فقد حدث أمر لا بد أن تحضره ، فخرج فأعلمه الخبر ، فمضيا مسرعين نحوهم ومعهما أبو عبيدة ، وفتكلم أبو بكر فذكر قرب المهاجرين من رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم وأنهم أولياؤه وعتره ، ثم قال : نحن الامراء وأنتم الوزراء لا نفتات عليكم بمشورة ، ولا نقضي دونكم الامور ، فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال : يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس في ظلكم ولن يجترئ مجترئ على

خلافكم ولا يصدر أحد إلا عن رأيكم ، أنتم أهل العزة والمنعة واولو العدد والكثرة وذوو البأس والنجدة وإنما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فتفسد عليكم اموركم فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنهم أمير ، فقال عمر : هيهات لا يجتمع

سيفان في غمد ، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولا تمتنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة منهم ، من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته . فقال الحباب بن منذر : يا معشر الأنصار املكوا أيديكم ولا تسمعوا مقالة

هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم فاجلوهم من هذه البلاد وأنتم أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسيافكم دان الناس بهذا الدين أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أنا أبو شبل في عرينة الأسد ، والله إن شئتم لنعيدها

* (هامش) *

(*) . 233 : 2تاريخ الطبري (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٧٥ -

. جذعة ، فقال عمر : إذن يقتلك الله ، قال : بل إياك يقتل

فقال أبو عبيدة : يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر فلا تكونوا أول من بدل وغير ،

فقام بشير ابن سعد والد النعمان بن بشير فقال : يا معشر الأنصار ألا إن محمدا من قريش وقومه . أولى به وايم الله لا يراني الله انازعهم هذا الأمر

والله لا نتولى هذا ، الأمر عليك :فقال أبو بكر : هذا عمر وأبو عبيدة بايعوا أيهما شئتم ، فقالا وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة وهي أفضل الدين ، ابسط يدك . فلما بسط يده ليبايعاه سبقهما بشير بن

سعد فبايعه ، فناداه الحباب ابن المنذر يا بشير غفتك غفاق ، أنفست على ابن عمك الأمارة ؟ فقال اسيد ابن خضير رئيس الأوس لأصحابه : والله لئن لم تبايعوا ليكونن للخزرج عليكم الفضيلة أبدا ، (1)وبايعوا أبا بكر وأقبل الناس يبايعونه من كل جانب

ونلاحظ في هذه القصة أن عمر هو الذي سمع بقصة السقيفة واجتماع الأنصار فيها وأخبر أبا بكر بذلك ، وما دمنا نعلم أن الوحي لم ينزل عليه بذلك النبأ فلا بد أنه ترك البيت النبوي بعد أن جاء أبو بكر وأقنعه بوفاة النبي ، فلماذا ترك البيت ؟

ولماذا اختص أبا بكر بنبأ السقيفة ؟ إلى كثير من هذه النقاط التي لا نجد لها تفسيرا معقولا أولى من أن يكون في الأمر اتفاق سابق بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة على خطة معينة في موضوع . الخلافة ، وهذا التقدير التاريخي قد نجد له شواهد عديدة تجيز لنا افتراضه

تخصيص عمر لأبي بكر بنبأ السقيفة كما سبق ، وإصراره على استدعائه بعد اعتذاره بأنه (الأول) مشغول حتى أشار إلى الغرض ولمح إليه ، خرج

* (هامش) *

ابن أبى الحديد ١ : ١٢٧ – ١٢٨ ، طبعة دار الكتب العربية الكبرى – مصطفى /شرح نهج البلاغة (1) ، (البابي الحلبي . (الشهيد

(*) . 243 : 2تاريخ الطبري : وراجع

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٧٦ -

، وكان من الممكن أن يطلب غيره من أعلام المهاجرين (1)مسرعا وذهبا على عجل إلى السقيفة بعد اعتذاره عن المجي ، فهذا الحرص لا يمكن أن نفسره بالصداقة التي كانت بينهما ، لأن المسألة لم تكن مسألة صداقة ، ولم يكن أمر منازعة الأنصار يتوقف على أن يجد عمر صديقا له بل على أن يستعين بمن يوافقه في أحقية المهاجرين أيا كان .

ولا ننسى أن نلاحظ أنه أرسل رسولا إلى أبي بكر ، ولم يذهب بنفسه ليخبره بالخبر خوفا ممن انتشاره في البيت وتسامع الهاشميين أو غيرها الهاشميين به ، وقد طلب من الرسول في المرة الثانية أن يخبره بحدوث أمر لابد أن يحضره .

ونحن لا نرى حضور أبي بكر لازما في ذلك الموضوع إلا إذا كانت المسألة مسألة خاصة وكان الهدف تنفيذ خطة متفق عليها سابقا)2 (.

موقف عمر من مسألة وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وادعاؤه أنه لم يمت ، ولا (الثاني) يستقيم في تفسيره ، أن نقول إن عمر ارتبك في ساعة الفاجعة ، وفقد صوابه وادعى ما ادعى ، لأن حياة عمر كلها تدل على أنه ليس من هذا الطراز ، وخصوصا موقفه الذي وقفه في السقيفة بعد تلك القصة مباشرة .

* (هامش) *

(1) تاريخ الطبري 2 : 242 .

، وفيه : عن الحميري . . . قال : (فحلف رجال أدركناهم من 234 : 2تاريخ الطبري : راجع (2) أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ما علمنا أن الايتين نزلتا حتى قرأهما أبوبر يومئذ ، إذ جاء رجل يسعى فقال : هاتيك الأنصار قد اجتمعت في ظلة بني ساعدة ،

يبايعون رجلا منهم ، يقولون منا أمير ومن قريش أمير ، قال : فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتياهم ، فأراد عمر أن يتكلم ، فنهاه أبو بكر ، فقال : عمر لا أعصي خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يوم مرتين . . .)

يعني في المرة الاولى إعلانه موت النبي ، وهذه المرة الثانية ، ولاحظ تعبيره (خليفة النبي) قبل حصول البيعة (الفلتة) على ما قاله لاحقا ، كما في ٢ : ٢٣٥ . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٧٧ -

فالذي تؤثر المصيبة عليه إلى حد تفقده صوابه لا يقف بعدها بساعة يحاجج ويجادل ويقاوم ويناضل (1) .

ونحن نعلم أيضا أن عمر لم يكن يرى ذلك الرأي الذي أعلنه في تلك الساعة الحرجة قبل ذلك بأيام أو بساعات حينما اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرض وأراد أن يكتب كتابا لا يضل ، أو قد غلب عليه (2)إن كتاب الله يكفينا وأن النبي يهجر :الناس بعده ، فعارضه عمر وقال . الوجع كما في صحاح السنة

فكان يؤمن بأن رسول الله يموت وأن مرضه قد يؤدي إلى موته وإلا لما اعترض عليه وقد جاء في تاريخ ابن كثير أن عمر بن زائدة قرأ الاية التي قرأها أبو بكر على عمر قبل أن يتلوها أبو بكر فلم يقتنع عمر وإنما قبل كلام أبي بكر خاصة واقتنع

فما يكون تفسير هذا كله إذا لم يكن تفسيره إن عمر شاء أن يشيع الاضطراب بمقالته بين (3)به الناس لينصرفوا إليها
وتتجه الأفكار نحوها تفنيدا أو تأييدا ما دام أبو بكر غائبا ، لئلا يتم في أمر الخلافة شئ ويحدث أمر لا بد أن يحضره أبو بكر

على حد تعبيره – وبعد أن أقبل أبو بكر اطمأن باله ، وأمن من تمام البيعة للبيت ا لهاشمي ما - دام للمعارضة صوت في الميدان ، وانصرف إلى تلقط الأخبار حادسا بما سيقع ، فظفر بخبر ما . كان يتوقعه

* (هامش) *

. 235 : 2تاريخ الطبري : راجع (1)

كتاب العلم – باب كتابة العلم ، و ٨ : ١٦١ ، كتاب 37 : 1راجع الرواية في صحيح البخاري (2)
. الاعتصام – طبعة دار العامرة – استانبول ، دار الفكر – بيروت
(*) . نشر دار الكتب العلمية – بيروت - 213 :ابن كثير ٥ /البداية والنهاية (3)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٧٨ -

شكل الحكومة التي تمخضت عنها السقيفة ، فقد تولى أبو بكر الخلافة ، وأبو عبيدة (الثالث)
. (1)المال ، وعمر القضاء

وفي مصطلحنا اليوم أن الأول تولى السياسة العليا ، والثاني تولى السياسة الاقتصادية ، والثالث
. تولى السلطات القضائية ، وهي الوظائف الرئيسية في مناهج الحكم الأسلامي

وتقسيم المراكز الحيوية في الحكومة الأسلامية يومئذ بهذا الاسلوب على الثلاثة الذين قاموا بدورهم
. المعروف في سقيفة بني ساعدة لا يأتي بالصدفة على الأكثر ولا يكون مرتجلا

وليست كفاءة أبي . (2) (لو كان أبو عبيدة حيا لوليته) : قول عمر حين حضرته الوفاة (الرابع)
عبيدة هي التي أوحت إلى عمر بهذا التمني ، لأنه كان يعتقد أهلية علي للخلافة ومع ذلك لم يشأ
. (3)أن يتحمل أمر الامة حيا وميتا

وليست أمانة أبي عبيدة التي شهد له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها – بزعم الفاروق – هي
السبب في ذلك ، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخصه بالأطراء ، بل كان في رجالات
(4)المسلمين يو مئذ من ظفر بأكثر من ذلك من ألوان الثناء النبوي

* (هامش) *
الأزهرية ١٣٠١ / هـ . (الشهيد) / ابن الأثير ٢ : ١٧٦ الطبعة الاولى – مصر /الكامل في التاريخ (1)
، لما ولي أبو بكر قال له أبو عبيدة : أنا أكفيك المال ، وقال له عمر : أنا أكفيك القضاء . . . وكان على
. مكة عتاب بن اسيد

طبعة مصطفى البابي – مصر (الشهيد) ، وراجع تاريخ 64 : 1ابن أبي الحديد /شرح نهج البلاغة (2)
، أخرج رواية عن الأودي قال : (إن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له : يا أمير 580 : 2الطبري
. (. . . المؤمنين ، لو استخلفت ، قال : من أستخلف ؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا استخلفته

. (البلاذري ٥ : ١٦ (الشهيد / ، الأنساب 580 : 2راجع تاريخ الطبري (3)

وما بعدها ، ففيه مناقب علي عليه السلام والثناء 356 : 17مختصر تاريخ ابن عساكر : راجع مثلا (4) عليه ،
المسعودي ٢ : ٤٣٧ ، مطبعة السعادة ط ٢ – /النسائي : ٧٢ ح ١١٣ ، مروج الذهب /الخصائص
(*) . مصر / ١٩٤٨ م

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٧٩ -

. كما تقرر ذلك صحاح السنة والشيعة

. اتهام الزهراء للحاكمين بالحزبية السياسية ، كما سنرى في الفصل الاتي (الخامس)

صلوات الله عليه – للفاروق رضى عنه الله : احلب يا عمر حلبا - قول أمير المؤمنين (السادس)
. (1)لك شطره اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غدا

ومن الواضح أنه يلمح إلى تفاهم بين الشخصين على المعونة المتبادلة واتفاق سابق على خطة معينة ، وإلا فلم يكن يوم السقيفة نفسه ليتسع لتلك المحاسبات السياسية التي تجعل لعمر شطرا من الحلب .

ما جاء في كتاب معاوية بن أبي سفيان إلى محمد بن أبي بكر (رضوان الله عليه) في (السابع) اتهام أبيه وعمر بالاتفاق على غصب الحق العلوي والتنظيم السري لخطوط الحملة على الأمام ، إذ فقد كنا وأبوك نعرف فضل ابن : قال له فيما قال

أبي طالب وحقه لازما لنا مبرورا علينا ، فلما اختار الله لنبيه (عليه الصلاة والسلام) ما عنده وأتم وعده وأظهر دعوته فابلج حجته وقبضه إليه (صلوات الله عليه) كان أبوك والفاروق أول من ابتزه حقه وخالفه على أمره ، على ذلك اتفقا واتسقا ، ثم إنهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ
. (2)عليهما فهما به الهموم وأراد به العظيم

* (هامش) *
الطبعة المحققه ، و ٢ : ٥ ، من الط بعة - 11 : ابن أبي الحديد ٦ /شرح نهج البلاغة : راجع (1)
. (المصرية – مطبعة مصطفى البابي الحلبي (الشهيد

تحقيق شارل پلا – بيروت / ١٩٧٠ كتاب معاوية إلى محمد - السمعودي ٣ : ١٩٩ /مروج الذهب (2)
(*) . بن أبي بكر : إن أباك أول من ابتزه حقه

ونحن نلاحظ بوضوح عطفه طلب أبي بكر وعمر رضى عنه الله للبيعة من الأمام بـ (ثم) على كلمتي اتفقا واتسقا وهو قد يشعر بأن الحركة انت منظمة بتنظيم سابق ، وأن الاتفاق على الظفر بالخلافة كا ن سابقا على الأيجابيات السياسية التي قاما بها في ذلك اليوم .

ولا اريد أن أتوسع في دراسة هذه الناحية التاريخية أكثر من هذا ، ولكن هل لي أن ألا حظ في ضوء ذلك التقدير التاريخي ، أن الخليفة لم يكن زاهدا في الحكم كما صوره كثير من الباحثين ، بل قد نجد في نفس المداورة التي قام بها الخليفة في

السقيفة دليلا على تطلعه للأمر ، فإنه بعد أن أعلن الشروط الأساسية للخليفة شاء أن يحصر اللذين لن يتقدما عليه ، وكانت (1)المسألة فيه فتوصل إلى ذلك بأن ردد الأمر بين صاحبيه النتيجة الطبيعية لهذا الترديد أن يتعين وحده للأمر .

فهذا الأسراع الملحوظ من الخليفة إلى تطبيق تلك الصورة التي قدمها للخليفة الشرعي في رأيه على صاحبيه خاصة الذي لم يكن يؤدي إلا إليه ، كان معناه أنه أراد أن يسلب الخلافة من الأنصار ، ويقر ها في شخصه في آن واحد ، ولذا لم يبد ترددا

أو ما يشبه التردد لما عرض الأمر عليه صاحباه . وعمر نفسه يشهد لأبي بكر بأنه كان مداورا سياسيا بارعا في يوم السقيفة في حديث طويل له يصفه فيه بأنه أحسد قريش (2) .

* (هامش) *
إني رضيت لكم أحد هذين الرجلين : عمر أو أبا عبيدة) : قال أبو بكر 233 : 2راجع تاريخ الطبري (1)
. . .) .
(*) (ابن أبي الحديد ١ : ١٢٥ طبعة مصطفى البابي – مصر (الشهيد /شرح نهج البلاغة (2)

ونجد فيما يروى عن الخليفتين في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يدل على هوى سياسي في نفسيتهما ، وأنهما كانا يفكران في شئ على أقل تقدير .

إن منكم من يقاتل على) : فقد ورد في طرق العامة أن ر سول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، فقال أبو بكر : أنا هو يا رسول الله ، قال : لا ، قال عمر : أنا هو يا رسول الله ، قال : لا ولكن خاصف النعل – يعني عليا) (1) .

والمقاتلة على التأويل إنما تكون بد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والمقاتل لا بد أن يكون أمير الناس ، فتلهف كل من أبي بكر وعمر على أن يكون المقاتل على التأويل مع أن القتال على التنزيل كان متيسرا لهما في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يشاركا فيه بنصيب قد يدل على ذلك الجانب الذي نحاول أن نستكشفه في شخصيتهما .

بل اريد أن أذهب إلى أكثر من هذا فالاحظ أن اناسا متعددين كانوا يعملون في صالح أبي بكر وفي مقدمتهم عائشة وحفصة اللتان (2)وعمر

* (هامش) *

(1) /الصواعق المحرقة ابن حجر : ١٢٣ ط ٢ / مكتبة القاهرة / ١٩٦٥ ، مسند الأمام أحمد ٣ : ٣٣ ، النسائي /كنز العمال ١٥ : ٩٤ ، ط ٢ حيدر آباد – الدكن – الهند / ١٩٦٨ ، خصائص أمير المؤمنين : الشافعي (ت ٣٠٣ هـ) : ١٣١ ، طبعة طهران ، راجع التاج الجامع للاصول 3 : 336 .

(2) قال الشهيد الصدر (معلقا) : وقد سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما هدد طائفة من قريش برجل من قريش امتحن الله قلبه للأيمان يضرب رقابهم على الدين ، إن ذلك الرجل هل هو أبو بكر ؟ فقال : لا ، فقيل : عمر ؟ قال : لا . . . إلخ .

، والرواية تهمل اسم السائل الذي توهم أن الشخص ا لذي وصفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أبو بكر أو عمر ، وإذا لم يكن أبو بكر وعمر معروفين بشجاعة وبسا لة في المشاهد الحربية على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا بد أن أمرا آخر دعى السائل إلى أن يسأل ذ ينك السؤالين والبقية أتركها لك . (*) مسند الأمام أحمد 3 : 33

أسرعتا باستدعاء والديهما عندما طلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبيبه في لحظاته الأخيرة التي كانت تجمع دلائل الظروف على أنها الظرف الطبيعي للوصية ولا بد أنهما هما اللتان (1) عنتهما الرواية التي تقول إن بعض نساء النبي أرسلن رسولا إلى اسامة لتأخيره عن السفر (2) .

فإذا علمنا هذا ، وعلمنا أن هذا لم يكن بإذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلا لما أمره بالأسراع ، وأن سفره مع من معه كان يعيق عن تحقق النتائج التي (3) بالرحيل لما قدم عليه بعد ذلك انتجها يوم السقيفة ، خرجت لدينا قضية مرتبة الحلقات على اسلوب طبيعي يعزز ما ذهبنا إليه من رأي .

ومذهب الشيعة في تفسير ما قام به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تجنيد جيش اسامة معروف ، وهو أنه أحس بأن اتفاقا ما بين جملة من أصحابه على أمر معين ، وقد يجعل هذا الاتفاق منهم جبهة معارضة لعلي .

ونحن إن شككنا في هذا فلا نشك في أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد جعل أبا بكر وعليا في كفتي الميزان مرارا أمام المسلمين جميعا ليروا بأعينهم أنهما لا يستويان في الميزان العادل . وإ لا من قراءة التوبة (4) فهل ترى إعفاء أبي بكر

* (هامش) *

(1) باب ٥٤ ، وأيضا في مختصر تاريخ ابن عساكر 145 : النسائي ٥ /راجع الرواية في سنن الكبرى 18 / 21 .

(2) الشهيد) الطبعة القديمة – المصرية – مصطفى البابي) 53 : 1ابن أبي الحديد /شرح نهج البلاغة الحلبي .

(3) في مسألة بعث اسامة ، وطلب الأسراع بتنفيذ الحملة التي أمر فيها النبي اسامة بن زيد على شيوخ المهاجرين والأنصار .
250 -ابن سعد ٢ : ٢٤٨ / ، الطبقات الكبرى 218 : 2راجع الكامل في التاريخ .

(4) في قصة إعفاء الخليفة الأول أبي بكر عن مهمة تبليغ سورة براءة وإرسال علي بن أبي طالب لتنفيذ المهمة ،
راجع : /الزمخشري ٢ : ٢٤٣ ، الصواعق المحرقة / ، الكشاف 3 : 1مسند الأمام أحمد بن حنبل (*) . حجر : ٣٢ ، طبعة القاهرة

على الكافرين بعد أن كلف بذلك أمرا طبيعيا ؟ ولماذا انتظر الوحي وصول الصديق إلى منتصف الطريق لينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويأمره باسترجاعه وإرسال علي للقيام بالمهمة ؟ أفكان عبثا أو غفلة أو أمرا ثالثا ؟

وهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحس بأن المنافس المتحفز لمعارضة ابن عمه ووصيه هو أبو بكر ، فشاء وشاء له ربه تعالى أن يرسل أبا بكر ثم يرجعه بعد أن يتسامع الناس جميعا ليوضح (1)بإرساله ليرسل عليا الذي هو كنفسه

للمسلمين مدى الفرق بين الشخصين وقيمة هذا المنافس الذي لم يأتمنه الله على تبليغ سورة إلى جماعة ، فكيف بالخلافة والسلطنة المطلقة ؟ !

: إذن فنخرج من هذا العرض الذي فرض علينا الموضوع أن نختصره بنتيجتين

. أن الخليفة كان يفكر في الخلافة ويهواها وقد أقبل عليها بشغف ولهفة (الأولى)

أن الصديق والفاروق وأبا عبيدة كانوا يشكلون حزبا سياسيا مهما لا نستطيع أن نضع له (الثانية) صورة واضحة الخطوط ، ولكنا نستطيع أن نؤكد وجوده بدلائل متعددة ، ولا أرى في ذلك ما ينقص من شأنهم أو يحط من مقامهم ، ولا بأس عليهم أن

يفكروا في امور الخلافة ويتفقوا فيها على سياسة موحدة إذا لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نص في الموضوع ، ولا يبرؤهم

* (هامش) *

الزمخشري ١ : ٣٦٨ . وكما هو مقتضى آية المباهلة ، /الكشاف : راجع (1)

*) . ابن حجر : ١٥٦ ، أخرج الدار قطني احتجاج الأمام على القوم وإنه كنفس النبي /الصواعق المحرقة)

من (1)إذا كان النص ثابتا بعدهم عن الهوى السياسي وارتجال فكرة الخلافة في ساعة السقيفة المسؤولية أمام الله وفي حكم الضمير .

* (هامش) *

(. . إن بيعة أبي بكر كانت فلتة غير أن الله وقى شرها) : إشارة إلى قولة الخليفة عمر بن الخطاب (1)
تاريخ الطبري2 : 235 .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٨٤ -

(تحليل الموقف في قصة السقيفة)

لست الان بصدد تحليل الموقف الذي اشتبك فيه الأنصار مع أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وشرح ما يدل عليه من نفسية
على الاصول العميقة في (2)المجتمع الأسلامي ومزاجه السياسي ، وتطبيق قصة السقيفة الطبيعة العربية ، فإن ذلك كله

خارج عن الحدود القريبة للموضوع ، وإنما اريد أن الاحظ أن الحزب الثلاثي الذي قدر له أن يلي الامور يومئذ كان له معارضون على ثلاثة أقسام:

الأول : الأنصار الذين نازعوا الخليفة وصاحبيه في سقيفة بني ساعدة ووقعت بينهم المحاورة السابقة (3)التي انتهت بفوز قريش بسبب تركز فكرة الوراثة الدينية في الذهنية العربية وانشقاق الأنصار على أنفسهم ، لتمكن النزعة القبلية من نفوسهم .

الثاني : الامويون الذين كانوا يريدون أن يأخذوا من الحكم بنصيب ويسترجعوا شيئا من مجدهم في الجاهلية وعلى رأسهم أبو سفيان (4)السياسي .

* (هامش) *

راجع : (2) السقيفة والخلافة/ ٢٦٤ : عبد الفتاح عبد المقصود .
راجع : (3) تاريخ الطبري2 : 243 .
(4) حدثنا أبو : قال ، ٢٣٧ : ٢ المصدر السابق

عن ابن الحر قال : قال أبو سفيان لعلي : ما بال هذا الأمر - قتيبة ، قال : حدثنا مالك – يعني ابن مغول في أقل حي من قريش ! والله لو شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالا ! قال : فقال علي : يا أبا سفيان ، طالما عاديت الأسلام وأهله . . .) .

الهاشميون وأخصاؤهم كعمار وسلمان وأبي ذر والمقداد رضوان الله عليهم وجماعات من الناس (1) الذين كانوا يرون البيت الهاشمي هو الوارث الطبيعي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحكم الفطرة ومناهج السياسة التي كانوا يألفونها .

واشتبك أبو بكر وصاحباه في النزاع مع القسم الأول في سقيفة بني ساعدة ، وركزوا في ذلك الموقف دفاعهم عما زعموا من حقوق على نقطة كانت ذات وجاهة في نظر كثير من الناس ، فإن قريشا ما فهي أولى به من سائر المسلمين (2) د امت عشيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاصته وأحق بخلافته وسلطانه .

وقد انتفع أبو بكر وحزبه باجتماع الأنصار في السقيفة من ناحيتين :

أن الأنصار سجلوا على أنفسهم بذلك مذهبا لا يسمح لهم بأن يقفوا بعد ذلك إلى صف (الاولى) علي ويخدموا قضيته بالمعنى الصحيح كما سنوضحه قريبا .

أن أبا بكر الذي خدمته الظروف فأقامت منه المدافع الوحيد عن حقوق المهاجرين في (الثانية) مجتمع الأنصار لم يكن ليتهيأ له ظرف أوفق

* (هامش) *

(1) تاريخ الطبري 2 : 233 .

(2) المصدر نفسه ٢ : ٢٤٣ ، قولة الخليفة الأول : (من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مذ دل بباطل أو متجانف لأثم . . .) . (*)

بمصالحه من ظرف السقيفة ، إذ خلا الموقف من أقطاب المهاجرين الذين لم يكن لتنتهي المسألة في محضرهم إلى نتيجتها التي سجلتها السقيفة في ذلك اليوم .

وخرج أبو بكر من السقيفة خليفة وقد بايعه جمع من المسلمين الذين أخذوا بوجهة نظره في مسألة الخلافة أو عز عليهم أن يتولاها سعد بن عبادة.

ولم يعبأ الحاكمون بمعارضة الامويين وتهديد أبي سفيان وما أعلنه من كلمات الثو رة بعد رجوعه من سفره الذي بعثه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجباية الأموال ، لعلمهم بطبيعة النفس الاموية وشهواتها السياسية والمادية .

فكان من السهل كسب الامويين إلى جانب الحكم القائم كما صنع أبو بكر فأباح لنفسه أو أباح له ، أن يدفع لأبي سفيان جميع ما في يده من أموا ل (1)عمر بتعبير أصح كما تدل الرواية بعد ذلك حظا من العمل الحكومي في عدة من (3)ثم جعل للامويين (2)المسلمين وزكواتهم المرافق الهامة .

وهكذا نجح الحزب الحاكم في نقطتين ، ولكن هذا النجاح جره إلى تناقض سياسي واضح ، لأن ظروف السقيفة كانت تدعو الحاكمين إلى أن يجعلوا للقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم حسابا في مسألة الخلافة ويقروا مذهب

* (هامش) *

(1) شرح نهج البلاغة راجع/ ١ ابن أبي الحديد : 130 لشهيد ا . (طبعة القاهرة – مصطفى البابي)

(2) قد نستطيع أن نجيب في ضوء هذه القصة عما عرض لنا من سؤال في بداية هذا الفصل عن موقف الخليفتين لو قدر لهما أن يقفا موقف علي الذي كان يفرض عليه أن يغري كثيرا من أمثال أبي سفيا ن بالمال والجاه . (الشهيد)

(3) تاريخ الطبري راجع2 : 237 : ما لنا ، قال : أخرج عن ثابت قال : لما استخلف أبو بكر قال أبو سفيان ولأبي فصيل ، إنما هي بنو عبدمناف ! قال : فقيل له : إنه قد ولى ابنك ، قال – أي أبو سفيان – : وصلته رحم . . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٨٧ -

. الوراثة للزعامة الدينية

غير أن الحال تبدلت بعد موقف السقيفة والمعارضة اتخذت لها لونا جديدا وواضحا كل الوضوح يتلخص في أن قريشا إذا كانت أولى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سائر العرب لأنه منها . فبنو هاشم أحق بالأمر من بقية قريش

وهذا ما أعلنه علي حين قال : إذا احتج عليهم المهاجرون بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت الحجة لنا على لمهاجرين بذلك قائمة ، فإن فلجت حجتهم كانت لنا دونهم وإلا فالأنصار ، (1)على دعوتهم

وأوضحه العباس لأبي بكر في حديث له معه إذ قال له : وأما قولك نحن شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنكم جيرانها ونحن أغصانها (2) .

وقد كان علي الذي تزعم معارضة الهاشميين مصدر رعب شديد في نفوس الحاكمين ، لأن ظروفه أحدهما ضم - : الخاصة كانت تمده بقوة على لونين من العمل الأيجابي ضد الحكومة القائمة الأحزاب المادية إلى جانبه كالامويين والمغيرة بن شعبة

وأمثالهم ممن كانوا قد بدأوا يعرضون أصواتهم للبيع ويفاوضون الجهات المختلفة في اشترائها بأضخم الأثمان ، كما نعرف ذلك من كلمات أبي سفيان التي واجه بها خلافة السقيفة يوم وصوله إلى المدينة ، وحديثه مع علي وتحريضه له على الثورة

3)، وميله إلى جانب الخليفة ، وسكوته عن المعارضة حينما تنازل له الخليفة عن أموال المسلمين التي كان قد جباها (

* (هامش) *

(1) ابن أبي الحديد ٦ : ٥ /شرح نهج البلاغة .

(2) المصدر نفسه ٦ : ٥ .

(3) ابن أبي الحديد ١ : ١٣٠ ، طبعة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة /شرح نهج البلاغة (*) .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٨٨ -

في سفره ، وموقف عتاب بن اسيد الذي سنشير إلى سره في هذا الفصل . وإذن فقد كان الهوى المادي مستوليا على جماعة من الناس يومئذ .

ومن الواضح أن عليا كان يتمكن من إشباع رغبتهم بما خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الخمس وغلات أراضيه في المدينة وفدك التي كانت ذات نتاج عظيم كما عرفنا في الفصل السابق . والطور الاخر من المقاومة التي كان علي مزودا

بإمكانياتها ما لمح إليه بقوله : (احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة) ، وأعني بذلك أن الفكرة العامة على تقديس أهل ا لبيت والاعتراف لهم بالامتياز العظيم بقربهم من رسول (1)يومئذ التي أجمعت الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت سندا قويت

للمعارضة وقد رأى الحزب الحاكم أن موقفه المادي حرج جدا ، لأن أطراف المملكة التي تجبى منها الأموال لا تخضع للحكم الجديد إلا إذا استقرت دعائمه في العاصمة ، والمدينة بعد لم تخضع له خضوعا إجماعيا . ولئن كان أبو سفيان أو غير

أبي سفيان قد باع صوته للحكومة ، فمن الممكن أن يفسخ المعاملة إذا عرض عليه شخص آخر اتفاقا أكثر منها ربحا ، وهذا ما كان يستطيع علي أن يقوم به في كل حين . فيجب والحالة هذه أن تنتزع من علي الذي لم يكن مستعدا للمقابلة في تلك

الساعة الأموال التي صارت مصدرا من مصا در الخطر على مصالح الحزب الحاكم ليضمن بقاء

* (هامش) *

(1) شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٦ : ٢١ ، روى الزبير بن بكار ، قال : روى محمد بن إسحاق أن أبا بكر لما بويع افتخرت تيم بن مرة ، قال : وكان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أن عليا هو (*) . صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٨٩ -

الأنصار على نصرتهم ، وعدم قدرة المعارضين على إنشاء حزب من أصحاب المطامع والأهواء . يومذاك

ولا يجوز أن نستبعد هذا التقدير لسياسة الفئة المسيطرة ما دام منطبقا على طبيعة السياسة التي لا بد من انتهاجا . وما دمنا نعلم أن الصديق اشترى صوت الحزب الاموي بالمال ، فتنازل لأبي سفيان عن جميع ما كان عنده من أموال المسلمين ،

وبالجاه أيضا إذ ولى ابن أبي سفيان ، فقد جاء أن أبا بكر لما استخلف قال أبو سفيان : ما لنا ولأبي فصيل إنما هي بنو عبد مناف ، فقيل له أنه قد ولى ابنك قال : وصلته رحم (1) .

فلا غرابة في أن ينتزع من أهل البيت أموالهم المهمة ليركز بذلك حكومته ، أو أن يخشى من علي عليه السلام أن يصرف حاصلات فدك وغير فدك على الدعوة إلى نفسه .

وكيف نستغرب ذلك من رجل كالصديق وهو الذي قد اتخذ المال وسيلة من وسائل الأغراء ، واكتساب الأصوات حتى اتهمته بذلك معاصرة له من مؤمنات ذلك الزمان فقد ورد أن الناس لما اجتمعو ا على أبي بكر قسم قسما بين نساء المهاجرين

والأنصار ، فبعث إلى امرأة من بني عدي بن النجار قسمها مع زيد بن ثابت فقالت : ما هذا ؟ قال (2): قسم قسمه أبو بكر للنساء ، قالت : أتراشوني عن ديني ؟ والله لا أقبل منه شيئا . فردته عليه) .

هذا المال (وأنا لا أدري من أين جاء إلى الخليفة (رضي الله تعالى عنه

* (هامش) *

(طبعة المكتبة العلمية . (الشهيد 237 : 2تاريخ الطبري : راجع (1)

. ابن سعد ٣ : ١٨٢ /، الطبقات الكبرى (ابن أبي الحديد ١ : ١٣٣ . (الشهيد /شرح نهج البلاغة (2)

(*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٩٠ -

وحد ها ، إن لم يكن من (1)ما دامت الزكوات التي جمعها الساعي قد صارت من نصيب بطنه بقية الأموال التي خلفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان أهل البيت يطالبون بها .

وسواء أصح هذا التقدير أو لا ، فإن المعنى الذي نحاول فهمه من هذه الرواية هو أن بعض معاصري الصديق أحس ٤٠ بما نحس به على ضوء معلوماتنا التاريخية عن تلك الأيام . ولا ننسى أن نلاحظ أن الظروف الاقتصادية العامة كانت تدعوا إلى

الارتفاع بمالية الدولة والاهتمام بإكثارها استعدادا للطوارئ المترقبة ، فلعل هذا حدى بالحاكمين إلى انتزاع فدك ، كما يتبين
فيه عن تسليم فدك إلى الزهراء ويعلل ذلك (2)ذلك بوضوح من حديث لعمر مع أبي بكر يمنعه

بأن الدولة في حاجة إلى المال لأنفاقه في توطيد الحكم ، وتأديب العصاة ، والقضاء على الحركات الانفصالية التي قد يقوم بها المرتدون .

ويظهر من هذا رأي للخليفتين في الملكية الفردية ، هو أن للخليفة الحق في مصادرة أموال الناس لأنفاقها في امور المملكة وشؤون الدولة العامة بلا تعويض ، ولا استئذان . فليس للفرد ملكية مستقرة لأمواله وعقاره في حال احتياج السلطات إلى شئ منها . وقد ذهب إلى هذا الرأي كثير من

* (هامش) *

يقصد من نصيب الساعي وهو أبو سفيان كما في الرواية التي أوردها ابن أبي الحديد في شرح النهج (1) : 1 : 130 طبعة القاهرة – مصطفى البابي الحلبي .

وقد روي أن أبا بكر لما شهد أمير المؤمنين عليه) ، 274 : 16ابن أبي الحديد /شرح نهج البلاغة (2) ، السيرة (. . . كتب بتسليمها إليها – إلى فاطمة – فاعترض عمر قضيته ، وخرق ما كتبه (السلام (بفدك (*) . 391 : 3الحلبية

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٩١ -

التي كانوا (1)الخلفاء الذين انتهى إليهم الأمر بعد أبي بكر وعمر ، فامتلأ تاريخهم بالمصادرات يقومون بها ، غير أن أبا بكر لم يطبق الرأي إلا في أملاك بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم - : خاصة . وقد تردد الحزب الحاكم في معالجة الاسلوب الثاني من المعارضة بين الثنتين

أن لا يقر للقرابة بشأن في الموضوع ، ومعنى هذا أنه ينزع عن خلافة أبي بكر ثوبها (إحداهما) الشرعي الذي ألبسها إياه

أن يناقض نفسه فيظل ثابتا على مبادئه التي أعلنها في السقيفة ، ولا يرى حقا (والاخرى) للهاشميين ولا امتيازا لهم في مقاييس الرجال ، أو يراه لهم ولكن في غير ذلك الظرف يكون معنى المعارضة فيه مقابلة حكم قائم ووضع تعاقد عليه الناس . واختارت الفئة المسيطرة أن تثبت على آرائها التي روجتها في مؤتمر الأنصار وتعترض على المعارضين بأن مخالفتهم بعد بيعة الناس المحرمة في عرف الأسلام (2)للخليفة ليست إلا إحداثا للفتنة .

* (هامش) *

جرى أكثر الخلفاء بالا . خص الامويين والعباسيين على تطبيق نظام المصادرات أو ما يعرف في (1) عصرنا (بالتأميم) أو الاستيلاء على الأموال المنقولة وغير المنقولة بأمر من الحاكم ، بعضها لأغراض اقتصادية – التأميم – وبعضها بسبب مخالفة من صودرت أموالهم للمدولة . راجع بحثا مفصلا عن العدد ١٥ / - المصادرات في التاريخ / الدكتور محمد سعيد رضا / مجلة كلية الاداب – جامعة البصرة ١٩٧٨ .

(*) . ابن الأثير /أحداث قصة السقيفة ، وراجعها في الكامل 235 - 234 : 2تاريخ الطبري (2)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٩٢ -

وهذا هو الاسلوب الوقتي الذي اتخذه الحاكمون للقضاء على هذا الجانب من المعارضة الهاشمية ، وقد ساعدتهم الظروف الأسلامية الخاصة يومئذ على نجاحه كما سنوضحه .

غير أننا نحس ونحن ندرس سياسة الحاكمين بأنهم انتهجوا منذ اللحظة الاولى سياسة معينة تجاة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم للقضاء على الفكرة التي أمدت الهاشميين بقوة على المعارضة كما خنقوا المعارضة نفسها .

ونستطيع أن نصف هذه السياسة بأنها تهدف إلى إلغاء امتياز البيت الهاشمي ، وإبعاد أنصاره والمخلصين له عن المرافق ٤١ الهامة في جهاز الحكومة الأسلامية يومئذ وتجريده عما له من الشأن والمقام الرفيع في الذهنية الأسلامية .

وقد يعزز هذا الرأي عدة ظواهر تاريخية :

سيرة الخليفة وأصحابه مع علي التي بلغت من الشدة أن عمر هدد بحرق بينه وإن كانت (الاولى) فاطمة فيه (1) ، ومعنى هذا إعلان أن فاطمة وغير فاطمة من آلها ليس لهم حرمة تمنعهم عن أن يتخذ معهم نفس الطريقة التي سار عليها مع سعد بن عبادة حين أمر الناس بقتله (2) .

ومن صور ذلك العنف وصف الخليفة لعلي بأنه مرب لكل فتنة وتشبيهه له بام طحال أحب إلى أهلها إليها البغي (3) ، وقد قال عمر لعلي بكل وضوح : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

* (هامش) *

(1) تاريخ الطبري 2 : 233 ، العقد الفريد / شرح ابن أبي الحديد : 16ابن عبدربه ٤ : ٢٤٢ وما بعدها . 47 - 48 .

(2) تاريخ الطبري 2راجع سعد 244 : 2 : في قصة السقيفة : . . . فقال ناس من أصحاب (انقوا سعدا لا

(. . . لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضدك :تطؤوه ، فقال عمر : اقتلوه قتله الله ، ثم قام على رأسه فقال .

(*) . 215 : 16شرح نهج البلاغة (3)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٩٣ -

. منا ومنكم

أن الخليفة الأول لم يشارك شخصا من الهاشميين في شأن من شؤون الحكم ا لمهمة ، ولا (الثانية) جعل فيهم واليا على شبر من المملكة الأسلامية الواسعة مع أن نصيب الامويين في ذلك كان عظيما(1) .

وأنت تفهم بوضوح أن هذا وليد سياسة متعمدة من محاورة وقعت بين عمر وبان عباس أظهر تخوفه من تولية الثاني حمص ، لأنه يخشى إذا صارد الهاشميون ولاة على أقطار المملكة الأسلامية أن يموت وهم كذلك فيحدث في أمر الخلافة ما لا يريد
(2) .

ونحن إذا عرفنا من رأي عمر أن ظفر ببيت من البيوت الطامحة إلى السلطان بالولاية في الأقطار الأسلامية يهيؤهم لنيل الخلافة والمركز الأعلى ، ولا حظنا أن الامويين ذوي الألوان السياسية الواضحة كان فيم ولاة احتلوا الصدارة في المجالات

الأدارية أيام أبي بكر وعمر ، وأضفنا إلى ذلك أنه كان يعلم على أقل تقدير بأن الشورى التي ابتكرها سوف تجعل من شيخ الامويين عثمان خليفة ، خرجنا بنتيجة مهمة وتقدير تاريخي تدل على صحته عدة من الظواهر ، وهو أن الخليفتين كانا يهيئان

للسلطان الاموي أسبابه ومعداته ، وهما يعلمان حق العلم أن إنشاء كيان سياسي من جديد للامويين خصوم بني هاشم القدامى معناه تقديم المنافس للهاشميين في

* (هامش) *

(1) تاريخ الطبري 2 : 337 ، ثم تولية الخليفة الأول معاوية بن أبي سفيان واقرب الولاية من قبل الخليفة الثاني .

(2) راجع مروج الذهب على هامش الجزء الخامس من تاريخ ابن الأثير ص ١٣٥ . (الشهيد . (*) ، طبعة دار الكتب العلمية578 : 2تاريخ الطبري

زعيم اموي ، وتطور المعارضة الفردية للبيت الهاشمي إلى معارضة بيت مستعد للنزاع والمناقشة أكمل استعداد .

ومن شأن هذه المعارضة أنها تطول وتتسع لأنها ليست متمثلة في شخص بل في بيت كبير ، ونستطيع أن نفهم من هذا أن سياسة الصديق وعمر هي التي وضعت الحجر الأساسي لملك بني امية (1) حتى يضمنا بذلك المنافس لعلي وآل ٤٢ علي على طول الخط .

عزل الخليفة لخالد بن سعيد بن العاص عن قيادة الجيش الذي وجهه لفتح الشام بعد أن (الثالثة) أسندها إليه لا لشئ إلا لأن عمر نبهه إلى نزعته الهاشمية وميله إلى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (2) ، وذكره بموقفه تجاههم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولو كنا نريد التوسع في دراسة هذه الناحية لعطفنا على هذه الشواهد قصة الشورى العمرية (3) التي نزل فيها عمر (رضي الله تعالى عنه) بعلي عليه السلام إلى صف أشخاص خمسة لا يكافئون عليا في شي من معانيه المحمدية ، وقد كان

الزبير وهو أحد الخمسة يرى يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الخلافة حق شرعي لعلي ، فلاحظ كيف انتزع عمر هذا الرأي من عقله وأعده للمنافسة بعد حين ، إذ جعله أحد الستة الذين فيهم علي .

* (هامش) *

(1) وهذا هو السر السياسي الذي غفل عنه الباحثون في قصة الشورى . وقد جاء عن عمر أنه هدد الستة ابن أبي /الذين وأوكل إليهم الأمر بمعاوية ، وتنبأ لهم بأنه سيملك الأمر . . . راجع شرح نهج البلاغة (الحديد ١ : ٦٢ ، وهذا إن دل على فراسته ، فهو على لون سياسته أدل . (الشهيد

(2) ابن أبي الحديد ١ : ١٣٥ . (الشهيد /شرح نهج البلاغة

(3) راجع في قصة الستة الشورى - تاريخ الطبري 2 : 580 - 581 . (*)

وإذن فقد كانت الفئة الحاكمة تحال أن تساوي بين بني هاشم وسائر الناس وترتفع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الاختصاص بهم لتنتزع بذلك الفكرة التي كانت تزود الشهاشميين بطاقة على المعارضة .

ولئن اطمأن الحاكمون إلى أن عليا لا يثور عليهم في تلك الساعة الحرجة على الأسلام ، فهم لا يأمنون من انتفاضه بعد ذلك في كل حين ، ومن الطبيعي حينئذ أن يسارعوا إلى الأجهاز على كلتا قوتيه المادية والمعنو ية ما دامت الهدنة قائمة قبل أن يسبقهم إلى حرب أكول .

ومن المعقول بعد هذا أن يقف الخليفة موقفه التاريخي المعروف من الزهراء في قضية فدك ، فهو موقف تلاقى فيه الغرضان وتركز على الخطين الأساسيين لسياسته ، لأن الدواعي التي بعثته إلى انتزاع فدك كانت تدعوه إلى الاستمرار على تلك

الخطة ليسلب بذلك من خصمه الثروة التي كانت سلاحا قويا في عرف الحاكمين يو مذاك ، ويعزز بها سلطانه ، وإلا فما الذي كان يمنعه عن تسليم فدك للزهراء بعد أن أعطته الوعد القاطع بأن إلا أنه خاف منها أن تفسر (1) ! تصرف منتوجاتها في سبيل لخير ووجوه المصلحة العامة ؟ وعدها بما يتفق مع صرفها لغلات فدك في المجالات السياسية .

وما الذي صده عن إرضاء فاطمة بالتنازل لها عن حصته ونصيب ا لصحابة إذا صح أن فدك ملك للمسلمين سوى أنه أراد أن يقوي بها خلافته ؟ وأيضا فإننا إذا عرفنا أن الزهراء كانت سندا قويا لقرينها في دعوته إلى نفسه ، ودليلا يحتج به أنصار الأمام على أحقيته بالأمر ، نستوضح أن الخليفة

* (هامش) *

(*) . الشهيد) طبعة قديمة) ابن أبي الحديد ٤ : ٨٠ /شرح نهج البلاغة (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٩٦ -

كان موفقا كل التوفيق في موقفه تجاه دعوى الزهراء للنحلة ، وجاريا على المنهج السياسي الذي كان يفرضه عليه الظرف الدقيق ، إذ اغتنم الفرصة المناسبة لأفهام المسلمين بصورة لبقة ، وعلى اسلو ب غير مباشر بأن فاطمة امرأة من النساء ولا

يصح أن تؤخذ آراؤها ودعاويها دليلا في مسألة بسيطة كفدك فضلا عن موضوع كالخلافة ، وأنها لقرينها المملكة الأسلامية (1)إذا كانت ٤٣ تطلب أرضا ليس لها بحق فمن الممكن أن تطلب كلها وليس له فيها حق .

ونخرج من البحث بنتيجة وهي أن تأميم الصديق لفدك يمكن تفسيره :

1 - بأن الظرف الاقتصادي دعى إلى ذلك .

2 - بأن أبا بكر خشي أن يصرف علي ثروة قرينته في سبيل التوصل إلى السلطان .

وإن موقفه من دعاوى الزهراء بعد ذلك واستبساله في رفضها قد يكون مرده إلى هذين السببين :

1 - إلى مشاعر عاطفية كانت تنطوي عليها نفس الخليفة رضى عنه الله عرضنا لجملة من أسبابها فيما سبق .

2 - وحدة سياسية عامة بنى عليها الصديق سيرته مع الهاشميين وقد تبيناها من ظواهر الحكم يومئذ .

* (هامش) *

(1) شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٨٤ ، الطبعة المحققة / أبو الفضل إبراهيم ، وفيه جواب مدرس المدرسة الغربية علي بن الفاوقي بهذا المعنى عندما سأله ابن أبي الحديد . . . وقد عقب عليه بأنه كلام صحيح . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٩٧ -

(الأمام علي عليه السلام خصائصه وموقفه من الخلافة)

لعل أعظم رقم قياسي ضربه أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام للتضحية في سبيل الأسلام والأخلاص للمبدأ إخلاصا جرده عن جميع الاعتبارات الشخصية وأقام منه حقيقة سامية سمو المبدأ من (1)ما بقي للمبد أ حياة هو الرقم الذي سجله بموقفه

خلافة الشورى وقدم بذلك في نفسه مثلا أعلى للتفاني في المبدأ الذي صار شيئا من طبيعته . إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد تمكن من محو ضلال الوثنية ، فقد استطاع أن يجعل من علي بما أفاض عليه من حقائق نفسه عينا ساهرة على القضية الألهية ، فنامت فيه الحياة الأنسانية بأهوائها ومشاعرها وصار يحيا بحياة المبدأ والعقيدة (2) .

* (هامش) *

لاحظ موقفه من محاولة أبي سفيان ، ودعوته إلى مجابهة مسلحة تسيل فيها الدماء ، مع الخلافة ، (1) حدثني عوانه ، :حدثت عن هشام ، قال 237 : 2التي انبثقت عن ا لشورى ، فقد ذكر الطبري في تاريخه قال : لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر ، أقبل أبو سفيان ، وهو

وقال : أبا . . . ! يقول : والله إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم ؟ يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من اموركم حسن ابسط يديك ابايعك فأبى علي ، فجعل يتمثل بأبيات . . . قال الراوي : فزجره علي وقال : إنك والله ما ! أدرت بهذا إلا الفتنة ، وإنك والله طالما بغيت الأسلام شرا

علي مع الحق ، والحق مع علي ، ولن يفترقا حتى يردا) : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (2) الخطيب البغدادي ١٤ : ٣٢١ ، /تاريخ بغداد : ، راجع في إخراج هذا الحديث (علي الحوص يوم القيامة الخوارزمي : ٧٧ ، / ، المناقب 111 : 1تفسير الفخر الرازي

رحم الله عليا : اللهم أدر الحق معه) : الطبراني ١ : ٢٥٥ . (الشهيد) وفي حديث آخر /المعجم الصغير . (حيثما دار

الشيخ منصور علي ناصف ٣ : ٣٣٧ قال : أخرجه الترمذي ، مستدرك /التاج الجامع للاصول : راجع ، (الشهيد) 125 : 3الحاكم

(*) (الشهيد) . 213 : 2 ، جامع الترمذي 175 : 6كنز العمال

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٩٨ -

)وإن كان للتضحية الأنسانية الفاضلة كتاب فاعمال علي عنوان ذلك الكتاب المشع بأضواء الخلود 1) .

وإن كان لمبادئ السماء التي جاء بها محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعبير عملي على وجه الأرض فعلي هو تعبيرها الحي على مدى الدهور والأجيال .

فإنما جمع بينهما (2)وإن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خلف في امته عليا والقرآن ليكون القرآن تفسيرا لمعاني علي العظيم ، ولتكون معاني علي انموذجا لمثل القرآن الكريم .

(3)وإن كان الله تعالى قد جعل عليا نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آية المباهلة فلأجل أن يفهم المسلمون أنه امتداد طبيعي لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وشعاع متألق من روحه العظيمة .

وإن كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج من مكة مهاجرا خائفا على نفسه وخلف

* (هامش) *

(1) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لضربة علي يوم الخندق خير من عبا دة الثقلين ، أو قال : لمبارزة علي لعمرو أفضل من أعمال امتي إلى يوم القيامة) . راجع : المستدرك/ الحاكم ٣ : ٣٢ . (الشهيد) نشر دار المعرفة – بيروت .

(2) إني تارك فيكم الثقلين أو الخليفتين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ، كتاب الله وعترتي ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) . راجع صحيح مسلم 4 : 119 ، المستدرك 3 : 217 ، مسند الأمام أحمد 4 : 432 ، سنن الدارمي 2 : 130 ، صحيح الترمذي 1 : 1874 .

(3) راجع تفسير الفخر الرازي ، ٢٦١ : ٦٧ ، الصواعق المحرقة /آية المباهلة ، سورة آل عمران :143 ، أسباب النزول/ الواحدي - بيروت . (*) دار الكتب العلمية

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ٩٩ -

(1)عليا على فراشه ليموت بدلا عنه ، فمعنى ذلك أن المبدأ المقدس هو الذي كان يرسم للعظيمين خطوط حياتهما ، وإذا كان لا بد للقضية الألهية من شخص تظهر به وآخر يموت في سبيلها ، فيلزم أن يبقى رجلها الأول لتحيابه ، ويقدم رجلها الثاني نفسه قربانا لتحيابه أيضا .

(2)وإن كان علي هو الذي أباحت له السماء خاصة النوم في المسجد والدخول فيه جنبا فمفهوم هذا الاختصاص أن في معانيه معنى المسجد لأن المسجد رمز السماء الصامت في دنيا المادة وعلي هو الرمز الألهي الحي في دنيا الروح والعقيدة .

وإن كانت السماء قد امتدحت فتوة علي وأعلنت عن رضاها عليه إذ قال المنادي : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

، فإنها عنت بذلك أن فتوة علي وحدها هي الرجولة الكاملة التي لا يرتفع إلى مداها إنسان ولا (3) ترقى إلى افقها بطولة الأبطال وإخلاص المخلصين .

4)ومن مهزلة الأقدار أن هذه الفتوة التي قدسها الهاتف الألهي كانت عيبا في رأى مشايخ السقيفة ونقصا في علي يؤاخذ عليه وينزل به عن)

* (هامش) *

(1) راجع تفسير الرازي 5 : 204 ، سيرة ابن هشام ، نشر دار الكتب العلمية – طهران ، مطبعة 95 : 2 ، الحجازي / ط ١٠ ، تذكرة سبط ابن الجوزي : ٣٤ .

(2) راجع مسند الأمام أحمد بن حنبل 4 : 369 ، وشرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ٢ : ٤٥١ ، وتذكرة / السيوطي /ابن حجر : ١٢٣ ، تاريخ الخلفاء /سبط ابن الجوزي : ٤١ ، والصواعق المحرقة /الخواص (قال : أخرجه البزار عن سعد . (الشهيد 172

(3) راجع : تاريخ الطبري 2 : 65 ، دار الكتب العلمية – بيروت (الشهيد) . وابن هشام في سيرته (الشهيد) .وابن أبي الحديد في شرح النهج

(4) راجع شرح نهج البلاغة /محاورة بين الخليفة الثاني عمر وابن عباس :ابن أبي الحديد ٦ : ٤٥ ، وفيها قال الخليفة عمر : (يا ابن عباس ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه . . . قا ل ابن عباس : فقلت : والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذه سورة براءة من أبي بكر . . .) . قول أبي عبيدة : (يا آبا الحسن إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قريش :وفي ص ١٢ من شرح النهج قومك) . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٠٠ -

وأنا لا أدري كيف صار الازدواج . الصديق الذي لم يكن يمتاز عليه إلا بسنين قضاها كافرا مشركا (1)بين الجاهلية والأسلام في حياة شخص واحد مجدا يمتاز به عمن خلصت حياته كلها لله . ولئن ظهرت للناس في البحوث الجديدة القوم الطبيعية

التي تجعل الاجسام الدائرة حول المحور تسير على خط معين ، فلقد ظهرت في علي قبل مئات السنين قوة مثلها ولكنها ليست من حقائق الفيزياء ، بل من قوى السماء وهي التي جعلت من علي مناعة طبيعية للأسلام حفظت له مقامه الأعلى ما دام

الأمام حيا ، ومحورا تدور عليه الحياة الأسلامية لتستمد منه روحانيتها وثقافتها وروحها وجوهرها سواء أنكان على رأس الحكم أو لا .

وقد علمت هذه القوة عملها السحري في عمر نفسه ، فجذبته إلى خطوطها المستقيمة مرارا حتى قال لولا علي لهلك عمر :
، وظهر تأثيرها الجبار في التفاف المسلمين حوله في اليوم الذي اسندت فيه مقدرات الخلافة (2) الذي يقل مثيله في تاريخ الشعوب . ونعرف من هذا (3)إلى عامة المسلمين ، ذلك الالتفاف الفذ أن عليا بما جهزته السماء به من تلك القوة ، كان

* (هامش) *
(1) راجع: الصواعق المحرقة 120 .
(2) راجع : الطبقات الكبرى /ابن سعد ٢ : ٣٣٩ ، الصواعق المحرقة 127 .
(3)تاريخ الطبري 2 : 696 وما بعدها .(*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٠١ -

التي لا بد منها وشمسا يدور عليها الفلك الأسلامي بعد النبي (1)ضرورة من ضرورات الأسلام صلى الله عليه وآله وسلم بحسب طبيعته التي لا يمكن أن تقاوم حتى التجأ الفاروق إلى مسيرتها كما عرفت .

ويتجلي لدينا أيضا أن الانقلاب الفجائي في السياسة الحاكمة لم يكن ممكنا يومئذ لأنه – مع كونه طفرة – يناقض تلك القوة الطبيعية المركزة في شخصية الأمام ، فكان من الطبيعي أن تسير السياسة الحاكمة في خط منحن حتى تبلغ النقطة التي

وصل إليها الحكم الاموي ، تفاديا من تأثير تلك القوة الساهرة على الاعتدال والانتظام كما ينحني السائق بسيارته عندما ينحرف بها إلى نقطة معاكسة تحذرا من القوة الطبيعية التي تفرض الا عتدال

. في السير

وهذا الفصل الرائع من عظمة الأمام يستحق دراسة وافية مستقلة قد نقوم بها في بعض الفرص لنكشف بها عن شخصية علي المعارض للحكم والساهر على قضية الأسلام والموفق بين حماية القوة الحاكمة من الانحراف وبين معارضتها في نفس

الوقت . وإن كانت مواقف الأمام كلها رائعة ، فموقفه من الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وإن كانت العقيدة الألهية تريد في كل زمان بطلا يفتديها بنفسه ، فهي . (2)وسلم من أكثرها روعة

* (هامش) *

وعلى ضوء ما بيناه نفهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت (1) خليفتي .

، 331 : 1سند الأمام أحمد :وقوله له عندما تهيأ للخروج إلى غزوة تبوك : لا بد أن اقيم أو تقيم . راجع 596 : 5، صحيح الترمذي (النسائي : ٨٠ – ٨١ . (الشهيد / ، الخصائص 87 46 :ذخائر العقبى . مطبعة دار الفكر

(*) .سيأتي بيان هذه النقطة في الفصل الأخير (2)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٠٢ -

(1)تريد أيضا بطلا يتقبل القران ويعزز به المبدأ ، وهذا هوى الذي بعث بعلي إلى فراش الموت وبالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مدينة النجاة يوم الهجرة الأغر كما أشرنا إليه قريبا ، ولم يكن ليتهيأ للأمام في محنته بعد وفاة أخيه أن يقدم

لها كلا البطلين ، لأنه ضحى بنفسه في سبيل توجيه الخلافة إلى مجراها الشرعي في رأيه لما بقي بعده من يمسك الخيط من طرفيه ، وولدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طفلان لا يتهيأ لهما من الأمر ما يريد .

- : وقف علي عند مفترق طريقين كل منهما حرج وكل منهما شديد عليه نفسه

. أن يعلن الثورة المسلحة على خلافة أبي بكر (أحدهما)
أن يسكت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجا ، ولكن ماذا كان يترقب للثورة من نتائج ؟ (والاخر)

إن الحاكمين لم يكونوا .هذا ما نريد أن نتبينه على ضوء الظروف التاريخية لتلك الساعة العصيبة
. ينزلون عن مراكزهم بأدنى معارضة وهم من عرفناهم حماسة وشدة في أمر الخلافة

ومعنى هذا أنهم سيقابلون ويدافعون عن سلطانهم الجديد ، ومن المعقول جدا حينئذ أن يغتنم سعد بن عبادة الفرصة ليعلنها حربا اخرى في سبيل أهوائه السياسية ، لأننا نعلم أنه هدد الحزب المنتصر بالثورة عندما طلب منه البيعة وقال : (لا والله حتى

* (هامش) *
في افتداء الأمام علي عليه السلام النبي الأعظم صلى الله 204 : 5 /راجع الرازي في التفسير الكبير (1) ومن الناس) : عليه وآله وسلم في يوم هجرته المباركة وانجاء الرسول من الموت ، وفيه نزلت الاية المباركة (*) . 207 /البقرة (من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٠٣ -

أرميكم بما في كنانتي وأخضب سنان رمحي وأضرب بسيفي واقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني ولو . (1) (اجتمع معكم الأنس والجن ما بايعتكم

وأكبر الظن أنه تهيب الأقدام على الثورة ولم يجرأ على أن يكون أول شاهر للسيف ضد الخلافة القائمة ، وإنما اكتفى بالتهديد الشديد الذي كان بمثابة إعلان الحرب ، وأخذ يترقب تضعضع الأوضاع ليشهر سيفه بين السيوف ، فكان حريا به أن تثور

حماسته ويزول تهيبه ويضعف الحزب القائم في نظره إذا رأى صوتا قويا يجهر بالثورة فيعيدها جذعة كما أعلن ذلك المتكلم عن لسانه في مجلس (2)ويحاول إجلاء المهاجرين من المدينة بالسيف . السقيفة

ولا ننسى بعد ذلك الامويين وتكتلهم السياسي في سبيل الجاه والسلطان ، وما كان لهم من نفوذ في مكة في سنواتها الجاهلية الأخيرة ، فقد كان أبو سفيان زعيمها في مقاومة الأسلام والحكومة النبوية . ، وكان عتاب ابن اسيد بن أبي العاص بن امية أميرها المطاع في تلك الساعة

من أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما توفي (3)وإذا تأملنا ما جاء في تاريخ تلك الأيام ووصل خبره إلى مكة وعامله عليها عتاب بن اسيد بن أبي العاص بن امية استخفى عتاب وارتجت المدينة وكاد أهلها يرتدون ، فقد لا نقتنع بما يعلل به رجوعهم عن الارتداد من العقيدة والأيمان .
كما أني لا اؤمن بأن

* (هامش) *

(1) تاريخ الطبري راجع 2 : 243 . 244 47

(2) تاريخ الطبري 2 : 243 جذعة لنعيدنها (أما والله لئن شئتم) : قول الحباب بن المنذر ، قصة السقيفة . . . .) .

(3) الكامل في التاريخ/ ابن الأثير ٣ : ١٢٣ وصل خبر وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان (*) . عتاب بن اسيد ابن أبي العاص بن امية أميرا على مكة

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٠٤ -

مرد ذلك التراجع إلى أنهم رأوا في فوز أبي بكر فوزهم وانتصارهم على أهل المدينة كما ذهب إليه بعض الباحثين ، لأن خلافة أبي بكر كانت في اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكبر الظن أن خبر الخلافة جاءهم مع

خبر الوفاة ، بل تعليل القضية في رأيي أن الأمير الاموي عتاب بن اسيد شاء أن يعرف اللون السياسي الذي اتخذته اسرته
في تلك الساعة ، فاستخفى وأشاع بذلك الاضطراب حتى إذا عرف ان أبا سفيان قد رضي بعد سخط وانتهى مع الحاكمين

ظهر مرة اخرى للناس وأعاد الامور إلى مجاريها . وعليه (1)إلى نتائج في صالح البيت الاموي .فالصلة السياسية بين رجالات الامويين كانت قائمة في ذلك الحين

وهذا التقدير يفسر لنا القوة التي تكمن وراء أقوال أبي سفيان حينما كان ساخطا على أبي بكر وأصحابه ، إذ قالك إني لأرى عجاجة لا يطفيها إلا الدم ، وقال عن علي والعباس : أما والذي نفسي بيده لأرفعن لهما من أعضادهما)2(.

فالامويون قد كانوا متأهبين للثورة والانقلاب ، وقد عرف علي منهم ذلك بوضوح حينما عرضوا عليه أن يتزعم المعارضة ولكنه عرف أنهم ليسوا من الناس الذين يعتمد على تأييدهم ، وإنما يريدون الوصول إلى أغراضهم عن طريقه ، فرفض طلبهم

، وكان من المنتظر حينئذ أن يشقوا عصا الطاعة رأوا الأحزاب المسلحة تتناحر ، ولم يطمئنوا إلى قدرة الحاكمين على ضمان مصالحهم ، ومعنى انشقاقهم حينئذ إظهارهم للخروج عن الدين وفصل مكة عن المدينة .

* (هامش) *

(1) تاريخ الطبري /راجع 2 : 237 . . . ، هدأت ثائرة أبي سفيان بعد أن ولى الخليفة الأول ابنه معاوية . فقال : وصلته رحم .

(*) . 237 : 2تاريخ الطبري (2)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٠٥ -

وإذن فقد كانت الثورة العلوية في تلك الظروف إعلانا لمعارضة دموية تتبعها معار ضات دموية ذات أهواء شتى ، وكان فيها تهيئة لظرف قد يغتنمه المشاغبون ثم المنافقون .

ولم تكن ظروف المحنة تسمح لعلي بأن يرفع صوته وحده في وجه الحكم القائم ، بل لتناحرت ثورات شتى ، وتقاتلت مذاهب متعددة الأهداف والأغراض ، ويضيع بذلك الكيان الأسلامي في اللحظة الحرجة التي يجب أن يلتف فيها المسلمون حول قيادة موحدة ، ويركزوا قواهم لصد ما كان يترقب أن تتمخض عنه الظروف الدقيقة من فتن وثورات .

منذ أن ولد (1)إن عليا الذي كان على أتم استعداد لتقديم نفسه قربانا للمبدأ في جميع أدوار حياته في البيت الألهي وإلى أن قتل فيه ، قد ضحى بمقامه الطبيعي ومنصبه الألهي فهي سبيل المصالح العليا التي جعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيا عليها وحارسا لها .

ولفقدت بذلك الرسالة المحمدية الكبرى بعض معناها ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أمره ربه بتبليغ دعوته والأنذار برسالته جمع بني عبد المطلب وأعلن عن نبوته بقوله (إني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به) .

ومعنى (2) (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا) : وعن إمامة أخيه بقوله ذلك أن إمامة علي تكملة طبيعية لنبوة

* (هامش) *

(1) الخصائص /راجع مختصر تاريخ ابن عساكر /ابن منظور ١٧ : ٣٥٦ وما بعدها ، النسا ئي ، سبط ابن الجوزي وغيرهم كثير ، ينقلون لك مواقف ابن أبي طالب منذ الأيام الاولى للرسالة /تذكرة الخواص . إلى أن توفاه الله تعالى شهيدا في المحراب

(2) تاريخ الطبري 3 : 218 - 219 ، تفسير ، المطبعة الحسينية بمصر – الطبعة الاولى / ١٩٠٣ الخازن 3 : 371 ، (*) (ابن أبي الحديد – الطبعة القديمة . (الشهيد /وشرح نهج البلاغة

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٠٦ -

محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأن الرسالة السماوية قد أعلنت عن نبوة محمد الكبير صلى الله عليه وآله وسلم وإمامة محمد الصغير في وقت واحد .

إن عليا الذي رباه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وربى الأسلام معه – فكانا ولديه العزيزين – كان يشعر بإخوته لهذا الأسلام . وقد دفعه هذا الشعور إلى افتداء أخيه بكل شئ حتى أنز اشترك في حروب الردة التي أعلنها المسلمون يو مذاك

(1) ، ولم يمنعه تزعم غيره لها عن القيام بالواجب المقدس ، لأن أبا بكر إن كان قد ابتزه حقه ونهب تراثه ، فالاسلام قد رفعه إلى القمة وعرف له أخوته الصادقة وسجلها بأحرف من نور على صفحات الكتاب الكريم .

وصمد الأمام على ترك الثورة ولكن ماذا يفعل ؟ وأي اسلوب يتخذه لموقفه ؟ هل يحتج على الفئة الحاكمة بنصوص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلماته التي أعلنت أن عليا هو القطب المعد لأن يدور عليه الفلك الأسلامي والزعيم الذي قدمته

(2) السماء إلى أهل الأرض ؟ ؟ تردد هذا السؤال في نفسه كثيرا ثم وضع له الجواب الذي تعينه ظروف محنته وتلزمه به طبيعة الأوضاع القائمة ، فسكت عن النص إلى حين .

* (هامش) *

(الشهيد) . ابن أبي الحديد ٤ : ١٦٥ /شرح نهج البلاغة (1)

. كما هو نص حديث الغدير المتواتر ونصوص اخرى تؤكد أن عليا هو ولي المؤمنين بعد النبي (2)
، وأخرجه ابن ماجة في سننه – المقدمة ١ : ١١ ، مسند 335 : 3التاج الجامع للاصول : راجع
، 281 : 4الأمام أحد
(*) . 1965 / 2 ، مكتبة القاهرة ، ط 122 :الصواعق المحرقة

(مسألة عدم الاحتجاج بالنص)

ونحن نتبين من الصورة المشوشة التي عرفناها عن تلك الظروف والأوضاع

أن الاعتراض بتلك النصوص المقدسة والاحتجاج بها في ساعة ارتفع فيها المقياس الزئبقي للأفكار المحمومة والأهواء الملتهبة التي سيطرت على الحزب الحاكم إلى الدرجة العالية ، كان من التقدير المعقول افتراض النتائج السيئة له ، لأن أكثر

النصوص (1) التي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شأن الخلافة لم يكن قد سمعها إلا مواطنوه في المدينة من مهاجرين وأنصار فكانت تلك النصوص إذن الأمانة الغالية عند هذه الطائفة التي لابد أن تصل عن طريقهم إلى سائر الناس في دنيا الاسلام يومئذ وإلى الأجيال المتعاقبة والعصور المتتالية .

ولو احتج الأمام على جماعة أهل المدينة بالكلمات التي سمعوها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شأنه وأقام منها دليلا على دإمامته وخلافته كان الصدى الطبيعي لذلك أن يكذب الحزب الحاكم (2) في دعواه وينكر تلك النصوص التي تمحو من خلافة الشورى لونها الشرعي وتعطل منها معنى الدين .

وقد لا يجد الحق صوتا قويا يرتفع به في قبال ذلك الأنكار ، لأن كثيرا من قريش وفي مقدمتهم الامويون كانوا طامحين إلى مجد السلطان ونعيم الملك ، وهم يرون في تقديم الخليفة على أساس من النص النبوي تسجيلا لمذهب الأمامة الألهية . ومتى تقررت هذه النظرية في عرف الحكم

* (هامش) *

النصوص التي صدرت عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بحق الأمام علي عليه السلام (1) العلامة الأ ميني ، /في الخلافة والأمامة والولاية لا تحصى كثرة ، راجع على سبيل المثال : كتاب الغدير وما بعدها ، 356 : 17مختصر تاريخ ابن عساكر

وما بعدها ، 333 : 3التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

. قال : روى حديث الغدير ثلاثون صحابيا 122 :الصواعق المحرقة

) . (أنا الصديق الأكبر لا يقولها غيري إلا كذاب) : قال أمير المؤمنين :الصواعق المحرقة : راجع (2) *)

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٠٨ : –

الأسلامي كان معناها حصر الخلافة في بني هاشم آل محمد الأكرمين وخروج غيرهم من المعركة خاسرا .

إن) : وقد نلمح هذا اللون من التفكير في قول عمر لابن عباس معللا إقصاء علي عن الأمر فقد يدلنا هذا على أن إسناد الأمر إلى علي (1) * (قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة في بداية الأمر كان معناه في الذهنية العامة حصر

الخلافة في الهاشميين ، وليس لذلك تفسير أولي من أن المفهوم لجمهرة من الناس يومئذ من الخلافة العلوية تقرير شكل

. ثابت للخلافة يستمد شرعيته من نصوص السماء لا من انتخاب المنتخبين

فعلي إن وجد نصيرا من علية قريش يشجعه على مقاومة الحاكمين ، فإنه لا يجد منهم عضدا في مسألة النص إذا تقدم إلى الناس يحدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد سجل الخلافة . (2)لأهل بيته حين قال : إني مخلف فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي الخ

وأما الأنصار فقد سبقوا جميع المسلمين إلى الاستخفاف بتلك النصوص ، والاستهانة بها ، إذ حدت بهم الشراهة إلى الحكم إلى عقد مؤتمر في سقيفة بني ساعدة ليصفقوا على يد واحد منهم . (3) فلن يجد علي فيهم إذا استدل بالنصوص النبوية

جنودا للقضية العادلة وشهودا عليها ، لأنهم إذا شهدوا على ذلك يسجلون على أنفسهم تناقضا فاضحا في يوم واحد وهذا ما يأبونه على أنفسهم بطبيعة الحال .

* (هامش) *

(1) راجع : (الشهيد) ابن عباس . ٢٤ : ٣ تاريخ ابن الأثير (تاريخ الطبري ، 2 : 577 ، محاورة الخليفة عمر مع

(2) راجع الرواية في صحيح مسلم ، 4 : 281 طبعة دار صادر . 4 : 1874 مسند الأمام أحمد

(3) راجع تاريخ الطبري 2 : 242 في اتفاقهم على سعد بن عبادة . (*)

مناقضة كتلك المناقضة (1) وليس في مبايعة الأوس لأبي بكر أو قول من قال : لا نبايع إلا عليا ، لأن المفهوم البديهي من تشكيل مؤتمر السقيفة أن مسألة الخلافة مسألة انتخاب لا نص ، فليس إلى التراجع عن هذا الرأي في يوم إعلانه من سبيل .

وأما اعتراف المهاجرين بالأمر فلا حرج فيه لأن الأنصار لم يجتمعوا على رأي واحد في السقيفة يحاول بث الحماسة في نفوسهم (2) وإنما كانوا يتذاكرون ويتشاورون ، ولذا نرى الحباب بن المنذر والاستمالة بهم إلى رأيه بما جلجل به في

ذلك الاجتماع من كلام وهو يوضح أنهم جمعوا لتأييد فكرة لم يكن يؤمن بها إلا بعضهم . وإذن فقد كان الأمام يقدر أنه سوف يدفع الحزب الحاكم إلى إنكار النصوص والاستبسال في هذا الأنكار إذا جاهر بها ولا يقف إلى جانبه حينئذ صف ينتصر له

في دعواه ، لأن الناس بين من قادهم الهوى السياسي إلى إنكار عملي للنص يسد عليهم مجال التراجع بعد ساعات ، وبين من يرى أن فكرة النص تجعل من الخلافة وقفا على بني هاشم لا ينازعهم فيها منازع .

وإذا سجلت الجماعة الحاكمة وأنصارها إنكارا للنص واكتفى الباقون بالسكوت في الأقل فمعنى هذا أن النص يفقد قيمته الواقعية وتضيع بذلك مستمسكات الأمامة العلوية كلها ويومن ا لعالم الأسلامي الذي كان بعيدا عن مدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على إنكار المنكرين لأنه منطق القوة الغالب في ذلك الزمان .

* (هامش) *

(*) . المصدر نفسه ٢ : ٢٤٣ (2) . 233 : 2تاريخ الطبري (1)

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١١٠ : –

لنلاحظ ناحية اخرى فإن عليا لو ظفر بجماعة توافقه على دعواه ، وتشهد له بالنصوص النبوية المقدسة ، وتعارض إنكار الفئة الحاكمة ، كان معنى ذلك أن ترفض هذه الجماعة خلافة أبي بكر وتتعرض لهجوم شديد من الحاكمين ينتهي بها إلى

الاشتراك في حرب مع الحزب الحاكم المتحمس لكيانه السياسي إلى حد بعيد ، فإنه لا يسكت عن هذا اللون من المعارضة الخطرة . فمجاهرة علي بالنص كانت تجره إلى المقابلة العملية ، وقد عرفنا سابقا أنه لم يكن مستعدة لأعلان الثورة على الوضع القائم والاشتراك مع السلطات المهيمنة في قتال .

ولم يكن للاحتجاج بالنص أثر واضح من أن تتخذ السياسة الحاكمة احتياطاتها وأساليبها الدقيقة لمحو تلك الأحاديث النبوية من الذهنية الأسلامية ، لأنها تعرف حينئذ أن فيها قوة خطر على ا لخلافة القائمة ومادة خصبة لثورة المعارضين في كل حين .

وإني أعتقد أن عمر لو التفت إلى ما تنبه إليه الامويون بعد أن احتج الأمام بالنصوص في أيام خلافته (1)، واشتهرت بين شيعته ، من خطرها لاستطاع أن يقطعها من اصولها ، ويقوم بما لم يقدر الامويون عليه من إطفاء نورها .

وكان اعتراض الأمام بالنص في تلك الساعة ينبهه إلى ما يجب أن ينتهجه من اسلوب فأشفق على النصوص المقدسة أن تلعب بها السياسة

* (هامش) *

أشهد الأمام علي عليه السلام جماعة المسلمين على نص حديث (1) الغدير في زمن خلافته ،

ابن كثير ٧ : ٣٦٠ ، وقد أشهد علي جمعا من /البداية والنهاية : راجع الناس فشهد له ثلاثون أنهم سمعوا هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،

قال : رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم 122 :الصواعق المحرقة (*) . (. . . ثلاثون صحابيا ، وأن كثيرا من طرقه صحيح أو حسن

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١١١ : –

وسكت عنها على مضض ، واستغفل بذلك خصومه ، حتى إن عمر (رضي الله تعالى عنه) نفسه صرح بأن عليا هو ولي كل مؤمن ومؤمنة بنص النبي (1) صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم ألم يكن من المعقول أن يخشى الأمام على كرامة حبيبه وأخيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تنتقض وهي أغلى عنده من كل نفيس – إذا جاهر بنصوص النبي صلى الله عليه وآله وسلم – وهو لم ينس موقف الفاروق من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين طلب دواة ليكتب (2) (إن النبي ليهجر أو قد غلب عليه الوجع) : كتابا لا يضل الناس بعده أبدا ، فقال عمر .

وقد اعترف فيما بعد لابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يريد أن يعين عليا للخلافة وقد صده عن ذلك خوفا من الفتنة (3) .

وسواء أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد أن يحرر حق علي في الخلافة أو لا ، فإن المهم أن نتأمل موقف عمر من طلبه ، فهو إذا كان مستعدا لاتهام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وجها لوجه بما ينزهه عنه نص القرآن ٥١ (4)

وضرورة الأسلام ، خوفا من الفتنة ، فما الذي يمنعه عن اتهام آخر له بعد وفاته مهما تلطفنا في تقديره فلا يقل عن دعوى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يصدر عن أمر الله في موضوع الخلافة ، وإنما استخلف عليا بوحي من عاطفته ، بل

كان هذا أولى من تلك المعارضة لأن الفتنة التي تقوم بدعوى على النص أشد مما كان يترقبه عمر من اضطراب فيما إذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خلف نصت تحريريا

* (هامش) *

(1) ذخائر العقبى :67 ، والحديث يدلنا على أن الفاروق كان يميل أحيانا إلى تغيير الطريقة التي سار عليها الحزب في بداية الأمر مع الهاشميين ، غير أن الطابع السياسي الأول غلب عليه أخيرا . (الشهيد

(2) راجع الرواية في صحيح البخاري 1 : 37 ، باب كتابة العلم .

(3) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ٣ : ٩٧ ، طبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر .

(4) القرآن يقول : (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى) سورة النجم / ٣ و ٤ . (*)

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١١٢ : –

بإمامة علي يعلمه الجميع . وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ترك التصريح بخلافة علي في ساعته الأخيرة لقول قاله عمر ، فإن المفهوم أن يترك الوصي الاحتجاج بالنصوص خوفا من قول قد يقوله .

ونتيجة هذا البحث أن سكوت أمير المؤمنين عن النص إلى حين ، كان يفرضه عليه :

1 - إنه لم يكن يجد في رجالات تلك الساعة من يطمئن إلى شهادته بذلك .

2 - إن الاعتراض بالنصوص كان من الحري به أن يلفت أنظار الحاكمين إلى قيمتها المادية ، فيستعملون شتى الأساليب لخنقها .

3 - إن معنى الاعتراض بها التهيؤ للثورة بأوسع معانيها ، وهذا ما لم يكن يريده الأمام .

4 - إن اتهام عمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في آخر ساعاته عرف عليا بمقدار تفاني الحاكمين في سبيل مراكزهم ، ومدى استعدادهم لتأييدها والمدافعة عنها وجعله يخاف من تكرر شئ من ذلك فيما إذا أعلن عن نصوص إمامته .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١١٢ -

(المواجهة السلمية)

انتهى الأمام إلى قرار حاسم ، وهو ترك الثورة وعدم التسلح بالنصوص في وجه الحا كمين جهارا وعلانية إلا إذا اطمأن إلى قدرته على تجنيد الرأي العام ضد أبي بكر وصاحبيه ، وهذا ما أخذ يحاوله علي في محنته آنذاك .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١١٣ -

سرا على زعماء المسلمين ورجالات المدينة ، يعظهم ويذكرهم ببراهين الحق وآياته (1)فبدأ يطوف ، وإلى جانبه قرينته تعزز موقفه وتشاركه في جهاده السري ، ولم يكن يقصد بذلك التطو اف إنشاء حزب يتهيأ له القتال به لأننا نعرف أن عليا كان له حزب من الأنصار هتف باسمه ، وحاول الالتفاف حوله وإنما أراد أن يمهد بتلك المقابلات لاجماع الناس عليه .

وهنا تجئ مسألة فدك لتحتل الصدارة في السياسة العلوية الجديدة ، فإن الدور الفاطمي الذي رسم هارون النبوة خطوطه بإتقان ، كان متفقا مع ذلك التطواف الليلي في فلسفته وجديرا بأن يقلب الموقف على الخليفة وينهي خلافة الصديق كما تنتهي القصة التمثيلية لا كما يقوض حكم مركز على القوة والعدة .

وكان الدور الفاطمي يتلخص في أن تطالب الصديقة الصديق بما انتزعه منها من أموا ل ، وتجعل هذه المطالبة وسيلة للمناقشة في المسألة الأساسية وأعني بها مسألة الخلافة وإفهام الناس بأن ا ، وأنهم (2)للحظة التي عدلوا فيها عن علي عليه السلام إلى أبي بكر كانت لحظة هوس وشذوذ بذلك أخطأوا وخالفوا كتاب ربهم ووردوا غير شربهم (3) .

* (هامش) *

(1) راجع/ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ١٣ ، الطبعة المحققة ، أخرج عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام أن عليا حمل فاطمة على حمار وسار بها ليلا إلى بيوت الأنصار ، يسألهم النصر ة ، وتسألهم فاطمة الانتصار له) .

(2) راجع : بلاغات النساء :25 : قالت في هذا المعنى من خطبة لها عليها السلام (وأطلع الشيطان

رأسه من مغرزه ، صارخا بكم ، فوجدكم لدعائه مستجيبين ، وللغرة فيه ملاحظين ، فاستنهضكم فوجدكم فوسمتم غير إبلكم . . . خفافا) .

(3) : ابن أبي الحديد ٦ : ١٢ : قال علي عليه السلام في محاورة مع القوم /جاء في شرح نهج البلاغة يا معشر المهاجرين الله الله ، لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم ، ولا تدفعوا أ هله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم (*) . (. .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١١٤ -

ولما اختمرت الفكرة في ذهن فاطمة اندفعت لتصحح أوضاع الساعة وتمسح عن الحكم الأسلامي الذي وضعت قاعدته الاولى في السقيفة الوحل الذي تلطخ به ، عن طريق اتهام الخليفة الحاكم بالخيانة السافرة ، والعبث بكرامة القانون ، واتهام نتائج المعركة الانتخابية التي خرج منها أبو بكر خليفة بمخالفة ا لكتاب والصواب(1) .

. وقد توفرت في المقابلة الفاطمية ناحيتان لا تتهيئان للأمام فيما لو وقف موقف قرينته

إن الزهراء أقدر منه بظروف فجيعتها الخاصة ومكانتها من أبيها ، على استثارة (إحداهما) العواطف ، وإيصال المسلمين بسلك من كهرباء الروح بأبيها العظيم صلوات الله عليه وأيامه الغراء . وتجنيد مشاعرهم لقضايا أهل البيت

إنها مهما تتخذ لمنازعتها من أشكال فلن تكتسب لون الحرب المسلحة التي تتطلب (والاخرى) زعيما يهيمن عليها ما دامت امرأة وما دام هارون النبوة في بيته محتفظا بالهدنة التي أعلنها حتى تجتمع الناس عليه ومراقبا للموقف ليتدخل فيه متى شاء ، متزعما للثورة إذا بلغت حدها الأعلى أو مهدئا للفتنة إذا لم يتهيأ له الظرف الذي يريده . فالحوراء

* (هامش) *

(1) : راجع الصواعق المحرقة 36 ، طبعة مكتبة القاهرة ، قال الخليفة الثاني كانت بيعة أبي بكر فلتة (*) . (. . . وقى الله شرها فمن عاد لمثلها فاقتلوه

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١١٥ -

بمقاومتها إما أن تحقق انتقاضا إجماعيا على الخليفة وإما أن لا تخرج عن دائرة الجدال والنزاع ولا تجر إلى فتنة وانشقاق .

وإذن فقد أراد الأمام صلوات الله عليه أن يسمع الناس يومئذ صوته من فم الزهراء ويبقى هو بعيدا عن ميدان المعركة ينتظر اللحظة المناسبة للاستفادة منها ، والفرصة التي تجعل منه رجل الموقف .

وأراد أيضا أن يقدم لامة القرآن كلها في المقابلة الفاطمية برهانا على بطلان الخلافة القائمة . وقد تم للأمام ما أراد حيث عبرت الزهراء صلوات الله عليها عن الحق العلوي تعبيرا واضحا فيه ألوان من الجمال والنضال .

- : وتتلخص المعارضة الفاطمية في عدة مظاهر

ينازع أبا بكر في مسائل الميراث ويطالب بحقوقها وهذه هي الخطوة (1)إرسالها لرسول (الأول) الاولى التي انتهجتها الزهراء صلوات الله عليها تمهيدا لمباشرتها للعمل بنفسها .

وقد أرادت بتلك المقابلة أن تشتد في طلب (2)مواجهتها بنفسها له في اجتماع خاص (الثاني) حقوقها من الخمس وفدك وغير هما لتعرف مدى استعداد الخليفة للمقاومة . ولا ضرورة في ترتيب خطوات المطالبة على اسلوب تتقدم فيه دعوى النحلة على دعوى الميراث كما ذهب إلى ذلك أصحابنا ، بل قد

* (هامش) *

(1) أرسلت فاطمة إلى أبي بكر : أنت ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم أهله ؟ قال : بل أهله) : ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٨ – ٢١٩ عن أبي الطفيل قال /شرح نهج البلاغة . (. . .

(2) (*) . المصدر السابق ١٦ : ٢٣٠

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١١٦ -

يغلب على ظني تقدم المطالبة بالأرث ، لأن الرواية تصرح بأن رسول الزهراء إنما كان يطالب بالميراث ، والأقرب في شأن هذه الرسالة أن تكون اولى الخطوات كما يقضي به التدرج الطبيعي للمنازعة ، وأ يضا فإن دعوى الأرث أقرب الطريقين

في التشرى الأسلامي بالضرورة فلا جناح على الزهراء (1)إلى استخلاص الحق لثبوت التوارث (2)في أن تطلب ابتداء ميراثها من أبيها الذي يشمل في معتقد الخليفة لعدم اطلاعه على النحلة وليس في هذه المطالبة مناقضة لدعوى نحلة فدك إطلاقا ، لأن المطالبة بالميراث لم تتجه إلى فدك خاصة وإنما تعلقت بتركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عامة .

خطبتها في المسجد بعد عشرة أيام من وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في شرح (الثالث) لابن أبي الحديد (3)النهج .

حديثها مع أبي بكر وعمر حينما زاراها بقصد الاعتذار منها وإعلانها غضبها عليهما (الرابع) وأنهما أغضبا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك (4) .

* (هامش) *

(1)ثبوت التوارث في التشريع الأسلامي من ضروريات الأسلام للنصوص الصريحة القطعية ، منها يوصيكم الله في) : وقال تعالى 7 /النساء (للرجال نصيب مما ترك الولدان والأقربون وللنساء نصيب (. . . أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) . 11 /النساء .

(2) ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٢٥ /شرح نهج البلاغة - ادعى الخليفة الأول عدم اطلاعه على النحلة .

(3) قالوا : لما بلغ فاطمة عليها) : ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١١ أخرج عن جماعة قال /شرح نهج البلاغة حتى . . . السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك ، لاثت خمارها وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها (. . . دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار .

(4) راجع : ابن أبي الحديد ١٦ : /، شرح نهج البلاغة (الشهيد) . ابن قتيبة : ١٤ /الأمامة والسياسة (فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني) : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . 264 ١٢٨١ ، باب ٤٣ – فضائل الصحابة ، 83 : 5صحيح البخاري (الشهيد) . 123 : 4أعلام النساء

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١١٧ -

(1)خطابها الذي ألقته على نساء المهاجرين والأنصار حين اجتماعهن عندها (الخامس) .

(2)وصيتها بأن لا يحضر تجهيزها ودفنها (السادس) أحد من خصومها وكانت هذه الوصية الأعلان الأخير من الزهراء عن نقمتها على الخلافة القائمة . وقد فشلت الحركة الفاطمية بمعنى

ونجحت بمعنى آخر . فشلت لأنها لم تطوح بحكومة الخليفة رضى عنه الله في زحفها الأخير الخطير الذي قا مت به في اليوم العاشر من وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ولا نستطيع أن نتبين الامور التي جعلت الزهراء تخسر المعركة ، غير أن الأمر الذي لا ريب فيه أن شخصية الخليفة رضى
عنه الله من أهم الأسباب التي أدت إلى فشلها ، لأنه من أصحاب الموا هب السياسية ، وقد عالج الموقف بلباقة ملحوظة نجد لها مثالا فيما أجاب به الزهراء من كلام وجهه إلى الأنصار من خطاب بعد انتهائها من خطبتها في المسجد .

فبينما هو يذوب رقة في جوابه للزهراء وإذا به يطوي نفسه على نار متأججة تندلع بعد خروج فاطمة من المسجد ، في أكبر الظن ، فيقول : ما هذه الرعة إلى كل قالة إنما هو ثعالة شهيده ذنبه (3) - وقد نقلنا الخطاب كاملا فيما سبق – فإن هذا الانقلاب من اللين والهدوء إلى الغضب الفائر يدلنا على مقدار ما ا وتي من

* (هامش) *

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦ : ٢٣٣ .

(2) حلية الأولياء ٦ : ٢٨١ ، المصدر السابق ٦ : 42 . 2مستدرك الحاكم 3 : 178 طبعة دار الكتب العلمية .

(3) راجع الخطبة في شرح نهج البلاغة 16 : 214 - 215 . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١١٨ -

سيطرة على مشاعره وقدرته على مسايرة الظرف وتمثيل الدور المناسب في كل حين . ونجحت معارضة الزهراء لأنها جهزت الحق بقوة قاهرة ، وأضافت إلى طاقته على الخلود في ميدان النضال المذهبي طاقة جديدة .

وقد سجلت هذا النجاح في حركتها كلها وفي محاورتها مع الصد يق والفاروق عند زيارتهما لها بصورة خاصة إذ قالت لهما أرأيتكما إن حدثتكما حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرفانه وتفعلان به ؟ فقالا : نعم ، فقالت : نشدتكما الله ألم

رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من) : تسمعا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول سخطي ، فمن أحب

قالا : (1) (فاطمة فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني

نعم سمعناه من رسول الله

فإني اشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن) : صلى الله عليه وآله وسلم قالت

. (2) (لقيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأشكونكما عنده

* (هامش) *

صحت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبائر متعدده بهذا المعنى فقد جاء عنه في الصحيح (1)

فاطمة) : وقال (. . إن الله يغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك) : (أنه قال لفاطمة (رضي الله عنها

. . (بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها

، 232باب ٤٣ حديث رقم 83 : 5صحيح البخاري : راجع

حديث رقم ٩٣ / ٢٤٤٩ ، 1902 : 4صحيح مسلم

، (الشهيد) . حديث رقم ٤٧٣٠ / ٣٢٨ ، دار الكتب العلمية 167 : 3مستدرك الحاكم

، 39 :ذخائر العقبى

، 328 : 4مسند الأمام أحمد بن حنبل

، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، 699 : 5جامع الترمذي

ابن حجر : ١٩٠ – طبعة القاهرة ، /الصواعق المحرقة

. ، دار احياء تراث أهل البيت – طهران365 :كفاية الطالب

72 : 2وصحيح مسلم 5 : 5تجد غضب فاطمة عليها السلام على أبي بكر في صحيح البخاري (2)

، 1 : 6ومسند الأمام أحمد

(*) (الشهيد) . 6 : 300 ، سنن البيهقي 266 : ، كفاية الطالب 236 : 2تاريخ الطبري

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١١٩ -

ويصور لنا هذا الحديث مدى اهتمامها بتركيز الاعتراض على خصميها ومجاهرتهما بغضبها ونقمتها لتخرج من المنازعة بنتيجة لا نريد درسها والانتهاء فيها إلى رأي معين لأن ذلك خارج عن دائر ة عنوان هذا البحث ولأننا نجل الخليفة عن أن

ندخل معه في مثل هذه المناشات وإنما نسجلها لتوضيح أفكار الزهراء صلوات الله عليها ووجهة نظرها ، فقط ، فإنها كانت تعتقد أن النتيجة التي حصلت عليها هي الفوز المؤكد في حساب العقيدة والدين وأعني بها أن الصديق قد استحق غضب الله

ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بإغضابها ، وآذاهما بأذاها لأنهما يغضبان لغضبها و ٥٥ . يسخطان لسخطها بنص الحديث النبوي الصحيح ، فلا يجوز أن يكون خليفة لله ورسوله

وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن) : وقد قال الله تبارك وتعالى . (1) (ذلكم كان عند الله عظيما

. (2) (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وأعد لهم عذابا مهينا)

. (3) (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم)

. (4) (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم)

. (5) (ومن يحل عليه غضبي فقد هوى)

* (هامش) *

(1) الأحزاب/ 53 . (2) الأحزاب/ 57 . (3) التوبة/ 61 . (4) الممتحنة/ 13 . (5) طه/ 81 .)
*

الفصل الرابع قبسات من الكلام الفاطمي

يوم جاءت إلى عدي وتيم * ومن الوجد ما أطال بكاها
تعظ القوم في أتم خطاب * حكت المصطفى به وحكاها
(الازري)

(عظمة الرسول القائد صلى الله عليه وآله وسلم)

نقتبس هنا عدة عبائر من خطبة الزهراء عليها السلام لنعطيها حقها من التحليل والتوضيح ، ثم قبضه إليه قبض رأفة) : ونفهمها كما هي في عالم الخلود ، وكما هي في واقعها الرائع ، قالت واختيار ورغبة وإيثار ، فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم عن تعب هذه الدار في راحة ، قد حف بالملائكة الأبرار ورضوان الرب الغفار ومجاورة الملك الجبار) .

انظر إلى البليغة كيف تركت النعيم المادي كله ، وملذو ذات الحس حين أرادت أن تقرض فردوس أبيها ، وجنته الخالدة ، لأنها رأت في معاني أبيها العظيم ما يرتفع على ذلك كله ، وما قيمة اللذة المادية جنينية كانت أو دنيوية في حساب محمد

صلى الله عليه وآله وسلم الروحي الذي لم يرتفع أحد بالروح الأنسانية كما ارتفع بها ، ولم يبلغ بها أحد سواه أوجها المحمدي (ولم يغذها مصلح عداه بالعقيدة الألهية الكاملة التي هي غاية العقول في طيرانها الكفري والشوط الأخير للطواف الأنساني حول الحقيقة المقدسة الذي يستقر عنده الضمير (وتطمئن إليه الروح) (1) .

* (هامش) *

(*) (الشهيد) .العقيدة الألهية في الأسلام - نقلنا هذه الجملة عن كتابنا (1)

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٢٤ : –

فهو إذن : المربي الاكبر للروح ، والقائد الفريد الذي سجلت المعنويات الروحية تحت رايته انتصارها الخالد على القوى المادية في معركتهما القائمة منذ بدأ العقل حياته في وسط المادة .

وما دام هو بطل المعركة الفاصلة بين الروحية والمادية الذي ختمت برسالته رسالات السماء فلا غرو أن يكون محور ذلك العالم الروحي الجبار ، وهذا ما شاءت أن تقوله الزهراء حين قالت تصف الفردوس المحمدي : فمحمد عن تعب هذه الدنيا

في راحة ، قد حف بالملائكة الأبرار فهو القطب أبدا في الدنيا وا لاخرة ، غير أنه في الاولى متعب لأنه القطب الذي يجاهد ليقيم دروة الحياة الأنسانية عليه ، على اسلوب خالد ، وفي الاخرى مرتاح

لأنه المحور الذي يكهرب الحياة الملائكية بنوره ، فتحف به الملائكة لتقدم بين يديه آيات الحمد والثناء.

وما دام النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطراز الأسمى فلتكن جنته على غراره ملؤها الترف المادي بل هي في أوضح معانيها الترف المعنوي – إن صح التعبير – وأي ترف روحي أسمى من مجاورة الملك الجبار والظفر برضوان الرب الغفار

وهكذا وصفت الزهراء جنة أبيها في جملتين ، فإذا به القطب المتصل بمبدأ النور والشمس التي تحيط بها الملائكة في دنيا النور .

(عظمة الأمام علي عليه السلام ومؤهلاته الشخصية)

وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ، ونهزة الطامع ، وقبسة) - : وقالت عليها السلام

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٢٥ : –

العجلان ، وموطئ الأقدام ، تشربون الطرق ، وتفتاتون الورق ، أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم ، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد اللتيا والتي ، وبعد أن مني ببهم الرجال ، وذؤبان العرب ، ومردة أهل

الكتاب ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، أو نجم قرن للشيطان ، وفغرت فاغرة من المشركين ، قذف أخاه في لهواتها ، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه ، ويخمد لهبها بسيفه مكدودا في ذات الله ، مجتهدا في أمر الله قريبا من رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم سيد أولياء الله مشتمرا ناصحا مجدا كادحا ، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون)
(1) .

ما أروعها من مقارنة هذه التي عقدتها الزهراء بين أسمى طراز من الكفاءة العسكرية في دنيا الأسلام يومئذ وبين رجولة مفطومة – إن صح التعبير – من ملكات البطل ومقومات العسكري الموهوب .
بين بسالة هتفت بآياتها السماء والأرض ،

وكتبت بمداد الخلود في فهرس المثاليات الأنسانية ، وشخصية اكتفت من الجهاد المقدس بالوقوف في الخط الحربي الأخير – العريش – ويا ليتها اقتنعت بذلك عن الفرار المحرم في عرف الأسلام ، وفي عرف التضحية ، وفي عرف المفاداة بالنفس لتوحيد الحكومة السماوية على وجه الأرض .

ولا نعرف في تاريخ الأنسانية موهبة عسكرية بارعة لها من الاثار الخيرة في حياة هذا الكوكب في سوح الجهاد وميادين النضال (2)كالموهبة العلوية الفذة في تاريخ الأبطال ، فإن مواقف الأمام كانت بحق هي الركيزة

* (هامش) *

(1) شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٥٠ – ٢٥١ .

(2) تاريخ الطبري راجع2 : 25 ، 65 - 66 . (*)

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٢٦ : –

التي قامت عليها دنيا الأسلام ، وصنغت له تاريخه الجبار .

فعلي هو المسلم الأول في اللحظة الاولى من تاريخ النبوة عندما لعلع الصوت الألهي من فم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم هو بعد ذلك الغيور الأول ، والمدافع الأول الذي أسندت إليه (1) السماء تصفية الحساب (2)مع الأنسانية الكافرة .

- : إن فوز الأمام في هذه المقارنة يعني أن له حقا في الخلافة من ناحيتين

إنه الشخص العسكري الفريد بين مسلمة ذلك اليوم الذي لم يكن قد فصل فيه تماما (إحداهما) المركز السياسي الأعلى عن المقامات العسكرية .

إن جهاده الرائع يكشف عن إخلاط أروع لا يعرف الشك إليه سبيلا ، وجذوة مضطرمة (والاخرى) بحرارة الأيمان لا يجد الخمود إليها طريقا .

وهذه الجذوة المتقدة أبدا ، وذلك الأخلاص الفياض دائما هما الشرطان الأساسيان للزعيم لذي توكل إليه الامة حراسة معنوياتها الغاية وحماية شرفها في التاريخ .

* (هامش) *

إشارة إلى إسلام علي عليه السلام ومؤازرته النبي صلى الله عليه وآله وسلم وا ستعداده غير المحدود (1) للتضحية والفداء في سبيل الأسلام ، راجع : الصواعق المحرقة 185 ، تاريخ الطبري 3 : 218 - 219 ، راجع حديث الدار المشهور ذكرناه سابقا .

(*) . 596 : 8صحيح الترمذي - راجع رواية سعد بن أبي وقاص (2)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٢٦ -

(مقارنة بين مواقف الأمام عليه السلام والاخرين)

اقرأ حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتاريخ الجهاد النبوي ، فسوف ترى أن عليا هو الذي

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٢٧ -

وأن الصديق رضى عنه الله هو الذي التجأ إلى مركز (1) * أدهش الأرض والسماء بمواساته حتى يطمئن بذلك عن غوائل (2)القيادة العليا الذي كان محاطا بعدة من أبطال الأنصار لحمايته (3)الحرب . وهو الذي فر يوم احد

ولم يبايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الموت في تلك الساعة (4)كما فر الفاروق الرهيبة التي قل فيها
الناصر وتضعضعت راية السماء وبايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الشهادة ثمانية ، ثلاثة من المهاجرين
وخمسة من الأنصار لم يكن هو واحدا منهم ، كما صرح

* (هامش) *

(1) لما قتل علي ابن أبي طالب أصحاب الألوية أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من مشركي قريش ، فقال لعلي : احمل عليهم ، فحمل عليهم ففرق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الطبري في تاريخه أخرج 2 : 65 - 66 عن ابن رافع – طبعة دار الكتب العلمية :

الله الجمحي ، قال : ثم أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من مشركي قريش فقال لعلي :

احمل عليهم ، فحمل عليهم ففرق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك ، فقال جبرئيل : يا رسول الله ان هذه للمواساة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنه مني وأنا منه

، فقال جبريل : وأنا منكما ، قال : فسمعوا صوتا : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي . ولنتأمل جواب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنلاحظ كيف أنه ارتفع بعلي عن مفهوم المواساة الذي يقتضي إنه مني وأنا : بتعدد محمد وعلي إلى مفهوم الوحدة والامتزاج فقال

منه ولم يرض بأن يفصل الأمام عن شخصه لأنهما وحدة لا تتجزأ ضربها الله مثلا أعلى تأتم بها الأنسانية ويهتدي على ضوئها الأبطال والمصلحون في معارج السمو والارتقاء ، وأنا لا أدري كيف حاول الصحابة أو بعض الصحابة أن يفككوا عرى هذه الوحدة ويضعوا بين

البطلين أشخاصا ثلاثة كان من الجدير أن لا يفصلوا بهم بين محمد وبين من هو من محمد صلى الله عليه (وآله وسلم . (الشهيد

(ابن سيد الناس ١ : ٣٣٦ ، مؤسسة عز الدين – بيروت . (الشهيد /راجع عيون الأثر (2)

(الشهيد) . كما يحدثنا بذلك التاريخ الشيعي (3)

ابن أبي /شرح نهج البلاغة - وقد اعترف هو بذلك وذكره به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (4)
. 390 - الحديد ٣ : ٣٨٩
(*) (الشهيد)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٢٨ -

، بل لم يرو له رواة المسلمين جميعا قتالا في ذلك الموقف مهما يكن لونه (1)بذلك أرباب التاريخ
. (2)

وإذن فلماذا وقف مع الثائبين إن كان لم يفر ؟ ألم يكن القتال واجبا ما دام المدا فعون لم يبلغوا العدد المطلوب لمقابلة العدو الذي أصاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدة إصابات اضطرته إلى ولعلنا نعلم جميعا أن شخصا إذا !الصلاة جالسا ؟

كان في وسط الصراح ومعترك الحرب فلن ينجو من الموت على يد عدوه إلا بالفرار ، أو الدفاع
. بالاشتراك عمليا في المعركة

والصديق إذا لم يكن قد فعل شيئا من هذين وقد نجا بلا ريب فمعنى هذا أن عدوا وقف أمام عدوه

مكتف اليدين فلم يقتله خصمه ، فهل أشفق المشركون على أبي بكر ، ولم يشفقوا على محمد وعلي وليس !والزبير وأبي دجانة وسهل بن حنيف ؟

لدي من تفسير معقول للموقف إلا أن يكون قد وقف إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكسب بذلك موقفا هو في طبيعته أبعد نقاط المعركة عن الخطر لاحتفاف العدد المخلص في ا لجهاد يومئذ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وليس هذا ببعيد لأننا عرفنا من ذوق الصديق أنه كان يحب أن يكون إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحرب لأن مركز النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المركز المصون الذي تتوفر جميع القوى الأسلامية على حراسته والذب عنه .

* (هامش) *

:ابن أبي الحديد ٣ : ٣٣٨ والمقريزي في الأمتاع /صرح بذلك الواقدي كما في شرح نهج البلاغة (1)
(الشهيد) . 132

(*) . اعترف بذلك ابن أبي الحديد : ٣ : ٣٨٩ (2)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٢٩ -

وخذ حياة الأمام علي عليه السلام وحياة الصديق وادرسهما ، هفل تجد في حياة الأول خمودا في الأخصلاص أو ضعفا في الاندفاع نحو التضحية أو ركونا إلى الدعة والراحة في ساعة الحرب المقدسة ؟

) (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير)فارجع البصر هل ترى من فطور لأنه سوف يجد روعة واستماتة في سبل الله لا تفوقها استماتة ، وشخصا لا يأتيه الباطل من (1 بين يديه ولا من خلفه ، فيه استعداد للخلود ما خلد محمد استاذه الأكبر لأنه نفسه صلى الله عليه وآله وسلم)(2) .

ثم حدثني عن حياة الصديق (رضي الله تعالى عنه) أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهل تجد فيها إلا تخاذلا

وضعفا في الحياة المبدئية ، والحياة العسكرية ، يظهر تارة في التجائه إلى العريش ، واخرى في فراره يوم احد وهزيمته

وتلكئه عن الواجب حينما أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج (3)في غزوة حنين تحت راية اسامة للغزو
، مرة اخرى في هزيمته يوم خيبر حينما (4)

* (هامش) *

. 4 /الملك (1)

فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناء كم ونساءنا ونساءكم) : استنادا إلى آية المباهلة ، وهي قوله تعالى (2) ، تفسير 1873 : 4راجع الرواية في صحيح مسلم . 61 /آل عمران (. . . وأنفسنا وأنفسكفم ثم نبتهل النسائي : ٨٩ ، رواية تصرح أن عليا عليه السلام / ، دار الكتب العلمية ، الخصائص 369 : 1الكشاف . كنفسه صلى الله عليه وآله وسلم

، إذ حصر الثابتين بغيره ، وأما فرار الفاروق في ذلك اليوم ، فقد جاء ما 126 : 2كما في الحلبية (3) ، دار المعرفة – بيروت . إذ روى بإسناده عمن شهد يوم حنين أنه 67 : 3يدل عليه في صحيح البخاري قال : وانهزم المسلمون ، وانهزمت معهم ، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس ، فقلت له : ما شأن الناس ؟ . قال : أمر الله . فإن هذا يوضح أن عمر كان من بين المنهزمين

فقد جاء في عدة من المصادر أن عمر وأبا بكر كانا فيمن جنده النبي صلى الله عليه وآله وسلم (4) (*) . 250 - 248 : 2للحرب تحت راية اسامة ، منها في السيرة الحلبية ج ٣ ، وراجع طبقات ابن سعد

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٣٠ -

بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاحتلال الوكر اليهودي على رأس جيش فرجع فارا ثم حيث تبخرت في ذلك (1)أرسل الفاروق (رضي الله تعالى عنه) وإذا به من طراز صاحبه الموقف الرهيب حماسة عمر وبطولته الرائعة في أيام السلم التي اعتز بها الأسلام يوم أسلم كما . يقولون

إني دافع : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (2)ورجع عمر مع أصحابه يجبنهم ويجبنونه . (3)الراية غدا لرجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح له

يشعر كلامه هذا بتعريض بليغ يدغدغ به مشاعر القائدين الفاشلين واعتزاز صريح بعليه العظيم الذي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله(4) .

يا خليفتي المسلمين – أو بعض المسلمين – رضي الله تعالى عنكما أهكذا كان نبيكما الذى قمتما مقامه ؟ ألم تتلقيا عنه دروسه الفذة في الجهاد والمعاناة في سبيل الله ؟ ألم يكن في صحبتكما له طوال عقدين حاجز

* (هامش) *

(1) راجع مسند أحمد 5 : 253 ، المستدرك / ، كنز العمال ٣ : ٢٧ ، الحاكم 6 : 394 ، تاريخ الطبري 2 : (الشهيد) . 136

(2) هذا تصوير علوي رائع للقائد الفاشل والجنود المتخاذلين وقد اطلع كل منهما على ضعف الاخر فأخذ يهول الموقف ليجد له من ذلك عذرا في الفرار . (الشهيد) راجع تاريخ الطبري 2 : 136 . .

(3) صحيح البخاري 5 : 18 ، مسند الأمام أحمد 5 : 353 ، الترمذي 5 : 596 ، صحيح مسلم 4 : 1873 .

(4) وأكبر الظن ان الجيش الذي سار الأمام على رأسه لاحتمال المستعمرة اليهودية هو والجيش الذي فر بالأمس ، ونفهم ممن هذا مدى تأثير القائد على جيشه وتكهرب الجيش بمشاعره فإن عليا استطاع أن يجعل من اولئك الجنود الذين كانوا يجبنون الفاروق في الحملة السابقة أبطالا فتحين بما سكب في أرواحهم من روحة العظيمة المتدفقة بالحماس والأخلاص . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٣١ -

يحجز عن ذلك ؟ ألم تستمعا إلى القرآن الذي اسندت إليكما حراست والتوفر على نشر مثله العليا ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء) - : في المعمورة وهو يقول بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)(1) .

وقد توافقني على أن مقام الصديق والفاروق رضى عنه الله في الأسلام يرتفع بهما عن الفرار المحرم ، فلا بد أنهما تأولا ووجدا عذرا في فرار هما ونحن نعلم أن مجال الاجتهاد والتأويل عند الخليفة كان واسعا حتى أنه اعتذر عن خالد لما قتل مسلما متعمدا بأنه (اجتهد فأخطأ)(2) .

عذرتكما إن الحمام لمبغض * وإن بقاء النفس للنفس محبوب ليكره طعم الموت والموت طالب * فكيف يلذ الموت والموت مطلوب ولنعتذر إذا كان فيما قدمناه سبب للاعتذار وقد اضطرنا إلى ذلك الوقوف عند المقارنة الفاطمية وما تستحقه من شرح وتوضيح .

(*هامش *)

(1)الأنفال . 16 /

(2)تاريخ الطبري 273 : 2 ، قال الخليفة عمر بن الخطاب لأبي بكر : إن في سيف خالد ر هقا ، فإن لم يكن هذا حقا ، حق عليه أن تقيده ، وأكثر عليه في ذلك . . . فقال – أبو بكر – هيه يا عمر تأول فأخطأ .)

وراجع تاريخ ابن شحنة :على هامش الكامل ١١) . 114 : الشهيد (*) (

(حزب السلطة الحاكمة)

(تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار) : قالت عليها السلام .

هذا الخطاب موجه إلى الحزنب الحاكم لأنه هو الذي زعم ما نسبته الزهراء إلى مخاط بيها فيما يأتي من تعليل التسرع إلى إتمام البيعة بالخوف من الفتنة .

وإذن فهو اتهام صريح له بالتآمر على السلطا ن واتخاذ التدابير اللازمة لهذه المؤامرة الرهيبة ووضع الخطط المحكمة لتنفيذها وتربص الفرصة السانحة للانقضاض على السلطة وتجريد البيت الهاشمي منها .

رضى عنه (1)وقد رأينا في الفصل السابق أن الاتفاق السري بين الصديق والفاروق وأبي عبيدة الله مما تعززه الظواهر التاريخية.

ولا ينبغي أن نترقب دليلا ماديا أقوى من كلام الزهراء الذي بينا اشعاره إلى هذه المعنى بوضوح لمعاصرتها لتلك الظروف العصيبة .

فلا ريب أنها كانت تفهم حوادث تلك الساعة فهما أخص ما يوصف به أنه أقرب إلى واقعها وأكثر إصابة له من دراسة يقوم بها النقاد بعد مئات السنين .

ومن حق البحث أن نسجل أن الزهراء هي أول من أعلنت – إن لم يكن زوجها هو المعلن الأل – عن التشكيلات الحزبية للجماعة الحاكمة واتهمتها بالتآمر السياسي ، ثم تبعها على ذلك جملة من بن أبي سفيان – كما عرفنا (3)المؤمنين (صلوات الله عليه) ومعاوية (2)معاصريها كأمير سابقا .

* (هامش) *

نعتذر إلى سيدنا أبي عبيدة عن ذكر اسمه مجردا عن اللقب ، وليس هذا ذنبي بل ذنب الأجل الذى (1) عجل بروحه قبل أن يصير الأمر إليه فيمنحه الناس لقبا من الألقاب ، وأما لقب الأمين فالأر جح عندي أنه لم يحصل عليه من طريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن طريق الناس ، وإنما لقب به لمناسبات (خاصة ليس من شأنها تقرير الأوسمة الرسمية . (الشهيد

احلب يا عمر حلبا لك شطره ! اشدد له اليوم أمره ليرد لك) :إشارة إلى قول الأمام علي عليه السلام (2) . وراجع ص ١٢ ، قول أبي عبيدة للأمام . 11 : 6شرح النهج . (. . . غدا

راجع قول معاوية في رسالة جوابية إلى محمد بن أبي بكر – مروج الذهب ٣ : ١٩٩ ، وقعة صفين / (3) (*) . 120 - نصر بن مزاحم : ١١٩

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٣٣ : –

وما دام هذا الحزب الذي تجزم بوجوده الزهراء ويشير إليه الأمام ويلمح إليه معاوية هو الذي سيطر على الحكم ومقدرات الامة ، وما دامت الاسر الحاكمة بعد ذلك التي وجهت جميع مرافق الحياة العامة لخدمتها قد طبقت اصول تلك السياسة

وعناصر ذلك المنهج الحزبي الذي دوخ دنيا الأسلام ، فمن الطبيعي جدا لا نرى في التاريخ أو على الأقل التاريخ العام صورة واضحة الألوان لذلك الحزب الذي كان يجتهد أبطاله الأولون في تلوين أعمالهم باللون الشرعي الخاص الذي هو أبعد ما يكون عن الألوان السياسية والاتفاقات السابقة .

فوسمتم غير إبلكم ، وأوردتم غير شربكم هذا والعهد قريب ، والكلم رحيب ،) - : قالت عليها السلام الجرح لما يندمل ، والرسول لما يقبر ، أبدرا زعمتهم خوف الفتنة ؟ ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين . أما لعمر الله لقد لقحت

فنظرة ريثما تحلب ثم احتلبوها طلاع القعب دما عبيطا هنا لك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون ثم طيبوا عن أنفسكم نفسا وابشروا بسيف صارم وهرج شامل واستبداد من الظالمين (1) (يدع فيئكم زهيدا وجمعكم حصيدا فيا حسرة عليكم .

لئن كان الصديق وصاحباه يشكلون حزبا ذا طابع خاص فمن العبث أن ننتظر منهم تصريحا بذلك أو نتوقع أن يعلنوا عن الخطوط الرئيسية

* (هامش) *

(*) . 234 : 16خطبة الزهراء ، راجع شرح نهج البلاغة (1)

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٣٤ : –

لمنهاجهم ويبرروابها موقفهم يوم السقيفة ومع هذا : فلا بد من مبرر . . . ولا بد من تفسير . . . فقد ظهر في ذلك الموقف تسرعهم إلى إتمام البيعة لأحدهم وتلهفهم على المقامات العليا تلهفا لم يكن منتظرا بالطبع من صحابة على نمطهم ، لأن المفروض فيهم أنهم اناس من نوع أكمل وعقول لا تفكر إلا في صالح المبدأ ، ولا تعبأ إلا بالاحتفاظ له بالسيادة العليا .

أما الملك الشخصي واما اقتناص الكراسي فلا ينبغي أن يكون هو الغاية في حساب تلامذة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

أحس الحاكمون بذلك وأدركوا أن موقفهم كان شاذا على أقل تقدير ، فأرادوا رضى عنه الله أن يرقعوا موقفهم بالأهداف السامية والخوف على الأسلام من هبوب فتنة طاغية تجهز عليه ، ونسوا أن الرقعة تفضح موضعها وأن الخيوط المقحمة في الثوب تشي بها .

ولذا دوت الزهراء بكلمتها الخالدة :)زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين)(1) .

نعم انها الفتنة ثم هي ام الفتن بلا ريب .

ما أروعك يا بضعة النبي حين تكشفين القناع عن الحقيقة المرة وتتنبئين لامة أبيك بالمستقبل الرهيب الذي تلتمع في افقه سحب حمراء ! ماذا أقول ؟ بل أنهار من دم تزخر بالجماجم وهي تنعى على سلفها . .

* (هامش) *

(*) التوبة / من خطبتها عليها السلام ، والاية ٤٩ (1) .

– فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٣٥ : –

الصالح فعلهم وتقول : ألا أنهم في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٣٥ -

(الفتنة الكبرى)

كانت العمليات السياسية يومئذ فتنة وكانت ام الفتن)(1) .

لأنها خروج على الحكومة الأسلامية الشرعية القائمة في -كانت فتنة في رأي الزهراء – على الأقل شخص علي هارون النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأولى من المسلمين بأنفسهم)(2) .

ومن مهازل القدر أن يعتذر الفاروق عن موقفه ، بأنه خاف الفتنة وهو لا يعلم ان انتزاع الأمر ممن

هو الفتنة بعينها المستوعبة لكل ما (3)أراده له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باعتراف عمر . لهذا المفهوم من ألوان

* (هامش) *

كما يظهر من قولة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب : إن بيعة أبي بكر فلتة وقى ا لله المسلمين شرها (1) ، 235 : 2، تاريخ الطبري

راجع ص ٣٦ من الطبعة المصرية – (. . فمن عاد إلى ! مثلها فاقتلوه . . .) :وفي الصواعق المحرقة . الطبعة الثانية / ١٩٦٥ -مكتبة القاهرة بتعليق عبد الوهاب عبد اللطيف

بنص حديث الغدير الذي رواه مائة وأحد عشر من :قال الأمام الشهيد الصدر رضى عنه الله (2) الصحابة ، وأربعة وثمانون من التابعين ، وثلاثمائة وثلاثة وخمسون مؤلف من اخواننا السنة كما يظهر من كتاب الغدير للعلامة الأميني ، واحب أ ن الاحظ هنا أن كثيرا من القرآن لم يروه من الصحابة – يريد على مبناهم – عدد يبلغ مبلغ الرواة الحديث الغدير منهم ، فالتشكيك فيه ينتهي بالمشكك إلى التشكيك في القرآن . الكريم

واما دلالة الحديث على خلافة علي وإمامته فهي أيضا ترتفع عن التشكيك لوضوحها وبداهتها ، وتعدد القرائن عليها . ولتراجع في ذلك

سيدنا سدن المذهب وحامي التشيع في دنيا الأسلام آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين ((مراجعات) ، (رضوان الله عليه

. 122 :راجع الصواعق المحرقة

(*) . ابن أبي الحديد ٣ : ١١٤ – ١١٥ ، الطبعة غير المحققة /راجع شرح نهج البلاغة (3)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٣٦ -

وأنا لا أدري ما منع هؤلاء الخائفين من الفتنة الذين لا مطمع لهم في السلطان إلا بمقدار ما يتصل بصالح الأسلام أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن خليفته أن يطلبوا منه أن يعين لهم المرجع الأعلى للحكومة الأسلامية من بعده ، وقد

طال المرض به أياما متعددة ، وأعلن فيها مرارا عن قرب أجله ، واجتمع به جماعة من أصحابه ، ولم يقع في أنفسهم مطلقا أن يسألوه عن المسألة (1)فسألوه عن كيفية غسله وتفصيلات تجهيزه الأساسية ، بل لم يخطر في بال اولئك الذين

أن يطلبوا (2)أصروا على عمر بأن يستخلف ولا يهمل الامة وألحوا عليه في ذلك خوفا من الفتنة نظير هذا من رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ، فهل ترى أنهم كانوا حينذاك في غفلة عن أخطار الموقف بالرغم من إنذار النبي صلى الله عليه

وآله وسلم بفتن كقطع الليل المظلم ؟ ! حتى إ ذا لحق سيد البشر بالرفيق الأعلى توهجت مشاعرهم بالغيرة على الدين ، وملأ قلوبهم لخوف من الفتنة والانعكاسات السيئة .

أو تعتقد معي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد اختار للسفينة ربانها الأفضل ولذلك لم يسأله السائلون ! ! دع عنك هذا واختلق لهم ما شئت من المعاذير ، فإن هؤلاء الغيارى على الأسلام لم يكتفوا بترك السؤال ، بل منعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مقاومة الخطر المرتقب حينما أراد أن يكتب (كتابا لا يضل المسلمون بعده أبدا) (3) .

والفتنة ضلال ، وإذن فلا فتنة بعد ذلك الكتاب أبدا فهل كانوا

* (هامش) *

(1) راجع الكامل في التاريخ ابن الأثير ٢ : ١٢٢ ، (الشهيد) .
والسيرة النبوية / ابن كثير ٤ / ٥٢٧ طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت .
(2) تاريخ الطبري 2 : 580 ، العقد الفريد 4 : 260 . (الشهيد)
(3) إشارة إلى قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الأخير : ائتو ني بكتاب أكتب لكم ، (. . . كتابا لا تضلوا بعده
*) . كتاب العلم – باب كتابة العلم ، وراجع ٨ : ١٦١ – كتاب الاعتصام 1 : 371صحيح البخاري)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٣٧ -

يشكون في صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ! أو يرون أنهم أقدر على الاحتياط للأسلام والقضاء على الشغب والهرج من نبي الأسلام ورجله الأول ! وخليق بنا أن نسأل عما عناه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالفتن التي جاء ذكرها في مناجاته لقبور البقيع في اخريات أيمه إذ يقول : لينهكم ما أصبحتم فيه قد أقلبت الفتن كقطع الليل المظلم (1) .

ولعلك تقول : إنها فتن المرتدين ، وهذا تفسير يقبل على فرض واحد وهو : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتخوف على موتى البقيع من الارتداد ، فأما إذا لم يكن يخشى عليهم من ذلك كما – هو في الواقع – لأنهم على الأكثر من المسلمين

الصالحين ، وفيهم الشهداء فلماذا يهنئهم على عدم حضور تلك الأيام ؟ ولا يستقيم في منطق بعد عقود ثلاثة (2)صحيح أن يريد بهذه الفتن المشاغبات الاموية التي قام بها عثمان ومعاوية . من ذلك التاريخ تقريبا

وإذن فتلك الفتن التي عنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا بد أن تكون فتنا حادثة بعده مباشرة ، ولا بد أيضا أن تكون أكثر اتصالا بموتى البقيع لو قدرت لهم الحياة من فتن الردة والمتنبئين . وهي . إذن عين الفتنة التي عنتها الزهراء بقولها : ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين

* (هامش) *

(دار صادر . (الشهيد 318 : 2تاريخ ابن الأثير (1)

الشيخ علي ناصف ٥ : /التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : راجع (2)

(*) . الهامش ٥ 316 : 5 ٣١٠ الهامش ٤ ،

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٣٨ -

وهل من غضاضة بعد أن يصطلح عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالفتنة أن تمنح لقب . الفتنة الاولى في دنيا الأسلام

وقد كانت العمليات السياسية يومئذ فتنة من ناحية اخرى ، لأنها فرضت خلافة على امة لم يقتنع من سوقتها الذين ليس لمثلهم الحق في تقرير مصير الحكم في عرف الأسلام (1)بها إلا القليل . ولا في لغة القوانين الدستورية جميعا

تلك هي خلافة الصديق (رضي الله تعالى عنه) عندما خرج من السقيفة (وعمر يهرول بين يديه وقد نبر حتى أزبد شدقاه) وجماعته تحوطه (وهم متزرون بالازر الصنعانية لا يمرون بأحد إلا . (2) (خبطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى

ومعنى هذا أن الحاكمين زفوا إلى المسلمين خلافة لم تباركها السماء ولا رضي بها المسلمون . وأن الصديق لم يستمد سلطانه من نص نبوي – بالضرورة – ولم ينعقد الأجماع عليه ما دام سعد لم يبايع إلى أن مات الخيلفة ، وما دام الهاشميون لم يبايعوا إلى ستة أشهر من خلافته – كما في صحيح البخاري(3) .

قالوا : إن أهل الحل والعقد قد بايعوه وكفى . ولكن ألا يحتاج هذا المفهوم إلى توضيح وإلى مرجع يرجع إليه في

* (هامش) *

(1) تاريخ الطبري راجع 2 : 233 .

(2) شرح نهج البلاغة /الشهيد (ابن أبي الحديد ١ : ٧٤ ، الطبعة غير المحققة .

(3) صحيح البخاري -الشهيد (*) (فضائل الصحابة باب ٣٥ ص ٦٦ ، وباب ٤٣ ص ٨٣ .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٣٩ -

ذلك ؟ فمن هو الذي اعتبر مبايعي أبي بكر أهل الحل والعقد ، وأعطاهم هذه الصلاحيات الواسعة ؟ ليس هو الامة ولا النبي الأعظم ، لأننا نعلم أن أبطال السقيفة لم يأخذوا أنفسهم بمناهج الانتخاب غير المباشر ، ولم يستفتوا المسلمين في تعيين المنتخبين الثانويين الذين اصطلح عليهم في العرف القد يم بأهل الحل والعقد .

كما أنه لم يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إعطاء هذه الصلاحيات لجماعة مخصوصة ، فكيف تمنح لعدد من المسلمين ويستأمنون على مقدرات الامة بغير رضى منها في ومن العجيب في العرف السياسي أن !ظل نظام دستوري كنظام الحكم في الأسلام كما يزعمون ؟ . ، ثم تكتسب منهم كلمتها العليا تعين الحكومة نفسها أهل الحل والعقد(1)

وأعجب من ذلك إخراج علي والعباس وسائر بني هاشم وسعد بن عبادة والزبير وعمار وسلمان وأبي ذر والمقداد وجميع أهل الحجى والرأي – على حد تعبير ابن عباس لعمر من أهل الحل - (2) والعقد إذا صح أن في

* (هامش) *

(1) تاريخ الطبري 2 : 233 وأبا عبيدة ، فقام عمر ، فقال : أيكم – الخطاب للمجتمعين في السقيفة – تطيب نفسه أن يخلف قدمين قدمهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم ! فبايعه عمر وبايعه الناس ، فقالت الأنصار : . . . لا نبايع إلا عليا .

(2) شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد ٣ : ١١٥ ، الطبعة غير المحققة ، إذ قال ابن عباس : أما أهل الحجى والنهى فإنهم ما يزالون يعدونه – أي عليا – كاملا منذ رفع الله منار الأسلام ، ولكنهم يعدو نه (*) (محروما مجدودا . (الشهيد

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٤٠ -

الأسلام طبقة مستأثره بالحل والعقد . وقد جر وضع هذه الكلمة في قاموس الحياة الأسلامية إلى تهيئة الجو لأرستقراطية هي أبعد ما تكون عن روح الأسلام وواقعة المصفى من الطبقية والعنعنات .

وهل كانت تلك الثروات الضخمة التي امتلأت بها أكياس عبد الرحمن بن عوف وطلحة وأضرابهما إلا بسبب هذا اللقب المشؤوم على الأسلام الذي لقبوا به ، فرأوا أنهم من الطراز الرفيع الذي يستحق أن يملك الملايين ويتحكم في حقوق الناس كما يريد ؟!

وقالوا : إن الأكثرية هي مقياس الحكومة الشرعية والمبدأ الذي لا بد أن تقوم على أساسه الخلافة .

وقد استهان القرآن الكريم بالأكثرية ولم يجعل منها في حال من الأحوال دليلا وميزانا صحيحا إذ جاء فيه :

(1) (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) .

(2) (وأكثرهم للحق كارهون) .

(3) (وما يتبع أكثرهم إلا ظنا) .

(4) (ولكن أكثرهم يجهلون) .

* (هامش) *

(*) . 111 /الأنعام (4) . 36 /يونس (3) . 70 /المؤمنون (2) . 116 /الأنعام (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٤١ -

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صحاح السنة أنه قال : (بينا أنا قائم – يعني يوم القيامة على الحوض – فإذا زمرة ، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم ، فقلت أين ؟ فقال : إلى النار والله ، قلت : وما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم هم القهقرى -فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم – : إلى أن قال) (1) .

ولا يمكن أن تكون هذه الأكثرية الجهنمية التي حدث عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصدر السلطة في ٦٥ الأسلام ، لأنها لا تنشئ بطبيعة الحال إلا خلافة مطبوعة بطابعها .

وإذا خرجنا بالأكثرية عن حدود المدنيين الذين عرفنا أنفا مراكزهم الجهنمية على ا لأغلب في الحياة الخالدة ، واعتبرنا أكثرية المسلمين عموما هي المقياس الصحيح ، فلا بد أن نلاحظ أن المدينة هل كانت وحدها مسكن المسلمين ليكتمل النصاب

المفروض بالأكثرية المدنية أو أن أبا بكر لم يكتف بها وإنما بعث إلى المسلمين المنتشرين في أرجاء المملكة بالخبر ليأخذ آراءهم ويستشيرهم ؟! كلا لم يحدث شئ من ذلك وإنما فرض حكومته على آفاق المملكة كلها فرضا لا يقبل مراجعة ولا جدالا حتى أصبح التردد في الخضوع لها جريمة لا تغتفر (2) .

ولكن هذا .وقالوا : إن الخلافة تحصل ببعة بعض المسلمين ، ولا ريب أن ذلك قد حصل لأبي بكر مما لا يقره المنطق السياسي السليم ، لأن البعض لا يمكن

* (هامش) *

(*) . كتاب الفتن - 86 : 8صحيح البخاري (2)و (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٤٢ -

أن يتحكم في شؤون الامة كلها ، ولأن حياة الامة لا يمكن أن تعلق على خيط ضعيف كهذا الخيط ، ويرن في حفظ مقدساتها ومقامها إلى حكومة أنشأها جماعة من الصحابة لم يزكهم إجماع شعبي ، ولا نص مقدس ، بل هم اناس عاديون من الصحابة

(1) (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون)ونحن نعلم أن

فلما آتاهم من فضله *ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما *بخلوا به وتولوا وهم معرضون ، (2) (كانوا يكذبون

ومن أهل المدينة) : ومنهم من خص الله تعالى نفسه بالاطلاع على سرائرهم ونفاقهم فقال لرسوله . (3) (مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم

فجماعة فيها المنافق ، وفيها من يؤذي رسول الله ، وفيها الكاذب لا يمكن أن يعتبر رأى بعضهم أيا . كان ، ملاكا للمنصب الأول في العالم الأسلامي

إن خلافة الصديق لم تكن خلافة نص ، ولا خلفاة أكثرية ولا : وتعليقا على هذه المعلومات نقول نتيجة انتخاب مباشر ولا غير مباشر ، نعم بذل في سبيلها بعض المسلمين جهودا رائعة ، والتفت حولها طائفة من الناس وانتصرت لها جماعات عديدة في

المدينة ، ولكن هؤلاء جميعا ليسوا إلا بعض المسلمين ، والبعض ليس له حكم مطاع في الموضوع ، لأن الحكم الذي يستمد معنويته القانونية من الامة يلزم أن يكون صاحبه ممثلا للامة بجميع عناصرها أو أكثر عناصرها ، هذا أولا ، وأما ثانيا فلأن في المسلمين منافقين لا يعلمهم

* (هامش) *

(*) . 101 /التوبة (3) . 77 - 75 /التوبة (2) . 61 /التوبة (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٤٣ -

إلا الله بنص القرآن الكريم ، وتنزيه هذا البعض المتوفر على إنشاء الكيان السياسي للامة حينئذ عن . النفاق لا بد أن يكون عن طريق النص أو الامة

وإذن فليسمح لنا الصديق أن نميل إلى رأي الزهراء بعض الميل أو كل الميل ، لأننا لا نجد للفتنة واقعا أوضح من تسلط رجل بلا وجه قانوني على امة ، وتصرفه في مرافقها الحيوية جميعا

كالصديق رضى عنه الله في أيام خلافته ، أو في الأشهر الاولى أو في الأسابيع الاولى من على أقل تقدير - حكومته التي خطبت فيها الزهراء .

وما أدري هل خطرت للمتسرعين المستبدين نتائج استبدادهم واستقلالهم عن العناصر التي كان من الطبيعي أن يكون لها رأي في الموضوع لو قامت تلك العناصر بالمعارضة ، واستعد الهاشميون للمقاومة ، وقد كان تقدير هذا المعنى قريبا ومعقولا إلى

حد بعيد ، فكيف لم يحتاطوا له وانتهوا إلى نتيجتهم المط لوبة في مدة قد لا تزيد على ساعة ؟ ! ولماذا نقدس الموقف أكثر مما قدسه أبطاله ؟ فقد بلغ من تقديس الفاروق أنه أمر بقتل من عاد إلى وكرر ذلك الموقف (1)مثل بيعة أبي بكر .

وإذا أردنا أن نأخذ هذا الكلام ونفهمه على أنه كلام إمام يراعي دستور الأسلام ، فمعنى ذلك أنه رأى موقف أبي بكر وأصحابه في السقيفة فتنة وفسادا ، لأن القتل لا يجوز بغير ذلك من الأسباب . وهي بعد ذلك كله ام الفتن لأنها هي التي جعلت الخلافة سلطان الله

* (هامش) *

(1) الصواعق المحرقة :56 طبعة المطبعة الميمنية / ١٣١٢ هـ : ٢١ ، طبعة دار الكتب العلمية ، ط ٣ – بيروت / ١٤١٤ هـ (*) .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٤٤ -

الذي يأتيه البر والفاجر كما صرحت بذلك السيدة عائشة (رضي الله عنها) التي كانت بلا شك تمثل نظريات الحزب الحاكم
(1) .

وهي التي فتحت للأهواء والأطماع السياسية ميدانها الو اسع ، فتولدت الأحزاب وتناحرت السياسات وتفرق المسلمون وانقسموا شر انقسام (2)ذهب بكيانهم الجبار ومجدهم في التاريخ .

وماذا ظنك بهذه الاذمة التي أشأت في ربع قرن المملكة الاولى في أرجاء العالم بسبب ان زعيم المعارضة للحكومة في ذلك الحين – أعني عليا – لم يتخذ للمعارضة أسبابها المزعرعة لكيان الامة ووحد تها ؟!

ماذا تقدر لها من مجد وسلطان وهيمنة على العالم لو لم تبتل بعشاق الملك المتضاربين ، (أقول) والامراء السكارى بنشوة السلطان ، ولم تكن مسرحا للمعارك الدامية التي يقل نظيرها في التاريخ ، ولم يستغل حكامها الغاشمون إمكانيات الامة كلها

؟ لم ينظر الصديق والفاروق إلا إلى (3)للذاتهم وهنائهم ويستهينون بعد ذلك بمقدراتها جميعا زمانهما الخاص ، فتصورا أن في طاقتهما حماية الكيان الأسلامي ، ولكنهما لو تعمقا في نظرتهما . كما تعمقت الزهراء وتوسعا في مطالعة الموقف لعرفا صدق الأنذار الذي أنذرتهما به الزهراء

* (هامش) *

(، المطبعة المينية بمصر / ١٣١٤ هـ . (الشهيد19 : 6الدر المنثور (1)

. ، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة / ط ٣١٢ - 30 : الشهرستاني ١ /الملل والنحل (2)

ابن عبد ربه ٥ : ٢٠٠ – ٢٠٢ /وما بعدها ، العقد الفريد 214 :المسعودي ٣ /مروج الذهب : راجع (3) ،

(*) . الشهيدد سيد قطب /العدالة الاجتماعية في الأسلام

الفصل الخامس محكمة الكتاب

إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله (58 /النساء (نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا

(موقف الخليفة الأول من تركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم)

(تمهيد)

إذا أردنا أن نرتفع بمستوى دراستنا إلى مصاف الدراسات الدقيقة ، فلا بد أن نأخذ أ نفسنا بمناهج البحث العلمي في درس ناحيتين :

موقف الخليفة تجاه ميراث الزهراء الذي كان يستند فيه إلى ما روا ه عن رسول الله : الناحية الاولى صلى الله عليه وآله وسلم في موضوع الميراث بأساليب متعددة وصور مختلفة لتعدد مواجهات الخصمين ، فجاءت الأحاديث التي تنقل روايته

على حد تعبير واحد ، ولا تجمع على لفظ معين ، لاختلاف المشاهد التي (1)وهي لا تتفق ترويها ، واختصاص كل منها بصيغة خاصة للحديث على حسب ما كان يحضر الخليفة من عبائر . أو تعدد الروايات التي رواها في المسألة

وقبل كل شئ نريد أن نلاحظ مقدار تأكد الخليفة من صحة - 1

* (هامش) *

(1) راجع الرواية التي انفرد بها الصديق مع اختلاف التعابير التي وردت فيها في سنن البيهقي 6 : 297 ، 302 -

(*) . 227 ، 221 ، 219 ، 218ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٤ ، /شرح نهج البلاغة

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٤٨ -

الحديث الذي رآه دالا على نفي توريث التركة النبوية واطمئنانه إلى سماع ذلك من رسول الله صلى من أن الخليفة سلم (1)الله عليه وآله وسلم ، ثباته عليه . ويمكننا فهم ذلك مما تحدثنا به الروايات فدك للحوراء وكاد الأمر أن يتم لولا أن دخل

عمر وقال له : (ما هذا ؟ فقال له : كتاب كتبته لفاطمة ميثراثها من أبيها ، فقال : ماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى ثم أخذ الكتاب فشقه (2) .

ونحن ننقل هذه الرواية في تحفظ وإن كنا نستقرب صحتها ، لأن كل شئ كان يشجع على عدم حكاية هذه القصة لو لم يكن
لها نصيب من الواقع ، وإذا صحت ففي تدل على أن أمر التسليم وقع بعد الخطبة الفاطمية الخالدة ونقل الخليفة لحديث نفي

الأرث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن حروب الردة التي أشار إليها عمر في كلامه ، وخطبة الزهراء قد كانت في اليوم العاشر أيضا كما سبق (3)ابتدأت بعد يوم السقيفة بعشرة أيام (4) .

2 - وقد بلغ به التأثر (5)وقد أظهر الخليفة الندم في ساعة وفاته على عدم تسليم فدك لفاطمة ، حينا أن قال للناس وقد اجتمعوا حوله : أقيلوني بيعتي .

وندرك من هذا أن الخليفة كان يطوي نفسه على قلق عظيم مرده إلى الشعور بنقص مادي في حكمه على فاطمة وضعف في المدرك الذي استند

* (هامش) *

(1) شرح النهج ، 16 : 234 . (الشهيد) . 363 : 3ذكره سبط ابن الجوزي كما في السيرة الحلبية .

(2) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٣٤ – ٢٣٥ /راجع .

(3) مروج الذهب 2 : 193 . (الشهيد)

(4) ولعل هذا يضعف من شأن الرواية ، لأن الخليفة لو كان مستعدا للتراجع لأجاب ا لزهراء إلى ما تطلب في

المسجد حينما خطبت وأسمعته من التأنيب والتقريع الشئ الكثير . (الشهيد)

(5) تاريخ الطبري 2 : 353 ، سمو المعنى في سمو الذات / (الشهيد) . ١٨ : (العلايلي) (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٤٩ -

إليه ، ويثور به ضميره أحيانا فلا يجد في مستنداته ما يهدئ نفسه المضطربة وقد ضاق بهذه الحالة المريرة ، فطفحت نفسه في الساعة الأخيرة بكلام يندم فيه على موقفه من الزهراء ، تلك الساعة الحرجة التي يتمثل فيها للأنسان ما مثله على مسرح

الحياة من فصل أو شك الستار أن يسدل عليها ، وتجتمع في ذاكرته خيوط حيا ته بألوانها المختلفة التي آن لها أن تنقطع ، فلا يبقى منها إلا التبعات .

3 - أن يدفن إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا (1)ولا ننسى أن أبا بكر أوصى يصح ذلك إلا إذا كان قد عدل عن اعتبار روايته مدركا قانونيا في الموضوع ، واستأذن ابنته في أن يدفن فيما ورثته من أرض الحجرة – إذا كان

للزوجة نصيب في الأرض ، وكان نصيب عائشة يسع ذلك – ولو كان يرى أن تركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم صدقة مشتركة بين المسلمين عامة ، للزمه الاستئذان منهم . وهب أن البالغين أجازوا ذلك فكيف بالأطفال والقاصرين ممن كانوا في ذلك الحين ؟!

ونحن نعلم أيضا أن الخليفة لم ينتزع من نساء النبي بيوتهن ومساكنهن التي كن يسكن فيها في - 4 حياد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فما عساه أن يكون سبب التفريق الذي أنتج انتزاع فدك من الزهراء وتخصيص حاصلاتها للمصالح العامة

وإبقاء بيوت نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهن يتصرفن فيها كما يتصرف المالك في ماله حتى تستأذن عائشة في الدفن في حجرتها ؟ أكان الحكم بعدم التوريث مختصا ببضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ أو أن بيوت الزوجات كانت !

* (هامش) *

(*) . 349 : 3تاريخ الطبري (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٥٠ -

نحلة لهن ؟ فلنا أن نستفهم عما أثبت ذلك عند الخليفة ولم قتم بينة ، عليه ولا ادعته واحدة منهن ، وليست حيازتهن للبيوت في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاهدا على ملكيتهن لها ، لأنها ليست حيازة استقلالية ، بل من شؤون حيازة النبي

صلى الله عليه وآله وسلم ككل زوجة بالنسبة إلى زوجها ؟كما أن نسبة البيوت إليهن في الاية ، لا يدل على ذلك ، لأن الأضافة يكفي في صحتها أدنى (1) (وقرن في بيوتكن) : الكريمة ملابسة ، وقد نسبت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا) : القرآن الكريم بعد تلك الاية بمقدا ر قليل إذ قال الله تبارك وتعالى . (2) (بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم

فإذا كان الترتيب ا لقرآني حجة ، لزم الأخذ بما تدل عليه هذه الاية . وورد في صحاح السنة عن إن ما بين بيتي ومنبري روضة من) : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إسناد البيت إليه في قوله . (3) (رياض الجنة

ولنتساءل عما إذا كان الحكم بعدم توريث الأنبياء الذي ذهب إليه الخليفة مما اختزنه الوحي - 5

الخاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ، واقتضت المصلحة تأخيره عن وقت الحاجة ، وإ جراءة على الصديقة دون سائر ورثة الأنبياء ؟

أو أن الرسل السابقين قد أهملوا تبليغه وتعريف خلفائهم وورثتهم به طمعا بالمادة الزائفة ، واستبقاء لها في أولادهم وآلهم ؟

أو أنهم كانوا قد انتهجوا هذا الطريق ونفذوا الحكم بعدم التور يث ، ومع ذلك لم يؤثر في التواريخ جميعا ؟

أو أن السياسة السائدة يو مذاك هي التي أشأت هذا الحكم ؟

* (هامش) *

. 33 /الأحزاب (1)

. 53 /الأحزاب (2)

(*) .طبعة دار الفكر – بهامشه المنتخب من كنز العمال - 236 : 2مسند الأمام أحمد (3)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٥١ -

6 - ومن جهة اخرى هل يمكننا أن نقبل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجر على أحب الناس إليه وأقربهم منه البلايا والشدائد وهي التي يغضب لغضبها ويسر لسرورها وينقبض ، ولم يكن ليكلفه دفع هذه لمحن عنها (1) لانقباضها

أكثر من إعلامها بحقيقة الأمر لئلا تطلب ما ليس لها بحق ، وكأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذ له أن ترزى ابنته ، ثم تتسع هذه الرزية فتكون أداة اختلاف وصخب بين المسلمين عامة ، . وهو الذي ارسل رحمة للعالمين ، فبقي مصرا على كتمان الخبر عنها مع الأسرار به إلى أبي بكر

*هامش * ( )

(1)صحيح البخاري 83 : 5باب ٤٣ حديث رقم ٢٣٢ ، صحيح مسلم 1902 : 4حديث رقم ٩٣ / ٢٤٤٩ .

تاريخ بغداد /الخطيب البغدادي ١٧ : ٢٠٣ دار الكتب العلمية – بيروت . مسند الأمام أحمد 6 : 1 ، ط بعة دار صادر .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٥١ -

(روايات الخليفة الأول ومناقشتها)

1 - لأجل أن نلقي نظرة على الحديث من الناحية المعنوية بعد الملاحظات التي أسلفنا ها ، نقسم الصيغة التي جاءت في رواية الموضوع إلى قسمين :

(الأول) : ما جاء في بعضها من أن أبا بكر بكى لما كلمته فاطمة ثم قال يا بنت رسول الله ، والله ما ورث أبوك دينارا ولا درهما ، وإنه قال : إن الأنبياء لا يورثون (2) .

(وما ورد في الخطبة من قوله : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا أرضا ولا عقارا ولا دارا لكنما نورث الأيمان والحكمة والعلم والسنة 69 . (3))

* (هامش) *

(2) شرح نهج البلاغة /ابن أبي الحديد ١٦ : 316 ، سنن البيهقي 6 : 301 .

(3) شرح نهج البلاغة /ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٥٢ ، ٢١٤ ، سنن البيهقي 6 : 300 . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٥٢ -

(الثاني) التعبير الذي تنقله عدة أخبار عن الخليفة وهو ما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من (إنا لا نورث ما تركناه صدقة) (1) .

2 - والنقطة المهمة في هدا البحث هي معرفة ما إذا كانت هذه الصيغ تدل بوضوح لا يقبل تشكيكا ولا تأويلا - وهو النص

(2) في العرف العلمي – على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تورث تر كته ، أو ما إذا كانت تصلح للتعبير بها عن

وهو الظاهر في الاصطلاح – - معنى آخر وإن كانت للتعبير بها عن الحكم بعدم التوريث أصلح وللمسألة تقدير ثالث وهو أن لا يرجح المعنى الذي هو في صالح الخليفة على ما قد يؤدي باللفظ من معان اخر – وهو المجمل (3) .

3 - إذا لا حظنا القسم الأول من صيغ الحديث وجدنا رواياته تقبل أن تكون بيانا لعدم تشريع توريث الأنبياء كما فهمه الخليفة ، ويمكن أن تكون كناية عن معنى أن يقع في نقس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيانه ، وهو تعظيم مقام النبوة وتجليل الأنبياء ، وليس من مظهر للجلالة الروحية والعظمة الألهية

* (هامش) *

(1) شرح نهج البلاغة /ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٢٤ ، ٢١٨ ، سنن البيهقي 6 : 301 .

(2) وأما النص . قال الرازي : إذا كان اللفظ موضوعا لمعنى ، ولا يكون محتملا لغيره فهذا هو النص . الرازي ٧ : ١٨ /المجمل فيظهر من كلامه أنه ما دل على معنيين على التساوي . راجع التفسير الكبير

النص : (هو الكلام الذي يظهر إفادته لمعناه ، ولا يتناول أكثر مما هو مقول فيه . أما المجمل : فهو ما أفاد جملة من الأشياء . . . واللفظ لا يعينه) . . . المحقق الحلي : ١٠٥ /وجاء في معارج الاصول . بدران أبو العينين : ٥ /وراجع بيان النصوص التشريعية

(3) المصباح المنير /الفيومي 2 : 654 ، نشر دار الهجرة – قم المقدسة) . *

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٥٣ -

. أجلى دلالة وأكثر مادية من الزهد في الدنيا ، ولذائذها الزائفة ، ومتعها الفانية

فماذا لا يجوز لنا افتراض أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يشير إلى أن الأنبياء اناس ملائكيون وبشر من الطراز الأسمى الذي لا تشوبه الأنانيات الأرضية والأهواء البشرية ؟ لأن - بمعناها الرمزي - طبيعتهم قد اشتقت من عناصر السماء

المتدفقة بالخير لا من مواد هذا العالم الأرضي ، فهم أبدا ودائما منابع الخير ، والطالعون بالنور ، والمورثون للأيمان والحكمة ، والمركزون للسلطان الألهي في الأرض . وليسوا مصادر للثروة بمعناها المصطلح عليه في عرف الناس ، ولا بالساعين وراء نفائسها .

إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا أرضا ولا عقارا ولا دار ا) : ولماذا لا يكون قوله (كناية عن هذا المعنى ؟ لأن توريثهم لهذه الأشياء إنما يكون بحيازتهم لها ، وتركهم إياها بعد موتهم وهم منصرفون عنها ، لا يحسبون لها حسابا ولا يقيمون لها وزنا ليحصلوا على شئ منها .

إن الفقراء لا يورثون ، لا أنهم :فما هو تحت اللفظ نفي التوريث لعدم وجود التركة كما إذا قلنا . يختصون عن سائر الناس بحكم يقتضي بعدم جريان أحكام الأرث على تركاتهم

والهدف الأصلي من الكلام بيان جلال الأنبياء . وهذا الاسلوب من البيان مما يتفق مع الأساليب . النبوية الرائعة التي تطفح بالمعاني الكبار وتزخر بأسماها في موجاتها اللفظية القصيرة

4 - ولكي تتفق معي على تفسير معين للحديث ، يلزم أن نعرف معنى التوريث لنفهم الجملة النافية له كما يلزم . و ٧٠ معنى التوريث جعل شئ ميراثا ، فالمورث من يكون سببا لانتقال المال من وهذا (1)الميت إلى قريبه

* (هامش) *

(*) . نشر دار الهجرة – قم المقدسة 654 : 2المصباح المنير (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٥٢ -

القانون الذي يجعل للوارث (والاخر) . وجود التركة (أحدهما) - : الأنتقال يتوقف على أمرين . حصة من مال الميت

ويحصل الأول بسبب نفس الميت ، والثان بسبب المشرع الذي وضع قانون الوراثة سواء أكان فردا أسندت إليه الناس الصلاحيات التشريعية أو هيئة تقوم على ذلك ، أو نبيا يشرع بوحي من السماء ، فكل من الميت والمشرع له نصيب من

إيجاد التوارث ، ولكن المورث الحقيقي الذي يستحق التعبير عنه بهذا اللفظ بحق هو الميت الذي أوجد مادة الأرث ، لأنه هو الذي هيا للأرث شرطه الأخير بما خلفه من ثروة ، وأما المشرع فليس مورثا من ذلك اطراز لأنه لم يجعل بوضعه للقانون ،

ميراثا معينا بالفعل ، بل شرع نظاما يقتضي بأن الميت إذا كان قد ملك شيئا وخلفه بعد موته فهو لأقاربه . وهذا وحده لا يكفي لأيجاد مال موروث في الخارج ، بل يتوقف على أن يكون الميت قد . أصاب شيئا من المال وخلفه بعده

فالواضع التشريعي نظير من يضيف عنصرا خاصا إلى طبيعة من الطبائع ، فيجعلها قابلة لأحراق

ما يلاقيها . فإذا ألقيت إليها بورقد فاحترقت كنت أنت الذي أحرقتها لا من أضاف ذلك العنصر المحرق إلى الطبيعة ، والقاعدة التي ذلك ، أن كل شئ

يسند بحسب اصول التعبير إلى المؤثر الأخير فيه . وفي ضوء هذه القاعدة نعر ف أن نسبة الذي (1)التوريث إلى شخص تدل على أنه المؤثر الأخير في الأرث ، وهو الموروث

* (هامش) *

(*) . المصدر السابق (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٥٥ -

. أوجد التركة

أن الأنبياء يورثون ، أنهم يحصلون على الأموال ويجعلونها تركة من بعدهم ، : فالمفهوم من جملة وإذا نفي التوريث عنهم ، كان مدلول هذا النفي أنهم لا يهيؤون للأرث شرطه الأخير ، ولا يسعون . وراء الأموال ليتركوها بعد وفاتهم لورثتهم

وإذن فليس معنى : أن الأنبياء لا يورثون ، عدم التوريث التشريعي ، ونفي الحكم بالأرث ، لأن الحكم بالأرث ليس توريثا حقيقيا ، بل التوريث الحقيقي تهيئة نفس التركة وهذا هو المنفي في . الحديث

وعلى طراز آخر من البيان أن التوريث الذي نفاه خاتم النبيين عن الأنبياء ، إن كا ن هو التوريث التشريعي ، كان مفاد النفي إلغاء قانون الأرث من شرائع السماء ، لأن توريثهم التشريعي لا يختص . بورثتهم حتى يكون المنفي توريثهم خاصة

وإن كان هو التوريث الحقيقي ، بمعنى تهيئة الجو المناسب للأرث ، سقطت العبارة عما أراد لها . الصديق من معنى وكان معناها أن الأنبياء لا تركة لهم لتورث

، (1) (وفي الرواية الاولى مهد الخليفة للحديث بقوله : (والله ما ورث أبوك دينارا ولا درهما - 5 وهذا التعبير واضح كل الوضوح في نفي التركة وعدم ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا من المال . فإذا صح للخليفة أن يستعمل تلك الجملة في هذا المعنى ، فليصح أن تدل صيغة . الحديث عليه أيضا ويكون هو المقصود منها

وإذا لاحظنا الأمثلة التي ذكرت في الرواية الثانية نجد فيها ما يعزز - 6

* (هامش) *

(*) . ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٦ /شرح نهج البلاغة (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٥٦ -

قيمة هذا التفسير ، لأن ذكر الذهب والفضة والعقار والدار – مع أنها من مهمات التركة – لا يتفق مع تفسير الحديث بأن لا تورث ، لأن اللازم ذكر أتفه الأشياء لبيان عموم الحكم بعدم الأرث لسائر مصاديق التركة .

كما إنا إذا أردنا أن نوضح عدم إرث الكافر لشئ من تركة أبيه لم نقل : إن الكافر لا يرث ذهبا ولا فضة ولا دارا وإنما نقول : إنه لا يرث تمرة واحدة من تركة الميت .

وبتعبير واضح أن الاهتمام بتوضيح عموم الحكم لكل أقسام التركة يقتضي التصريح ببعض أقسام المال الذي قد يتوهم متوهم عدم اندراجه في التركة التي لا تورث .

وقولنا : الأنبياء لا يورثون أو أن الكفار لا نصيب لهم من تركة آبائهم ، يدل أول ما يدل على عدم انتقال الدار والعقار و الذهب والفضة وغيرها من نفيس التركة ومهمها . فذكر هذه الامور في الحديث يرجح أن المقصود بنفي توريث الأنبياء ،

بيان زهدهم وعدم اهتمامهم بالحصول على نفائس الحياة المحدودة التي يتنافس فيها المتنافسون ، لأن المناسب لهذا الغرض ذكر الأموال المهمة التي تكون حيازتها وتوريثها منافيا للزهد والمقامات الروحية العليا . وأما الأخبار عن عدم التوريث في الشر يعة فاللائق به ذكر التوافه من التركة دون أقسامها الواضحة المهمة .

وأمر آخر يشهد لما ذركناه من التفسير وهو الجملة الثانية الأيجابية في الحديث أي جملة : (- 7 ، فإنها لا تدل على تشريع وراثة هذه الامور ، بل (1) (ولكنا نورث الأيمان والحكمة والعلم والسنة على توفرها في الأنبياء إلى

* (هامش) *

(*) . ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٤ /شرح نهج البلاغة (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٥٧ -

حد يؤهلهم لنشرها وإشاعتها بين الناس . فقد نفهم حينئذ أن المراد بالجملة الاولى التي نفت التوريث ، بيان أن الأنبياء لا يسعون للحصول على الذهب والعقار ونحو هما ، ولا يكون لهم من ذلك شئ ليرثه آلهم .

8 - ولا يجوز لنا أن نقيس عبارة الحديث المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : (إن الناس لا يورثون الكافر من أقاربهم (1) ، بل يلزمنا أن نفرق بين التعبيرين لأن المشرع إذا تكلم عمن يشرع لهم أحكامهم كان الظاهر من كلامه أنه يلقي بذلك عليهم حكما من الأحكام .

فإخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عدم توريث الناس للكافر من أقاربهم لا يصح تفسيره بأنه إخبار فقط ، بل يدل فوق هذا على أن الكافر لا يرث في شريعته .

وتختلف عن ذلك العبارة التي نقلها الخليفة ، لأن موضوع الحديث فيها هو الأنبياء لا جماعة ممن تشملهم تشريعات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحكامه ، فليس في الأمر ما يدل على حكم وراء الأخبار عن عدم توريثهم .

9 - وليس لك أن تعترض بأن الأنبياء كثيرا ما يحوزون على شئ مما ذكر في الحديث ، فيلزم على ما ذكرت من التفسير أن يكون الحديث كاذبا ، لأنك قد تتذكر أن الذي نفي عن الأنبياء هو التور يث خاصة ، وهو ينطوي على معنى خاص ، وأعني به إسناد الأرث إلى المورث .

وهذا الأسناد يتوقف على أن يكون المورث قد سعى في سبيل الحصول على المال الذي تركه ميراثا بعده ، كما يتوقف معنى المهذب على استعمال وسائل التهذيب .

* (هامش) *

(1) ورد الحديث بألفاظ وعبارات اخرى مفادها ما تقدم ، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لا يرث المسلم الكافر ولا الكفار المسلم ، راجع سنن ابن ماجة / أبي داود ، صحيح سنن المصطفى 164 : 2

(*) . ٢ : ١٩ – باب هل يرث المسلم الكافر

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٥٨ -

فإذا استطاع شخص أن يقرأ أفكار عالم من علماء الأخلاق ، ويهذب نفسه على هدى تلك الأفكار ، لم يصح تسمية ذلك العالم مهذبا ، لأن إيجاد أي شئ سواء أكان تهذيبا أو توريثا أو تعليما أو نحو ذلك لا يستقيم إسناده إلى شخص إلا إذا كان للشخص عمل إيجابي ، وتأثير ملحوظ في تحقق ذلك الشئ الموجود .

والأنبياء وإن حازوا شيئا من العقارات والدور ، ولكن ذلك لم يكن بسعي منهم وراء المال كما هو شأن الناس جميعا . ونقرر علاوة على هذا أن المقصود من الكلام ليس هو بيان أن الأنبياء لا يورثون ولا يتركون مالا ، بل ما يدل عليه ذلك من مقامهم واميتازهم .

وما دامت الجملة كذلك ولم يكن الهدف الحقيقي منها بيان معناها الحرفي ، فلا يمنع حيازة الأنبياء لبعض تلك الأموال عن صواب التفسير الذي قدمناه ، كما أن من كنى قديما عن الكريم بأنه كثير الرماد (1) لم يكن كاذبا سواء أكان في بيت الكريم رماد ، أو لا ، لأنه لم يرد نعته بهذا الوصف حقا وإنما أشار به إلى كرمه ، لان أظهر لوازم الكرم يومذاك كثرة المطابخ الموجبة لكثرة الرماد .

وعدم التوريث من أوضح آثار الزهد والورع ، فيجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أشار إلى ورع الأنبياء بقوله : إن الأنبياء لا يورثون .

- ولأجل أن نتبيم معنى القسم الثاني من صيغ الحديث يلزمنا أن نميز بين معان ثلاثة - 10 :

* (هامش) *

(1) راجع : الكناية عن الكريم بكثير الرماد ، مما شاع على ألسنة البلغاء والشعراء . راجع أحمد /جواهر البلاغة . . الهاشمي : ٣٦٣ . لاحظ بيت الخنساء المشهور في أخيها صخر : رفيع العماد طويل النجاد كثير الرماد . (*) .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٥٩ -

(الأول) أن تركة الميت لا تورث ، ومعنى هذا إن ما كان يملكه إلى حين وفاته ، وتر كه بعده لا ينتقل إلى آله بل يصبح صدقة حين موته .

أن ما تصدق به الميت في حياته ، أو أقفه على جهات معينة لا يورث بل يبقى صدقة (الثاني) . ووقفا ، والورثة إنما يورثون غير الصدقات من الأموال التي كان يملكها الميت إلى حين وفاته

أن الشخص ليس لديه أموال مملوكة له لتورث ، وكل ما سوف يتكره من أموال إنما هو (الثالث) . من الصدقات والأوقاف

ومتى عرفنا الفارق بين هذه المعاني يظهر أن صيغة الحديث ليست واضحة كل الوضوح ولا غنية عن البحث والتمحيص ، بل في طاقتها التعبيرية إمكانيات التفسير بالمعاني الانفة الذكر جميعا ، فإن النصف الثاني من الحديث وهو – ما تركناه صدقة

يجوز أن يكون مستقلا في كيانه المعنوي ، مركبا من مبتدأ وخبر ، ويمكن أن يكون تكملة لجملة - لا نورث . ففي الحالة الاولى يقبل الحديث التفسير بالمعنى الأول والثالث من المعاني السابقة لأن قد يراد بها أن التركة - جملة – ما تركناه صدقة

لا تنقل من ملك الميت إلى آله وإنما تصبح صدقة بعد موته ، وقد يقصد بها بيان المعنى الثالث وهو أن جميع التركة صدقة ولم يكن يملك منها الميت شيئا ليورث كما إذا أشار الأ نشان إلى أمواله . وقال : إن هذه الأموال ليست ملكا لي وإنما هي صدقات أتولاها

والحديث على تقدير أن تكون له وحدة معنو ية ، يدل على المعنى الثاني ، أي أن الصدقات التي تصدق بها الميت في حياته لا تورث دون سائر تركته ، ويكون الموصول مفعولا لا مبتدأ . ويتضح من الصيغة على هذا التقدير نفس ما يفهم منها إذا انعكس الترتيب فيها وجاءت

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٦٠ -

هكذا : – ما تركناه صدقة لا نورثه – فكما يؤتى بهذه الجملة لبيان أن الصدقات لا تور ث ، لا أن كل أقسام التركة صدقة ، كذلك يصح أن يقصد نفس ذلك المعنى من صيغة الحديث بترتيبها . المأثور

فتكون دليلا على عدم انتقال الصدقات إلى الورثة على على عدم تشريع الأرث إطلاقا . وقد يكون من حق سيبويه علينا أن نشير إلى أن قواعد النحو ترفع كلمة صدقة على تقدير استقلال – ما . تركناه صدقة – معنويا وتنصبها على التقدير الاخر

ومن الواضح أن الحركات الاعرابية لا تلحظ في التكلم عادة بالنسبة إلى الحرف الأخير من حروف الجملة للوقوف عليه المجوز لتسكينه .

11 - وإذن فقد وضعنا بين يدي الحديث عدة من المعاني في سبيل البحث عن مدلوله . وليس من الأسراف في القول أن نقرر أن تفسير الحديث بما يدل على أن أموال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكون صدقة بعد موته ، لا يرجح على المعنيين

الاخرين ، بل قد نتبين لونا من الرجحان للمعنى الثاني – وهو أن المتروك صدقة لا يورث – دون سائر التركة إذا تأملنا ضمير الجمع في الحديث ، وهو النون ، وهضمنا دلالته كما يجب لأن استعماله في شصخه الكريم خاصة لا يصح إلا على

سبيل المجاز ، ثم هو بعد ذلك بعيد كل البعد عن تواضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله وفعله . فالظواهر تجمع على أن النون قد استعملت في جماعة ، وإن الحكم الذي تقرره العبارة ثابت لها وليس مختصا بالنبي صلى الله عليه

وآله وسلم ، والأوفق باصول التعبير أن تكون الجماعة جماعة المسلمين لا الأنبياء ، لأن ٧٣ الحديث مجرد عن قرينة تعين هؤلاء ، ولم يسبق بعهد يدل عليهم . وليس لك أن تعترض بأن صيغة الحديث يجوز أنها كانت مقترنة حال صدورها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقرينة أو مسبوقة بعهد يدل على أن

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٦١ -

مراده من الضمير جماعة الأنبياء ، لأن اللازم أن تعتبر عدم ذكر الخليفة لشئ من ذلك – مع أن الراوي لحديث لا بد له من نقل سائر ما يتصل به مما يصلح لتفسيره – دليلا على سقوط هذا الاعتراض .

وأضف إلى هذا أن إغفال ذلك لم يكن من صالحه ، وإذن فليكن الواقع اللفظي للحديث هو الواقع المأثور عن الخليفة بحدوده الخاصة بلا زيادة ولا نقيضة .

والمفهوم من الضمير حينئذ جماعة المسلمين لحضورهم ذاتا عند صدور العبارة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وقد جرت عادة المتكلمين على أنهم إذا أوردوا جملة في مجتمع من الناس ، وأ درجوا فيها ضمير المتكلم الموضوع للجماعة ،

أن يريدوا بالضمير الجماعة الحاضرة . فلو أن شخصا من العلماء اجتمع عنده جماعة من أصدقائه ، وأخذ يحدثهم وهو يعبر بضمير المتكلم الموضوع للجمع بلا سبق ذكر العلماء ، لفهم من الضمير أن المتكلم يعني بالجماعة نفسه مع أصدقائه الحاضرين لا معشر العلماء الذين يندرج فيهم ، ولو أراد جماعة غير اولئك الحاضرين لم يكن مبينا بل ملغزا .

وتعليقا على هذا التقدير ماذا تراه يكون هذا الحكم الذي أثبته الحديث للمسلمين – الذين قد عرفنا أن الضمير يدل عليهم – هل يجوز أن يكون عبارة عن عدم توريث المسلم لتركته ؟ أو أن الأموال التي عند كل مسلم ليست ملكا له وإنما هي من

الصدقات ؟ كلا ! فإن هذا لا يتفق مع الضروري من تشريع الأسلام ، لأن المسلم في عرف القرآن يملك بألوان متعددة من أسباب الملك عند الناس ، ويورث ما يتركه من أموال (بعد وصية يوصي بها أو دين) (1) وأنت ترى .

* (هامش) *

(1) إشارة إلى قوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فإن كان له إخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين) النساء / 11 . (*)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٦٢ -

معي الان بوضوح أن الحكم ليس إلا أن الصدقة لا تورث ، فإن هذا أمر عام لا يختص بصدقة دون صدقة بل يطرد في سائر صدقات المسلمين .

ولا غرابة في بيان الحكم بعدم توريث الصدقات في صدر زمان التشريع مع وضوحه الان ، لأن قواعد الشريعة وأحكامها لم تكن قد تقررت واشتهرت بين المسلمين فكان لاحتمال انفساخ الصدقات والأوقاف بموت المالك ورجوعها إلى الورثة متسع ، ولا يضعضع قيمة هذا التفسير عدم ذكر الز هراء له واعتراضها به على الخليفة .

فلأن الموقف الحرج الذي وقفته الزهرء في ساعتها الشديدة لم يكن ليتسع لمثل تلك المناقشات الدقيقة ، حيث أن السلطة الحاكمة التي كانت تريد تنفيذ قراراتها بصورة حاسمة قد سيطرت على الموقف بصرامة وعزم لا يقبلان جدالا ، أما أولا :

ولذا نرى الخليفة لا يزيد في جواب استدلال خصمه بآيات ميراث الأنبياء على الدعوى الصارمة إذ فلم يكن مصير هذه المناقشات لو قدر - (1) * يقول : (هكذا هو) – كما في طبقات ابن سعد . لها أن تساهم في ا لثورة بنصيب إلا الرد والفشل

فلأن هذه المناقشات لم تكن تتصل بهدف الزهراء وغرضها الذي كان يتلخص في : وأما ثانيا القضاء على جهاز الخلافة الجديدة كلها ، فمن الطبيعي أن تقتصر على الأساليب التي هي أقرب إلى تحقيق ذلك الغرض ،

* (هامش) *

(*) . ، طبعة دار صادر ، قول الخليفة الأول في الجواب : هكذا هو315 : 2طبقات ابن سعد (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٦٣ -

فتراها مثلا في خطابها الخالد خاطبت عقول الناس وقلوبهم معا ، ولكنها لم تتجاوز في احتجاجها الوجوه البديهية التي كان من القريب أن يستنكر اغضاء الخليفة عنها كل أحد ، ويجر ذلك الاستنكار إلى معارضة حامية . فقد نفت وجود سند لحكم

الخليفة من الكتاب الكريم ، ثم ذكرت ما يخالفه من الايات العامة المشرعة للتوارث بين سائر ، والايات الخاصة الدالة على توريث بعض الأنبياء كيحيى وداود عليهما السلام ، (1)المسلمين ثم عرضت المسألة على وجه آخر وهو : إن ما حكم

به الخليفة لو كان حقا للزم أن يكون أعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه ، لأنهما لم يخبراها بالخبر مع أنهما لو كانا على علم به لأخبر اها به ، ومن الواضح أن الصديق لا يمكن أن يكون أعلم بحكم التركة النبوية من النبي صلى

لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك في (2)الله عليه وآله وسلم أو علي الذي ثبتت وصايته يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي ؟ لقد جئت شيئا فريا ! أفعلى) : قولها وقال فيما (3) (وورث سليمان داود) : عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ؟ إذ يقول :اقتص من خبر يحيى بن زكريا

* (هامش) *

أن الخبر الواحد المعتبر يصلح لتخصيص الكتاب ، لأنه حاكم أو وارد : من الواضحات العلمية أخيرا (1) كما هو الصحيح على أصالة العموم وأصالة الأطلاق . وإنما احتجت الزهراء بالايات العامة ، لأنها لم تكن (تعترف بوثاقة الصديق وعدالته . (الشهيد

وصاية الأمام علي عليه السلام ثابتة على كل حال : أما عند الأمامية ، فعليها الأجماع ، وعلى أنها (2) بالمعنى الأعم أي الخلافة أيضا ، وأما عند غيرهم فثابتة ولكن بالمعنى الأخص . راجع حديث الدار ا العلامة عبد /وقد تقدم ، مسألة الوصية والاستدلال عليها تفصيلا ، المراجعات 2لمشهور تاريخ الطبري . 236 : الحسين شرف ا لدين

(*) . 16 /النمل (3)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٦٥ -

ها إن !أحدثتم ، وعجلان ما أتيتم ، ألأن مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمتم دينه ؟ موته لعمري خطب جليل ، استوسع وهنه ، واستبهم فتقه ، وفقد راتقه ، وأظلمت الأرض له ، .خشعت الجبا ل ، وأكدت الامال

اضيع بعده الحريم ، وهتكت الحرمة ، واذيلت المصونة ، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته ، وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل) : وأنبأكم بها قبل وفاته ، فقال انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر

إيها بني قيلة ! هتضم تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع تبلغكم (1) (الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين الدعوة ، ويشملكم الصوت ، وفيكم العدة والعدد ، ولكم الدار والجنن ، وأنتم نخبة الله التي انتخب . (2) (وخيرته التي اختار . . . الخ

وإذن فلم تكن المناقشات في تفسير الحديث وتأويله مما تهضمها السلطات الحاكمة ، ولا هي على . علاقة بالغرض الرئيسي للثائرة من ثورتها . وهذا يفسر لنا عدم تعرضها للنحلة في خطابها أيضا

* (هامش) *

(*) . 213 - 212 : 16شرح النهج / خطبة الزهراء (2) . 144 /آل عمران (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٦٥ -

(موقف الخليفة من مسألة الميراث)

1 - يجب الان توضيح موقف الخليفة تجاه الزهراء في مسألة الميراث وتحديد رأيه فيها – بعد أن أوضحنا حظ الصيغ السابقة من وضوح المعنى وخفائه – وهو موقف لا يخلو من تعقيد إذا تعمقنا شيئا ما في درس

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٦٦ -

المستندات التاريخية للقضية . ومع أن المستندات كثيرة فإنها مسألة محيرة أن نعرف ماذا عسى أن تكون النقطة التي اختلف فيها التنازعان ، ومن الصعوبة توحيد هذه النقطة . والناس يرون أن مثار الخلاف بين أبي بكر والزهراء هو مسألة توريث الأنبياء ، فكانت الصديقة تدعي توريثهم ، والخليفة ينكر ذلك .

وتقدير الموقف على هذا الشكل لا يحل السمألة حلا نهائيا ولا يفسر عدة امور :

قول الخليفة لفاطمة في محاورة له معها – وقد طالبته بفدك – : إن هذا المال لم يكن (الأول) للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنما كان مالا من أموال المسلمين يحمل النبي به الرجال وينفقه في سبيل الله ، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليته كما كان يليه (1) . فإن هذا الكلام يدل بوضوح على أنه كان يناقش في أمر آخر غير توريث الأنبياء .

قوله لفاطمة في محاورة اخرى : (أبوك والله خير مني وأنت والله خير من بناتي وقد قال (الثاني) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا نورث ما تركناه صدقة (2) .

يعني هذه الأموال القائمة ، وهذه الجملة التفسيرية التي ألحقها الخليفة بالحديث تحتاج إلى عناية ، فإنها تفيدنا أن الخليفة كان يرى أن الحكم الذي تدل عليه عبارة الحديث مختص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس ثابتا لتركة سائر الأنبياء ولا لتركة

سا ئر المسلمين جميعا ، فحدد التركة التي لا تورث بالأموال القائمة ، وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعنيها هي بالحديث . وعلى هذا

* (هامش) *

(*) . المصدر السابق (2) . ابن أبي الحديد ١٦ : ٢١٤ /شرح نهج البلاغة (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٦٧ -

التحديد نفهم أن المفهوم للخليفة من الحديث ليس هو عدم توريث الصدقات ، لأن هذ ا الحكم عام ، ولا اختصاص له بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا يجوز أن يحدد موضوعه بالأموال القائمة بل كان اللازم حينئذ أن يأتي الخليفة بجملة تطبيقية بأن يقول : إن الأموال القائمة مما ينطبق عليها الحديث .

كما يتضح لدينا أن الخليفة لم يكن يفسر الحديث بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تورث تركته وأملاكه التي يخلفها ، بل تصبح صدقة بعد موته ، لأنه لو كان يذهب هذا المذهب في فهم الحديث لجاء التفسير في كلامه على اسلوب آخر ، لأن المقصود من موضوع الحديث حينئذ تركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأطلاق ولا يعني الأموال القائمة التي كانت تطالب بها الزهراء خاصة .

وأعني بذلك أن هذه الأموال الخاصة لو كانت قد خرجت عن ملك النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته ، لم يكن الحكم بعدم التوريث ثابتا لها كما أن غيرها من الأحوال لو حصل (للنبي) لما ورثها آله أيضا .

فعدم توريث التركة النبوية إن ثبت فهو امتياز لكل ما يخلفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أملال سواء أكانت هذه التي خلفها أو غيرها . ولا يصح أن يقال : إنه عنى بالتركة الأموال القائمة التي كانت تطالب بها الزهراء .

ونظير ذلك قولك لصاحبك : أكرم كل من يزورك الليلة ، ثم يزوره شخصان فإنك لم تعن بكلامك هذين الشخصين خاصة ، وإنما انطبق عليهما الأمر دون غير هما على سبيل الصدفة .

وهي الأموال القائمة – يقضي -وعلى اسلوب أوضح ، إن تفسير التركة التي لا تورث بأموال معينة بأن الحكم المدلول عليه بالحديث مختص – عند المفسر – بهذه الأموال المحدودة . ولا ريب أن تركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو كانت لا تورث لما اختص الحكم

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٦٨ -

بالأموال المعينة المتروكة بالفعل ، بل لثبت لكل يتركه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يكن من تلك الأموال .

وأيضا فمن حق البحث أن أتساءل عن فائدة الجملة التفسيرية ، والغرض المقصود من ورا ئها فيما إذا كان الحكم المفهوم للخليفة من الحديث أن أملاك النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تورث ، فهل كان صدق التركة على الأموال القائمة مشكوكا

، فأراد أن يرفع الشك لينطبق عليها الحديث ، ويثبت لها الحكم بعدم التور يث ؟ وإذا صح هذا التقدير فالشك المذكور في صالح الخليفة لأن المال إذا لم يتضح أنه من تركة الميت لا ينتقل إلى ا لورثة ، فلا يجوز أن يكون الخليفة قد حاول رفع هذا

الشك ، ولا يمكن أن يكون قد قصد بهذا التطبيق منع الزهراء من المناقشة في انطباق الحديث على ما تطالب به من أموال ، لأنها ما دامت قد طالبت بالأموال القائمة على وجه الأرث فهي تعترف بأنها من تركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولنفترض أن الأموال القائمة قسم من التركة النبوية وليس المقصود منها مخلفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميعا – ولعلها عبارة عن الأموال والعقارا ت الثابتة نحو فدك – فهل يجوز لنا تقدير أن غرض الخليفة من الجملة تخصيص الأموال التي لا تورث بها ؟ لا أظن ذلك ، لأن أملاك النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تختلف في التوريث وعدمه .

ونخرج من هذه التأملات بنتيجة وهي أن ا لمفهوم من الحديث للخليفة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبر عن عدم تملكه للأموال القائمة ، وأشار إليها بوصف التركة فقال : (ما تركناه صدقة) ، فشأنه شأن من يجمع ورثته ثم يقول لهم : إن كل تركتي صدقة ، يحاول بذلك أن يخبرهم بأنها ليست ملكا له ليرثوها بعده لأن ذلك هو المعنى الذي يمكن أن يختص بالأموال القائمة ويحدد موضوعه بها .

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٦٩ -

جواب الخليفة لرسول أرسلته فاطمة ليطالب بما كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الثالث) في المدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر ، إذ قال له : (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قال : لا نورث ما تركناه صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، وإني والله لا أغير شيئا من صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(1) .

فإننا إذا افترضنا أن معنى الحديث في رأي الخليفة عدم توريث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأملاكه ، كان كلامه متناقضا ، لأن استدلاله بالحديث في صدر كلامه يدل حينئذ على أنه يعترف بأن ما تطالب به الزهراء هو من تركة النبي صلى الله

عليه وآله وسلم وأملاكه التي مات عنها – ليصح انطباق الحديث عليه – والجملة الأخيرة من كلامه وهي قوله : (وإني والله لا اغير شيئا من صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم) ، تعاكس هذا المعنى ، لأن ما طلبت الزهراء تغييره عن أيام النبي صلى الله عليه وآ له وسلم – بزعم الخليفة – هو فدك وعقاراته في المدينة ، وما بقي من خمس خيبر . فأبوبكر حين يقول : إني والله لا اغير شيئا من صدقات رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم ، يعني بها تلك الأموال التي طالبت بها الزهراء ، ورأى معنى مطالبتها بها تغييرها عن حالها السابقة ، ومعنى تسميته لها بصدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن من رأيه أنها ليست ملكا للنبي صلى الله عليه

وآله وسلم بل صدقاته التي كان يتولاها في حياته . ويوضح لنا هذا أن استدلاله بالحديث في صدر كلامه لم يكن لأثبات أن أملاك النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تورث وإنما أراد بذلك توضيح أن الأموال القائمة ليست من أملاك النبي ، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم ذكر أنها صدقة .

ونستطيع أن نتبين من بعض روايات الموضوع أن الخليفة ناقش - 2

* (هامش) *

(1) شرح النهج 16 : 218 . (*)

في توريث الأنبياء لأملاكهم ولم يقصر النزاع على الناحية السابقة ، فإن الرواية ا لتي تحدثنا بخطبة الزهراء واستدلال أبي بكر بما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حديث : (إنا معاشر الخ) واعتراض الزهراء . . . الأنبياء لا نورث

عيله بالايات العامة المشرعة للميراث والايات الخاصة الدالة على توريث بعض الأنبياء تكشف عن جانب جديد من المنازعة إذ ينكر أبو بكر توريث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمواله ، ويستند والتشبث بوجهة نظرها في (1)إلى الحديث في ذلك ، ويلح في الأنكار كما تلح فاطمة في مناقشته المسأ لة .

3 - وإذن فللخليفة حديثان :

(الأول) إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة (والثاني) . (2)لا نورث ما تركناه صدقة (3) .

أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : والاخر . إن فدك صدقة فلا تورث : أحدهما : وقد ادعى أمرين لا تورث أملاكه . واستدل بالحديث الأو ل على أن فدك صدقة وبالحديث الثاني على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يورث .

* (هامش) *

(1) المصدر السابق ١٦ : ٢١١ .

(2) المصدر نفسه ١٦ : ٢١٨ ، وراجع سنن البيهقي 6 : 300 - 301 .

(3) شرح النهج 16 : 252 . (*)

(نتائج المناقشة)

1 - قد لا يكون من العسير تصفية الحساب مع الخليفة بعد أن اتضح

موقفه ، وتقررت الملاحظات التي لا حظناها في الحديثين اللذين رواهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وتتلخص المؤاخذة التي آخذناه بها حتى الان في عدة امور نشير إليها لنجمع نتائج ما سبق :

. . . أن الخليفة لم يصدق روايته في بعض الأحايين كما المعنا في مستهل هذا الفصل (الأول)

أن من الأسراف في الاحتمال أن نجوز إسرار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى (الثاني) الخليفة بحكم تركته ٧٨ وإخفاءه عن بضعته وسائر ورثته . وكيف اختص بالخليفة دون غيره بمعرفة مع أن النبي صلى الله (الحكم المذكور ؟ (١

عليه وآله وسلم لم يكن من عادته الاجتماع بأبي بكر وحده إلا بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اخبره بالخبر في خلوة متعمدة ليبقى الأمر مجهولا لدى ورثته وبضعته ويضيف بذلك إلى آلامها من ورائه محنة جديدة .

أن عليا هو وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا ريب ، للحديث الدال على ذلك (الثالث) الذي ارتفع به رواته إلى درجة التواتر واليقين حتى شاع في شعر أكابر الصحابة فضلا عن رواياتهم كعبد الله بن عباس وخزيمة بن ثابت

الأنصاري وحجر بن عدي وأبي الهيثم بن التيهان وعبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وحسان بن ثابت وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (2) . وإذن فالوصاية من الأوسمة الأسلامية الرفيعة التي اختص بها

* (هامش) *

(1) واختلفوا في ميراثه فما وجدنا عند أحد في ذلك علما ، فقال أبو بكر : : حتى قالت عائشة في كلام لها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إنا معاشر الأنبياء لا نورث . . . إلخ . راجع الصواعق المحرقة / الشهيد (السيوطي : ٧٣ (ابن حجر : ٣٤ . تاريخ الخلفاء

(2) راجع شرح النهج 1: 47 - 48 و ٣ : 15 من الطبعة المصرية غير المحققة) *) .

وقد اختلف شيعة علي وشيعة أبي بكر في معنى هذه الوصاية فذهب (1)الأمام بلا ريب السابقون الأولون إلى أنها بمعنى النص عليه بالخلافة ، وتأولها الاخرون فقالوا : إن عليا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على علمه أو شريعته أو مختصاته .

ولا نريد الان الاعتراض على هؤلاء أو تأييد اولئك ، وإنما نتكلم على الحد يث بمقدار ما يتطلبه اتصاله بموضوع هذا البحث ونقرر النتيجة التي يقضي بها على كل من تلك التفاسير .

إن الوصاية بمعنى الخلافة ، ثم نتبين الصديق على هدى الحديث . فإنا سوف نراه : فنفترض أولا شخصا سارقا لأنفس المعنويات الأسلامية ، ومتصرفا في مقدرات الامة بلا سلطان شرعي . ولا مجال لهذا الشخص حينئذ أن يحكم بين الناس ،

ولا يسعنا أن نؤمن له بحديث . ولنترك هذا التفسير ما دام شديد القسوة على صاحبنا ونقول : إن عليا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على علمه وشريعته ، فهل يسعنا مع الاعتراف بهذه الوصاية المقدسة أن نؤمن بحديث ينكره الوصي ؟ ! وما دام هو العين الساهرة على شريعة السماء ، فلا بد أن يؤخذ رأيه في كل مسألة نصا لا مناقشة فيه ، (2)

* (هامش) *

(1) فلا ريب عندنا أن عليا عليه السلام كان وصي رسول : 46 : 1قال ابن أبي الحديد في شرح النهج (الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن خالف من ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد . (الشهيد

(2) علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى) : راجع قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الطبراني وإنه صلى الله عليه وآله وسلم اختصه من بين أصحابه /المعجم الصغير - (يردا علي الحوض وأهل بيته بأن عهد إليه سبعين عهدا لم يعهد لأحد غيره ، أنه

. (. . . علي مني وأنا ولا يؤدي عني إلا هو) : مع الحق والحق معه ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : 17ابن حجر : ١٢٢ وما بعدها ، مختصر تاريخ ابن عساكر /راجع في كل ذلك الصواعق المحرقة (*) . وما بعدها 256

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٧٣ -

لأنه أدرى بما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وائتمنه عليه . وخذ إليك بعد ذلك الاسلوب الثالث ، فإنه ينتهي إلى النتيجة السابقة عينها لأن عليا إذا كان وصيا لرسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم على تركته ومختصاته ، فلا معنى لسطو الخليفة على التركة النبوية ووصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليها موجود وهو أعرف بحكمها ومصيرها الشرعي .

أن تأميم التركة النبوية من أوليات الخليفة في التاريخ ، ولم يؤثر في تواريخ الامم السابقة (الرابع) ذلك ، ولو كان قاعدة متبعة قد جرى عليها الخلفاء بالنسبة إلى تركة سائر الأنبياء لاشتهر الأمر ، وعرفته امم الأنبياء جميعا . كما أن إنكار الخليفة

لملكية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفدك – كما تدل عليه بعض المحاورات السابقة – كان فيه من التسرع شئ كثير ، لأن فدك مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، بل استسلم أهلها خوفا من السنة والشيعة (1)ورعبا باتفاق أعلام المؤرخين .

وكل أرض يستسلم أهلها على هذا الاسلوب فهي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خالصة (2) . وما أفاء) : وقد أشار الله تعالى في الكتاب الكريم إلى أن فدك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله ولم يثبت تصدق النبي بها ووقفه . (3) (الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب لها .

إن الحديثين اللذين استدل بهما في الموضوع لا يقوم منهما (الخامس)

* (هامش) *

(1) راجع : فتوح البلدان /البلاذري : ٤٦ ، تاريخ ابن الأثير : 2 / 231 شرح نهج البلاغة : 4دار صادر ، 78 ،

(، دار إحياء التراث العربي – بيروت / ١٩٨٥ . (الشهيد368 : 2سيرة ابن هشام

(*) . 6 /الحشر (3) . الزمخشري ٤ : ٥٠٢ /راجع تفسير الكشاف (2)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٧٤ -

دليل على ما أراد ، وقد خرجنا من دراستهما قريبا بمعنى لكل منهما لا يتصل بمذهب ا لخليفة عن قرب أو بعد . وإن أبيت فلتكن المعاني الانفة الذكر متكافئة ، ولتكن العبارة ذات تقادير متساوية ، ولا يجوز حينئذ ترجيح معنى لها والاستدلال بها عليه .

ونضيف إليها الان اعتراضا سادسا بعد أن .هذه هي الاعتراضات التي انتهينا إليها أنفا - 2

نفترض أن جملة (إنا معاشر الأنبياء لو نورث) أقرب إلى نفي الحكم بالميراث منها إلى نفي التركة الموروثة ، ونقدر لجملة : (لا نورث ما تركناه

صدقة) من المعنى ما ينفع الخليفة ، ونلغي تفسيرها بأن الصدقة المتروكة لا تورث ، ثم ندرس المسألة على ضوء هذه التقادير . وهذا الاعتراض الجديد هو أن اللازم – في العرف العلمي – متى صحت هذه الفروض تأويل الخبر ، ولم يجز

الركون إلى أوضح معانيه ، لأنه يقرر حينئذ عدم توريث سائر الأنبياء لتركاتهم ، لما جاء في بعضها من التصريح بالتعميم نحو إنا معاشر الأنبياء لا نورث ، ولما يدل عليه بالنون في قوله : لا نورث ما تركناه صدقة ، من تعليق الحكم على جماعة .

وحيث يتضح أن الحكم في الحديث عدم توريث التركة ، يتجلى أن المراد بالجماعة جماعة الأ نبياء ، إذ لا توجد جماعة اخرى نحتمل عدم انتقال تركاتها إلى الورثة . وقد دل صريح القرآن الكريم على توريث بعض الأنبياء ، إذ قال الله تبارك

وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي) : وتعالى في كتابه الكريم مخبرا عن زكريا عليه السلام والأرث في . (1) (يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا *عاقرا فهب لي من لدنك وليا الاية بمعنى إرث المال ، لأنه هو الذي ينتقل

* (هامش) *

(*) . 6 /مريم (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٧٥ -

، وامتناع انتقال (1)حقيقة من الموروث إلى الوارث ، وأما العلم والنبوة فلا ينتقلان انتقالا حقيقيا واضح كل الوضوح . وأما إذا اعترفنا بالمغايرة (2)العلم على نظرية اتحاد العاقل والمعقول ، (4)وأنها قائمة بالنفس قياما صدوريا (3)الوجودية بينهما ، فلا ريب في تجرد الصور العلمية بمعنى

* (هامش) *

. 241 : 16شرح النهج (1)

وتقوم الفكرة في هذه النظرية على أن الصور المعقولة – وهي عبارة عن وجود مجرد عن المادة – لا (2)

فالمعقولية نفس هويتها ، وتجريدها عن العاقل تجريد لها عن نحو وجودها . قوام لها إلا ٨٠ بكونها معقولة وهذا آية الوحدة الوجودية . وإذن فتدرج النفس في مراتب العلم هو تدرجها في أطوار الوجود ، .الخاص وكلما صار الوجود النفسي مصداقا فالمفهوم عقلي جديد زاد في تكامله الجوهري وأصبح من طراز أرفع ، ولا مانع مطلقاا من اتحاد مفاهيم متعددة في الوجود كما يتحد الجنس والفصل ، وليس ذلك كالوحدة الوجودية لوجودين أو الوحدة المفهومية لمفهومين ، فإن هاتين الوحدتين مستحيلتان في حساب العقل دون ذاك الاتحاد (. والتوسع لا مجال له . (الشهيد

فإن الحق جميع مراتب العلم والصور المدركة ، ولكن على تفاوت في مراتب التجريد ، فإن المدرك (3) بالذات لا يمكن أن يكون نفس الشئ بهويته المادية ، فحتى المدرك بحاسة البصر له نحو من التجرد وليس في نورية خروج الشعاع أو الانطباع . وما ثبت حول الرؤية في علم المرايا أو بحوث الفيزياء ما يفسر الأدراك البصري تفسيرا فلسفيا ، فلا بد من الاعتراف بتجرده فضلا عن الخيال والعقل . وقد (أوضحنا هذا المذهب في كتابنا العقيدة الألهية في الأسلام . (الشهيد

لا قياما حلوليا بمعنى كونها أعراضا لها ، وإنما ذهب هذا المذهب بعض الفلاسفة لحل المشكلة التي (4) اعترضت الباحثين عندما أردوا أن يوفقوا بين أدلة الوجود الذهني وبين ما اشتهر من كون العلم كيفا ، وهي أن الصورة المعقولة إذا كانت كيفا فما نتعقله من الأنسان ليس جوهرا لأنه كيف وليس إنسانا إذن لأن كل .إنسان جوهر وإنما هو مثال

ولما أفلست جميع الحلول التي وضعت لحل الشبهة من إنكار الوجود الذهني وتقرير مذهب المثالية ، واختيار التعدد وكون العلم عرضا والمعلوم جوهرا وتفسير الجوهر بأنه الموجود المستقل خارجا لا ذهنا ، والانقلاب : اضطر الباحثون المتأخرون إلى تقرير أن الصورة المعقولة من الجوهر جوهر لا كيف ، غير أن الفيلسوف الأسلامي الكبير صدر الدين الشيرازي اختار في الأسفار أنها جوهر بحسب ماهيتها وكيف بالعرض . ويمكن الاعتر اض عليه بأن كل ما بالعرض لا بد أن ينتهى إلى ما بالذات وإذن فلا بد أن .نفترض كيفا حقيقيا متحدا مع الصورة لتكو ن كيفا بالعرض

وتنتهي النظرية حينئذ بصاحبها إلى أحد أمرين أما الالتزام بتعدد ما في النفس أو الاصطدام بالمشكلة الاولى نفسها ولذا كان الأفضل تقرير ان الصورة المدركة من الأنسان مثلا جوهر وليست بعرض إطلاقا ، (*) (وارتباطها با لنفس ارتباط المعلول بالعلة لا العرض بموضوعه . (الشهيد

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٧٦ -

أنها معلولة للنفس والمعلول الواحد بحسب الذات – لا بمجرد الاتصال فقط – متقوم بعلته ومرتبط ولو افترضنا أن الصور المدركة أعراض وكيفيات . الهوية بها ، فيستحيل انتقاله إلى علة اخرى قائمة بالمدرك قياما حلوليا ، فيستحيل انتقالها لاستحالة

انتقال العرض من موضوع إلى موضوع كما برهن عليه في الفلسفة سواء أقلنا بتجردها أو بماديتها بأن اعترافنا باشتمال الصور المدركة على الخصائص العامة للمادة من قابلية الانقسام ونحوها . وإذن فالعلم يستحيل انتقاله في حكم المذاهب الفلسفية الدائرة حول الصور العلمية جميعا .

وإذا لاحظنا النبوة وجدنا أنها هي الاخرى أيضا مما لا يجوز في عرف العقل انتقالها سواء أذهبنا في تفسيرها مذهب بعض الفلاسفة وقلنا أنها مرتبة من مراتب الكمال النفسي ، ودرجة من درجات الوجو د الأنساني الفاضل الذي ترتفع إليه المهية

الأنسانية في ارتقاءاتها الجوهرية وتصاعداتها نحو الكمال المطلق ، أو أخذنا بالمعنى المفهوم للناس من الكلمة واعتبرنا النبوة منصبا إلهيا مجعولا لا كمنصب الملك والوزير ، ويكون ذلك التكامل النفسي شرطا له ، فالمفهوم الأول يمتنع انتقاله بالضرورة لأنه

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٧٧ -

نفس وجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكمالاته الذاتية ، والنبوة بالمعنى الاخر يستحيل انتقالها أيضا لأنها حينئذ أمر اعتباري متشخص الأطراف ولا يعقل تبدل طرف من أطرافه إلا بتبدل نفسه وانقلابه إلى فرد آخر .

فنبوة زكريا مثلا هي هذه التي اختص بها زكريا ولن يعقل ثبوتها لشخص آخر لأنها لا تكون حينئذ تلك النبوة الثابتة لزكريا
بل منصبا جديدا أو مقاما نبويا حادثا . والنظر الأولي في المسألة يقضي بامتناع انتقال العلم والنبوة من دون حاجة إلى هذا التعمق والتوسع .

وإذن فالنتيجة التي يقررها العقل في شوطه الفكري القصير الذي لا يعسر على الخليفة مسايرته فيه هي أن المال وحده الذي ينتقلت دون العلم والنبوة .

3 - وقد يعترض على تفسير الأرث في كلام زكريا بإرث المال بأن يحيى عليه السلام لم يرث مال أبيه لاستشهاده في حياته فيلزم تفسير الكلمة بإرث النبوة ، لأن يحيى قد حصل عليها ويكون دعاء النبي حينئذ قد استجيب .

ولكن هذا الاعتراض لا يختص بتفسير دون تفسير ، لأن يحيى عليه السلام كما أنه لم يرث مال أبيه كذلك لم يخلفه في نبوته . وما ثبت له من النبوة لم يكن وراثيا وليس هو مطلوب زكريا وإنما سأل زكريا ربه وا رثا يرثه بعد موته ولذا قال :

أي بعد موتي ، فإن كلامه يدل بوضوح على أنه أراد وارثا (1) (وإني خفت الموالي من ورائي) يخلفه ولم يرد نبيا يعاصره ، وإلا لكان خوفه من الموالي بعد وفاته باقيا . فلا بد – على كل تقدير يرثني ويرث من آل)– أن نوضح الاية على اسلوب يسلم عن الاعتراض ، وهو أن تكون جملة

* (هامش) *

(*) . بيروت - ، طبعة دار الكتاب العربي 4 : 3 ، وراجع تفسير الكشاف 6 /مريم (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٧٨ -

، جوابا للدعاء بمعنى إن رزقتني ولدا يرث ، لا صفة ليكون زكريا قد سأل ربه وليا وارثا . (يعقوب فما طلبه النبي من ربه تحقق وهو الولد وتوريثه المال أو النبوة لم يكن داخلا في جملة ما سأل ربه وإنما كان لازما لما رجاه في معتقد زكريا عليه السلام.

ويختلف تقدير العبارة صفة عن تقديرها جوابا من النواحي اللفظية في الاعراب ، لأن الفعل إذا كان صفة فهو مرفوع ، وإذا كان جوابا يتعين جزمه . وقد ورد في قراءته (1)كلا الوجهين . وإذا لا حظنا قصة زكريا في موضعها القرآني الاخر

هنالك دعا) : وجدنا أنه لم يسأل ربه إلا ذرية طيبة ، فقد قال تبارك وتعالى في سورة آل عمران وأفضل الأساليب في فهم القرآن ما كان . (2) (زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة نفسه ، وعلى هذا (3)منه مركزا على القرآن

فنفهم من هذه الاية أن زكريا كان مقتصدا في دعائه ولم يطلب من ربه إلا ذرية طيبة ، وقد جمع القرآن الكريم دعاء زكريا في جملة واحدة تارة وجعل لكل من الذرية ووصفها دعوة مستقلة في موضع آخر فكانت جملة هب لي من لدنك وليا طلبا للذرية ، وجملة واجعله ربي رضيا دعوة بأن تكون الذرية طيبة . وإذا جمعنا هاتين الجملتين أدت نفس المعنى

* (هامش) *

أبي البقاء العكبري ، مطبعة مصطفى /املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعتراب والقراءات : راجع (1)
الزمخشري ٣ : ٥ /الكشاف . الطبرسي ٦ : ٦٤٧ /البابي الحلبي – القاهرة / ١٩٦٩ ، تفسير مجمع البيان
.
. 38 /آل عمران (2)
(*) . ابن تيمية /السيوطي ٤ : ٢٠٠ ، مقدمة في اصول التفسير /راجع الأتقان (3)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٧٩ -

بعد عملية المطابقة ابقة بين (الذي تفيده عبارة هب لي من لدنك ذرية طيبة وتخرج كلمة (يرثني
. الصيغتين القرآنيتين عن حدود الدعاء ، ولا بد حينئذ أن تكون جوابا له

4 - وعلى ذلك يتضح أن كلمة الأرث في الاية الكريمة قد اعطيت حقها من الاستعمال واريد بها
إرث النبوة ، لأن الشئ إنما يصح أن يقع جوابا للدعاء فيما إذا كان ملازما للمطلوب ومتحققا عند
. وجوده دائما أو في أكثر الأحايين

ووراثة النبوة ليست ملازمة لوجود الذرية إطلاقا ، بل قد لا تتفق في مئات الملايين من الأشخاص
لما يلزم في هذا المقام من كفاءة فذة وكمال عظيم ، فلا يجوز أن توضع النبوة بجلالها الفريد جوابا
لسؤال الله تعالى ذرية طيبة ، لأن النسبة بين الذرية الأنسانية وبين الجديرين بتحمل أعباء الرسالة
. السماوية هي النسبة بين الاحاد والملايين

وأما وراثة المال فيمكن أن تكون جوابا لدعاء زكريا عليه السلام لأن الولد يبقى بعد أبيه عليه الأكثر
فوراثته للمال مما يترتب على وجوده غالبا ، وأضف إلى ذلك أن زكريا نفسه لم يكن يرى النبوة
. ملازمة لذريته بل ولا ما دونها من المراتب الروحية ، ولذا سأل ربه بد ذلك بأن يجعل ولده رضيا

5 - ولنترك هذا لندرس كلمة الأرث في الاية على ضوء تقدير الفعل صفة لا جوابا للد عاء . وفي
رأيي أن هذا التقدير لا يضطرنا إلى الخروج بنتيجة جديدة ، بل الأرث في كلمة (يرثني) هو إرث
: المال في ا لحاالين معا بلا ريب . والذي يعين هذا المعنى للكلمة على التقدير الجديد أمران

أن زكريا عليه السلام لو كان قد طلب من ربه ولدا وارثا لنبوته لما طلب بعد ذلك أن (الأول) يكون رضيا ، لأنه دخل في دعوته الاولى ما هو أرفع

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٨٠ -

. من الرضا

أن إغفال الأرث بالمرة في قصة زكريا الواردة في سورة آل عمران إن لم يد ل على أن (الثاني) الأرث خارج عن حدود الدعاء ، فهو في الأقل يوضح أن معنى الأرث في الموضع القرآني الاخر للقصة إرث المال لا إرث النبوة ، لأن زكريا لو

أحدهما أن يكون ولده طيبا رضيا ، والاخر أن يرث نبوته ، لما اقتصر : كان قد سأل ربه أمرين القرآن الكريم على ذلك الوصف الأول الذي طلبه زكريا عليه السلام فإنه ليس شيئا مذكورا بالأضافة إلى النبوة . ولكي تتفق معي على هذا لاحظ

ثم أردت أن تنقل القصة وتخص . نفسك فيما إذا سألك سائل بستانا ودرهما فأعطيته الأمرين معا الدرهم بالذكر ، لا أراك تفعل ذلك إلا إذا كنت كثير التواضع . ورجحان البستان على الدراهم في حساب القيم الما دية هو دون امتياز النبوة على

طيب الذرية في موازين المعنويات الروحية . وإذن فقصة زكريا التي جاءت في سورة آل عمران ، ولم يذكر فيها عن
الأرث كثير أو قليل ، دليل على أن الأرث المذكور في الصورة الاخرى للقصة بمعنى إرث المال لا إ رث النبوة ، وإلا
. لكان من أبرز عناصر القصة التي لا يمكن إغفالها

: في الاية الكريمة نقطتين تفسران الأرث فيها بإرث النبوة (1)ولاحظ بعض الباحثين (السادس)

قول زكريا عاطفا على كلمة (يرثني) : – (ويرث من آل يعقوب) – فإن يحيى لا (الاولى) يرث أموال آل يعقوب ، وإنما يرث منهم

* (هامش) *

(*) . ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٣٩ /راجع الملاحظة والأيراد والمناقشة في شرح النهج (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٨١ -

. النبوة والحكمة

وإني خفت الموالي من روائي ، حيث أن خوفه :ما قدمه النبي تمهيدا لدعائه من قوله (الثانية) إنما كان سبب الأشفاق على معالم الدين ، والرغبة في بقائها باستمرار النبوة ، لأن هذا هو اللائق . بمقام الأنبياء دون الحرص على الأموال ، والخوف من وصولها إلى بعض الورثة

واعترض أصحابنا على النقطة الاولى ، بأن زكريا عليه السلام لم يسأل ربه أن يرث ولده أموال آل . يعقوب جميعا ، وإنما أراد أن يرث منها ، فلا يكون دليلا على التفسير المزعوم

وأما النقطة الثانية فهي من القرائن على التفسير الذي اخترناه ، لأن الخوف على ا لدين والعلم من أبناء العم لا معنى له ، لأن اللطف الألهي لا يترك الناس سدى بلا حجة بالغة . فمعالم الدين ، وكلمة السماء محفوظة بالرعاية الألهية ، والنبوة

مخوصة أبدا بالأقلين من نوابغ البشر لا يخشى عليها من السطو والنهب . وإذ ن فماذا كان يحسب زكريا ربه صانعا لو لم يمن عليه بيحيى ؟ أكان يحتمل أن يكلف برسالته مواليه ؟ أعني بني عمومته مع عدم كفاءتهم للقيام بواجب الرسالة الألهية

أو كان يرى أن الله تعالى يهمل أمر خلقه ليكون لهم الحجة عليه ؟ !وعدم جدارتهم بهذا الشرف ؟ ليس هذا ولا ذاك مما يجوزه نبي ، وإنما خاف زكريا من بني أعمامه على أمواله فطلب من الله ولدا رضيا يرثها . ولا جناح عليه في ذلك ، إذ

يحتمل أن تكون رغبته في صرف أمواله عن بني عمومته بسبب أنها لو آلت إليهم لوضعوها في غير مواضعها ، وأنفقوها في المعاصي وألوان الفساد لما كان يلوح عليهم من علامات الشر وإمارات السوء حتى قيل أنهم شرار

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٨٢ -

بني إسرائيل . وقد حاول ابن أبي الحديد أن يصور وجها لخوف زكريا من الموالي على الدين من - : ناحيتين

عن طريق اصول الشيعة ، فذكر أن دعوى امتناع مثل هذا الخوف على النبي غير (الاولى) مستقيم على مذهب الشيعة لأن المكلفين قد حرموا بغيبة الأمام عندهم ألطافا كثيرة الوصلة بالشرعيات كالحدود وصلاة الجمعة والأعياد ، وهم يقولون في

ذلك أن اللوم على الملكلفين لأنهم قد حرموا أنفسهم اللطف ، فهلا جاز أن يخاف زكريا عليه السلام من تبديل لدين وتغييره وإفساد الأحكام الشرعية لأنه إنما يجب على الله التبليغ بالرسول إلى المكلفين ، فإذا أفسدوا هم الأديان وبدلوها لم يجب عليه

ولاسجل ملاحظتي على هذا الكلام . (1)أن يحفظها عليهم لأنهم هم الذين حرموا أنفسهم اللطف إن الخوف من انقطاع النبوة إنما يصح على اصول الشيعة : فأقول . ثم ننتقل بك إلى الناحية الثانية إذا نشأ عن احتمال إفساد الناس لدينهم على نحو

لا يستحقون معه ذلك ، كما هو الحال في زمان غيبة الأمام المنتظر صلوات الله عليه ، لا فيما إذا كان سببه الاطلاع على عدم لياقة جماعة خاصة للنبوة مع استحقاق الناس لها . فإن إرسال الرسول ، أو نصب من يقوم مقامه واجب في هذه

وإذن فقصور أبناء العمومة عن نيل . الصورة على الله تعالى لما أوجبه على نفسه من اللطف بعباده المنصب الألهي لا يجوز أن ينتهي بزكريا إلى احتمال انقطاع النبوة

* (هامش) *

(*) . ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٥٧ ، الطبعة المحققة /راجع شرح نهج البلاغة (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٨٣ -

وإذا لم يكونوا جديرين بها فمن .وانطماس معالم الدين إذا كان الناس مستحقين للألطاف الألهية الممكن انقطاع الاتصال بين السماء والأرض سواء أكان بنو العمومة صالحين أو لا ، وسواء من والاية الكريمة تدل على أن الباعث إلى الخوف في نفس زكريا إنما . الله عليه بذرية أو بقى عقيما . هو فساد الموالي لا فسا د الناس

عن طريق تفسير الموالي بالامراء ، بمعنى أن زكريا خاف أن يلي بعد موته ا مراء (الثانية))ورؤساء يفسدون شيئا من الدين ، فطلب من الله ولدا ينعم عليه بالنبوة والعلم ليبقى الدين محفوظا 1) .

ولنا أن نتساءل عما إذا كان هؤلاء الرؤساء الذين اشفق على الدين منهم ، هم الأنبياء الذين يخلفونه أو أنهم أصحاب السلطان الزمني والحكم المنفصل عن السماء ؟ ولا خوف منهم على التقدير الأول . إطلاقا لأنهم أنبياء معصومون

وأما إذا كانوا ملوكا فقد يخشى منهم على الدين . ولكن ينبغي أن نلاحظ أن وجود النبي حينئذ هل يمنعهم عن التلاعب في الشريعة والاستخفاف بالدستور الألهي أو لا ؟ فإن كان كافيا لو قاية الشريعة وصون كرامتها فلماذا خاف زكريا من اولئك

الامراء ما دامت الألطاف الألهية قد ضمنت للنبوة الامتداد في تاريخ الأنسانية الواعية وخلود الاتصال بين الأرض والسماء
ما بقيت الأرض أهلا للتثقيف السماوي ؟ وإن لم يكن وجود النبي كافيا تللحراسة المطلوبة فلا يرتفع الخوف من الحاكمين

بوجود ولد لزكريا يرث عنه النبوة ما دام النبي قاصرا عن مقاومة القو ة الحاكمة ، وما دام الامراء من الطراز المغشوش ، مع أن الاية تدل على أن زكريا كان

* (هامش) *
(*) . ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٥٧ – ٢٥٨ /شرح نهج البلاغة (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٨٤ -

ونتيجة هذا البحث أن الأرث في الاية . يرى أن خوفه يرتفع فيما إذا من الله عليه بولد رضي يرثه هو إرث المال بلا ريب . وإذن فبعض الأنبياء يورثون وحديث الخليفة يقضي بأن الجميع لا يورثون .

الكتاب الكريم فهو ساقط . ولا يجوز أن تستثني (1) فالاية والرواية متعاكستان وكل ما عارض زكريا خاصد من سائر الأنبياء ، لأن حديث الخليفة لا يقبل هذا ا لاستثناء وهذا التفريق بين زكريا عليه السلام وغيره . والنبوة إن اقتضت عدم

التوريث فالأنبياء كلهم لا يورثو ن . ولا نحتمل أن يكون لنبوة زكريا عليه السلام خاصية جعلته يورث دون سائر الأنبياء . وما هو ذنب زكريا عليه السلام ، أو ما هو فضله الذي يسجل له هذا الامتياز ؟

أضف إلى ذلك أن تخصيص كلمة الانبياء الواردة في الحديث والخروج بها عما تستحقه من وضع لا ضرورة له بعد أن كان الحديث كما أوضحناه سابقا ، فهو تفسير على كل حال ، فلماذا نفسر الحديث بأن تركة النبي لا تورث لنضطر إلى أن نقول

بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعني بالأنبياء غير زكريا عليه السلام ؟ بل لنأخذ بالتفسير الاخر ونفهم من الحديث أن الأ نبياء ليس لهم من نفائس الدنيا ما يورثونه ونحفظ للفظ العام حقيقته(2) .

* (هامش) *

ما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض) : جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصح عنه قوله (1) الكليني ١ : ٥٥ كتاب فضل العلم – باب الأخذ بالسنة /اصول الكافي : راجع . (. . . الجدار ، أو فدعوه . أبى يوسف الأنصاري : ٢٥ /وشواهد الكتاب ، الرد على سير الأوزاعي

والجملة خبرية وليست إنشائية ، لأن إنشاء حكم على الأنبياء بعد وفاتهم ، وانقراض ورثتهم لا معنى (2) له ، وحينئذ فالتخصيص يستلزم مجازية الاستعمال ، وليس شأن صيغة الحديث شأن الجمل الأنشائية التي . يكشف تخصيصها عن عدم إرادة الخاص بالأرادة الجدية

ويقدم لذلك على سائر التأويلات والتجوزات ، بل هي خبرية ، والجملة الخبرية إذا خالفت الأرادة الاستعمالية فيها الجد والحقيقة كانت كذبا ، فتخصيصها يستلزم صرفها إلى المعنى المجازي ، وحينئذ فلا يرجع على (*) (تجوز آخر إذا دار الأمر بينهما . (الشهيد

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٨٥ -

ونعرف مما سبق أن صيغة الحديث لو كانت صريحة في ما أراده الخليفة لها من المعاني ، لنا وليس في المسألة سبيل إلى اعتبار الحديث مدركا . قضت القرآن الكريم ، ومصيرها الاهمال حينئذ قانونيا في موضوع التوريث ، ولذا لم يتفطن

الصديق إلى جواى يدفع به اعتراض خصمه عليه بالاية الانفة الذكر ، ولم يوفق اوحد من أصحابه إلى الدفاع عن موقفه . وليس ذلك إلا لأنهم أحسوا بوضوح أن الحديث يناقض الاية بمعناه الذي يبرر موقف الحاكمين . ولا يمكن أن نعتذر عن

الخليفة بأنه يجوز اختيار أحد النصين المتناقين وتنفيذه كما يرتئيه جماعة من علماء الأسلام ، وقد اختار أن ينفذ مدلول الحديث ، وذلك لأن المعارض للقرآن باطل بلا ر يب لأنه الحق ، وهل بعد . ولم يكتف بشاهديها ، وطالبها بينة كاملة وهي رجلان أو رجل وامرأتان الحق إلا الضلال ؟ ؟

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٨٥ -

(مسألة النحلة)

المناقشة التي قامت بين الخيلفة والصديقة حول نحلة رسول الله صلى الله عليه وآله : الناحية الثانية وسلم إياها فدك ، فقد ادعت الصديقة النحلة وشهد بذلك قرينها وام أيمن فلم يقبل الخليفة دعواها

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٨٦ -

1 - والنقطة الاولى التي نؤاخذ الصديق عليها هي وقوفه موقف الحاكم في المسألة مع أن خلافته ولكننا لا نريد الان أن نضع هذه . (1)لم تكتسب لونا شرعيا إلى ذلك الحين على أقل تقدير المؤاخذة قيد الدرس ، لأن المناقشة على هذا الشكل تبعثنا إلى آفاق واسعة من البحث وتضطرنا إلى . نسف الحجر الأساسي لدنيا السياسة في الأسلام ، وهي عملية لها حساب طويل

2 - والملاحظة الثانية في الموضوع هي أن فدك إذا كانت في حيازة الزهرا عليها السلا م فلا حاة : لها إلى البينة وفي هذه الملاحظة أمران

من هو الذي كانت فدك في حيازته ؟ وهل كانت في يد الزهراء حقا ؟ قد يمكن أن نفهم ذلك (أولا) من قول أمير المؤمنين في رسالته الخالدة إلى عثمان بن حنيف : بلى كانت في أيدينا فدك من كل . (2)ما أظلته السماء . فشحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس آخرين

فإن المفهوم من كلمة أيدينا أن فدك كانت في أيدي أهل البيت وقد نصت على ذلك روايات الشيعة . وحصر ما كان في تلك الأيدي التي عناها الأمام بفدك يدل على أنها كانت في حياز ة علي وزوجه خاصة ، ويمنع عن تفسير العبارة بأن فدك كانت في يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باعتبار أن حيازته حيازة أهل البيت ، لأننا نعلم

* (هامش) *

قوله : إلى ذلك الحين ، أي بعد عشرة أيام من قيام الخلافة وحينذاك لم يكن بنو هاشم وجماعة من (1) أجلاء الصحابة قد بايعوا أبا بكر ، فلم يكتسب الخليفة إذن الشرعية الكاملة .راجع تاريخ الطبري 2 : 233.

(*) . ابن أبي الحديد ١٦ : ٢٠٨ /شرح نهج البلاغة (2)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٨٧ -

. أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت في يده أشياء اخرى غير فدك من مختصاته وأملاكه

عليه (1)هل الحيازة دليل على الملكية ؟ والجواب الأيجابي عن هذه المسألة مما أجمع (وثانيا) . المسلمون ، ولو لا اعتبارها كذلك لاختل النظام الاجتماعي للحياة الأنسانية

وقد يعترض على دعوى أن فدك كانت في يد الزهراء بأنها لم تحتج بذلك ، ولو كانت في يدها لكفاها عن دعوى النحلة والاستدلال بآيات الميراث ، وفي المستندات الشيعية للقضية جواب عن هذا الاعتراض لأنها تنقل احتجاج أهل البيت بذلك

على الخليفة ، غير أننا لا نريد دراسة المسألة على ضوء شئ منها . ولكن ينبغي أن نلاحظ أن فدك كانت أرضا مترامية الأطراف وليس شأنها شأن التوافه من الأملاك والمختصات الصغيرة التي .تتضح حيازة مالكها لها بأدنى ملاحظة

فإذا افترضنا أن فدك كانت في يد فاطمة يتعهدها وكيلها الذي يقوم بزراعتها ، فمن يجب أن يعرف ونحن نعلم أن فدك لم تكن قريبة من المدينة ليسلع أهلها على !ذلك من الناس غير الوكيل ؟ شؤونها ، ويعرفوا من يتولاها ، فقد كانت تبعد عنها بأيام ، كما أنها قرية

* (هامش) *

(1) راجع : /ابن حزم ٩ : ٤٣٦ ، المهذب / ، المحلى 113 : السيد حسن البجنوردي ١ /القواعد الفقهية القرافي المالكي ٤ : ٧٨ ، تحرير المجلة الشيخ محمد حسين /الشيرازي الشافعي ٢ : ٣١٢ ، الفروق

(*) . (. . . قال : إن اليد هي إمارة على الملكية شرعا وعرفا 150 : 4كاشف الغطاء

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٨٨ -

، وليست في محيط إسلامي لتكون حيازة فاطمة لها معروفة بين جماعة المسلمين . (1)يهودية فماذا كان يمنع الزهراء عن الاعتقاد بأن الخليفة سوف يطالبها بالبينة على أن فدك في يدها إذا ادعت ذلك كما طالبها على النحلة ما دام

في نظرها – مسيرا في الموقف بقوة طاغية من هواه لا تجعله يعترف بشئ ؟ وكان من السهل في - ذلك اليوم أن تبتلع
الحوت وكيل فاطمة على فدك أو أي شخص له اطلاع على حقيقة الأمر كما ابتلعت أبا سعيد . الخدري فلم يرو النحلة

وقد حدث بها بعد ذلك كما ورد في طريق الفريقين ، أو أن تقتله الجن كما قتلت سعد بن عبادة ، أو أن يتهم بالردة لأنه امتنع عن تسليم صدقة المسلمين للخليفة كما اتهم (2)وأراحت الفاروق . (3)مانعوا الزكاة والرافضون لتسليمها له

ولنترك هذه المناقشة لنصل إلى المسألة الأساسية وهي : أن الخليفة هل كان يعتقد بعصمة - 3 ونحن لا نريد أن نتوسع !الزهراء ويؤمن بآية التطهير نفت الرجس عن جماعة منهم فاطمة أو لا ؟ في الكلام على العصمة وإثباتها للصديقة بآية

* (هامش) *

. البلاذري : ٤٢ – ٤٣ /فتوح البلدان : راجع (1)

وقد جاءت الرواية مصرحة بأن عمر أرسل رسولا إلى سعد ليقتله إن لم يبايع ، فلما أبى سعد قتله (2) . الرسول

. 247 : 4راجع العقد الفريد

، وراجع الطبعة المحققة ٢ : ٢٨ ، وقد 273 : 2كما في قصة مالك بن نويرة . راجع تاريخ الطبري (3) وضح
ذلك الخليفة الثاني مطالبا بالقود من خالد بن الوليد لأنه على حد تعبيره : (قتل مسلما ونزل على (*) . (امرأته

التطهير لأن موسوعات الأمامية في فضائل أهل البيت تكفينا هذه المهمة . ولا نشك في أن الخليفة كان على علم بذلك لأن السيدة عائشة نفسها كانت تحدث بنزول آية التطهير في فاطمة وقرينها ، . وقد صرحت بذلك صحاح الشيعة والسنة (1)وولديها

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلما خرج إلى الفجر بعد نزول الاية يمر ببيت فاطمة ويقول الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ، وقد استمر على هذا ستة أشهر(2) .

وإذن فلماذ طلب الخليفة بينة من فاطمة على دعواها ؟ وهل تحتاج الدعوى المعلوم صدقها إلى بينة ؟ قال المعترضون على أبي بكر : إن البينة إنما تراد ليغلب في الظن صدق المدعي ، والعلم أقوى منها فإذا لزم الحكم للمدعي الذي تقوم البينة على دعواه يجب الحكم للمدعي الذي يعلم الحاكم بصدقه .

والاحظ أن في هذا الدليل ضعفا ماديا لأن المقارنة لم تقم فيه بين البينة وعلم الحاكم ، بالأضافة إلى صلب الواقع ، وإنما لوحظ مدى تأثير كل منهما في نفس الحاكم ، وكانت النتيجة حينئذ أن العلم أقوى من البينة لأن اليقين أشد من الظن.

وكان من حق المقارنة أن يلاحظ الأقرب منهما إلى الحقيقة المطلوب مبدئيا ا لأخذ بها في كل مخاصمة . ولا يفضل علم

* (هامش) *

(1) صحيح مسلم: 3 : 331 ، المستدرك 3 : 159 ، طبعة دار الكتب العلمية .

التاج الجامع للاصول في أحاديث الرسول/ ٣٣٣ : ٣ ، منصور علي ناصف .

(2) مسند الأمام أحمد 3 : 295 - المستدرك ، وراجع طبعة دار صادر 3 : 172 - طبعة دار الكتب العلمية . (*)

الحاكم في هذا الطور من المقايسة على البينة ، لأن الحاكم قد يخطأ كما أن البينة قد تخطأ ، فهما في شرع الواقع سواء كلاهما مظنة للزلل والاشتباه .

الزهراء (1)ولكن في المسألة أمر غفل عنه الباحثون أيضا ، وهو أن ما يعلمه الخليفة من صدق يستحيل أن لا يكون حقيقة ، لأن سبب علمه بصدقها ليس من الأسباب التي قد تنتج توهما خاطئا وجهلا مركبا ، وإنما هو قرآن كريم دل على عصمة
المدعية (2) .

وعلى ضوء هذه الخاصية التي يمتاز بها العلم بصدق الزهراء ، يمكننا أن نقرر أن البينة التي قد تخطأ إذا كانت دليلات شرعيا مقتضيا للحكم على طبقه . فالعلم الذي لا يخطئ وهو ما كان بسبب شهادة الله تعالى بعصمة المدعي ، وصدقة أولى

بأن يكتسب تلك الصفة في المجالات القضائية . وعلى اسلوب آخر من البيان نقول : إن القرآن الكريم لو كان قد نص على ملكية الزهراء لفدك وصدقها في دعوى النحلة لم يكن في المسألة متسع للتشكيك لمسلم أو مساغ للتردد لمحكمة من محاكم

القرآن . ومن الواضح أن نصه على عصمة الزهراء في قوة النص على النحلة ، لأن المعصوم لا يكذب ، فإذا ادعى شيئا فدعواه صائبة بلا شك . ولا فرق بين النص على العصمة والنص على النحلة فيما يتصل بمسألتنا ، سوى أن ملكية الزهراء لفدك هي المعنى الحرفي للنص الثاني ، والمعنى المفهوم من النص

* (هامش) *

(1) راجع قوله – أي الخليفة الأول – في تصديق الزهراء ، شرح النهج 16 : 216 .

(2) كما في آية التطهير قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل لبيت ويطهركم تطهيرا) الأحزاب / 33 .

راجع صحيح مسلم 161 - 160 : 3 ، فضائل 37 : 5 ، طبعة دار الكتب العلمية ، راجع المستدرك الصحابة ، باب فضائل أهل البيت عليهم السلام ، ط ١ ، مؤسسة عز الدين – بيروت / ١٤٠٧ هـ ، تحقيق الدكتور موسى لاشى والدكتور أحمد عمر هاشم . (*)

. الأول عن طريق مفهومه الحرفي

4 - ونقول من ناحية اخرى : إن أحدا من المسلمين لم يشك في صدق الزهراء ولم يتهمها بالافتراء على أبيها ، وإنما قام النزاع بين المتنازعين في أن العلم بصواب الدعوى هل يكفي مدركا للحكم على وفقها أو لا ؟ فلندع آية التطهير ونفترض أن

الخليفة كان كأحد هؤلاء المسلمين ، وعلمه بصدق الزهراء حينئذ ليس حاويا على الامتياز الذي أشرنا إليه في النقطة السابقة ، بل هو علم في مصاف سائر الاعتقادات التي تحصل بأسباب هي عرضة للخطأ والاشتباه ، ولا يدل حينئذ جعل البينة دليلا

على مشاركته لها في تلك الخاصية ، لأنه ليس أولى منها بذلك كما عرفنا سابقا . ولكن الحاكم ، كما يجوز له أن يستند في الحكم إلى البينة (1)يجوز له مع ذلك – أن يحكم على وفق علمه بدليل ما جاء في الكتاب الكريم مما يقرر ذلك ، إذ قال

، وقال في سورة (2) (وإذا حكمتم بين االناس أن تحكموا بالعدل) : الله تعالى في سورة النساء . أي يحكمون (3) (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون) : الأعراف

- : وللحق والعدل ملاحظتان

* (هامش) *

(1) سنن البيهقي راجع 10 : 142 الأجماع ، وقد نقل عن الشيخ الطوسي أنه ادعى ، طبعة دار الفكر . في الجواز

راجع : محمد رضا الحائري ، كما ذكر ابن رشد : إنه قول /تنقيح الأدلة في بيان حكم الحاكم بعلمه (الجمهور) أي الجواز

راجع 2 : 465 قم – منشورات الرضي / 1966 . بداية المجتهد

(*) . 181 /الأعراف (3) . 58 /النساء (2)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٩٢ -

. الحق والعدل في نفس الأمر والواقع (إحداهما)

الحق والعدل بحسب الموازين القضائية . فالحكم على وفق البينة . حق واعتدال في (والاخرى) عرف هذه الملاحظة وإن أخطأت ، ويعاكسه الحكم على وفق شهادة الفاسق ، فإنه ليس حقا ولا عد . لا وإن كان الفاسق صادقا في خبره

والمعني بالكلمتين في الايتين الكريمتين إن كان هو المعنى الأول للحق والعدل ، كانتا دالتين على صحة الحكم بالواقع من دون احتياج إلى البينة فإذا أحرز الحاكم ملكية شخص لمال صح له أن في الواقع (1)يحكم بذلك لأنه يرى أنه الحق الثابت

والحقيقة العادلة ، فحكمه بملكية ذلك الشخص للمال مصد اق في عقيدته للحكم بالحق والعدل الذي أمر به الله تعالى . وأما
إذا فسرنا الكلمتين في الايتين بالمعنى الثا ني أعني ما يكون حقا وعدلا بحسب مقاييس القضاء فلا يستقيم الاستدلال بالنصين

القرآنيين على شئ في الموضوع لأنهما لا يثبتان حينئذ أن أي قضاء يكون قضاء بالحق وعلى طبق النظام ، وأي قضاء لا يكون كذلك ؟ ومن الواضح أن المفهوم المتبادر من الكلمتين هو المعنى الأول دون الثاني وخاصة كلمة الحق ، فإنها متى

وصف بها شي فهم أن ذلك الشئ أمر ثابت في الواقع ، فالحكم بالحق عبارة عن الحكم بالحقيقة الثابتة . ويدل على ذلك الاسلوب الذي صيغت عليه الاية الاولى ، فإنها تضمنت أمرا بالحكم . بالعدل

وواضح جد ا أن تطبيق التنظيمات الأسلامية في موارد

* (هامش) *
(*) . ، نشر دار الهجرة143 : 1راجع المصباح المنير . الحق : هو الأمر الثابت (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٩٣ -

الخصومة لا يحتاج إلى أمر شرعي ، لأن نفس وضعها قانونا للقضاء معناه لزوم تطبيقها ، فلا يكون الأمر بالتزام القانون إلا تكرارا أو تنبيها ، وليس من حقيقة الأمر في شئ . وأما الأمر بالحكم على طبق الحقائق الواقعية سواء أكان عليها دليل من

بينة وشهادة أو لا ، فهو من طبيعة الأمر بالصميم لأنه تقرير جديد يوضح أن الواقع هو ملاك القضاء الأسلامي والمحور الذي ينبغي أن يدور عليه دون أن يتقيد بالشكليات والأدلة الخاصة (1) .

وأضف إلى ذلك أن . (2)وإذن فالايتان دليل على اعتبار علم الحاكم في قوانين القضاء الأسلامية الصديق نفسه كان يكتفى كثيرا بالدعوى المجردة عن البينة . فقد جاء عنه في صحيح البخاري (3)أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما

* (هامش) *

إن الأمر على التقدير الثاني يكون إرشاديا إذ :وإذا أردنا أن نترجم هذا المعنى إلى اللغة العلمية قلنا (1) لا ملاك للأمر المولوي في المقام ، حيث أن المأمور اتباعه هو بنفسه كاف للبعث والتحريك ، فظهو ر الأمر في المولوية يقضي بصرف لفظة العدل إلى المعنى الأول لجواز الأمر مولويا باتباع الواقع فيما إذا دلت عليه البينة خاصة وإمكان الأمر باتباعه مطلقا .

وأنا أعتذر عن عدم استعمال الاصطلاحات العلمية الدائرة في مباحث المنطق والفلسفة والفقه والاصول – إلا حين اضطر إلى ذلك اضطرارا – لأنني احاول أن تكون بحوث هذا الفصل مفهومة لغير المتخصصين في تلك العلوم . (الشهيد)

إن قيل : إن الحديث الوارد عن أهل البيت فيمن قضى بالحق وهو لا يعلم الحكم باستحقاقه للعقاب (2) يدل على عدم كون القضاء من آثار الواقع ، فيدور الأمر بين صرف هذه الرواية عن ظهورها في عدم نفوذ الحكم وحمل العقاب فيها على التجري ، وبين صرف الكلمتين إلى

المعنى الثاني قلت : لا وجه لكلا التأويلين بل الرواية المذكورة مقيدة للايات بصورة العلم ، فيكون موضوع القضاء مركبا من الواقع والعلم به ، وبتعبير آخر أنه من آثار الواقع الواصل . (الشهيد)

(*) ( ) ، حديث ٢٥٣٧ كتاب الشهادات – باب ٢٩ . (الشهيد953 : 2صحيح البخاري (3)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٩٤ -

مات ، جاء لأبي بكر مال من قبل العلاء بن الحضرمي فقال أبو بكر : من كان له على النبي دين أو كانت له قبله عدة فليأتنا . قال جابر : وعدني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا فبسط يده ثلاث مرات ، قال جابر : فعد في يدي خمسمائة ، ثم خمسمائة ، ثم خمسمائة .

عن أبي سعيد الخدري أنه قال : سمعت منادي أبي بكر ينادي بالمدينة (1)وروي في الطبقات حين قدم عليه مال البحرين : من كانت له عدة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليأت ؟ فيأتيه رجال فيعطيهم . فجاء أبو بشير المازني فقال : إن

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا أبا بشير إذا جاءنا شئ فأتنا ، فأعطاه أبو بكر حفنتين أو ثلاثا فوجدوها ألفا وأربعمائة درهم.

فإذا كان الصديق لا يطالب أحدا من الصحابة بالبينة على الدين أو العدة فكيف طب من الزهراء وهل كان النظام القضائي يخص الزهراء وحدها بذلك أو أن الظروف السياسية !بينة على النحلة ؟ الخاصة هي التي جعلت لها هذا الاختصاص ؟

ومن الغريب حقا أن تقبل دعوى صحابي لوعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمبلغ من المال وترد دعوى بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنها لم تجد بينة على ما تدعيه . وإذا كان العلم بصدق المدعي مجوزا لأعطائه ما يدعيه فلا ريب

أن الذي لا يتهم جابر ا أو أبا بشير بالكذب يرتفع بالزهراء عن ذلك أيضا . وإذا لم يكن إعطاء الخليفة لمدعي العدة ما طلبه على أساس الأخذ

* (هامش) *

(*) (، طبعة دار صادر . (الشهيد318 : 2الطبقات الكبرى (1)

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٩٥ -

بدعواه ، وإنما دعاه احتمال صدقة إلى إعطائه ذلك ، وللأمام أن يعطي أي شخص المبلغ الذي يراه وهكذا أجز الصديق وعود رسول الله صلى !، فلماذا لم يحتط بمثل هذا الاحتياط في مسألة فدك ؟ . الله عليه وآله وسلم التي لم تقم عليها بينة وأهمل هباته المنجزة التي ادعتها سيدة نساء العالمين . وبقي السؤال عن الفارق بين الديون والعدات وبين نحلة بلا جواب مقبول

ولنستأنف مناقشتنا على أساس جديد وهو : إن الحاكم لا يجوز له الحكم على طبق الدعوى - 5 المصدقة لديه إذا لم يحصل المدعي على بينة تشهد له ، ونهمل النتيجة التي انتهينا إليها في النقطة

: السا بقة ونسأل على هذا التقدير

عما منع الصديق من التقدم بالشهادة على النحلة إذا كان عالما بصدق الحوراء سلام الله (أولا) عليها ، إذ يضم بذلك شهادته إلى شهادة علي وتكتمل بهما البينة ويثبت الحق . واعتباره لنفسه حاكما لا يوجب سقوط شهادته لأن شهادة الحاكم معتبرة
. وليست خارجة عن الدليل الشرعي الذي أقام البينة مرجعا في موارد الخصومة (1)

عن التفسير المقبول لأغفال الخليفة للواقع المعلوم لديه بحسب الفرض . ولأجل توضيح هذ (وثانيا) . النقطة يلزمنا أن نفرق بين أمرين اختلطا على جملة الباحثين في المسألة

(*هامش *)
(1)شهادة الحاكم جائزة : راجع سنن البيهقي (*) . 131 : 10

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٩٦ -

تنفيذ آثار الواقع . وإذا افترضنا أن الأول محدود (والاخر) . الحكم للمدعي بما يدعيه (أحدهما) . بالبينة فالاخر واجب على كل تقدير ، لأنه ليس حكما ليحدد بحدوده

فإذا علم شخص بأن بيته للاخر فسلمه لمالكه ، لم يكن هذا حكما بملكيته له ، وإنما هو إجراء للأحكام التي نص عليها القانون . كما أن الحاكم نفسه إذا ادعى شخص عنده ملكية بيت وكان في حيازته ، أو دل الاستصحاب على الملكية المدعاة ،

فاللازم عليه وعلى غيره من المسلمين أن يعتبروا هذا البيت كسائر ممتلكات ذلك ا لمدعي . وليس . أو الاستصحاب (1)معنى هذا ان الحاكم حكم بأن البيت ملك المدعية مستندا إلى قاعدة اليد

وإن المسلمين أخذوا أنفسهم باتباع هذا الحكم ، بل لو لم يكن بينهم حاكم للزمهم ذلك . وليس الاستصحاب أو اليد من موازين الحكم في الشريعة وإنما يوجبان تطبيق أحكام الواقع . والفارق بين حاكم الحاكم بملكية شخص لمال ، أو فسقه ونحو هما من

الشؤون التي تتسع لها صلاحيات الحاكم وبين تطبيق آثالر تلك الامور هو : امتياز الحكم بفصل الخصومة ، ونعني بهذا الامتياز أن الحاكم إذا أصدر حكما حرم نقضه على جميع المسلمين ، ولزم

اتباعه من دون نظر إلى مدرك آخر سوى ذلك الحكم . وأما تطبيق القاضي لاثار الملكية عمليا بلا حكم فلا يترتب عليه ذلك

* (هامش) *

. قاعدة اليد هنا تعني : إثبات الملكية بواسطة اليد . والمقصود باليد التسلط على المال (1)

(*) . السيد محمد كاظم المصطفوي : ٣٢٩ /القواعد : راجع

- : فدك في التاريخ – السيد محمد باقر الصدر ص ١٩٧ -

المعنى ولا يجب على كل مسلم متابعته وإجراء تلك الاثار كما يجريها إلا إذا حصل له العلم بذلك كما حصل للحاكم .

إن الخليفة إذا كان يعلم بملكية الزهراء لفدك ، فالواجب عليه أن لا يتصرف فيها بما : والنتيجة تكرهه ، ولا ينزعها منها سواء أجاز له أن يحكم على وفق علمه أو لا .

ولم يكن في المسألة منكر ينازع الزهراء ليلزم طلب اليمين منه واستحقاقه للمال إذا أقسم ، لأن الأموال التي كانت تطالب بها الزهراء أما أن تكون لها أو للمسلمين .

وقد افترضنا أن أبا بكر هو الخليفة الشرعي للمسلمين يومئذ ، وإذن فهو وليهم المكلف بحفظ حقوقهم وأموالهم ، فإذا كانت الزهراء صادقة في رأيه ، ولم يكن في الناس من ينازعها فليس للخليفة أن ينتزع فدك منها .

وتحديد الحكم بالبينة خاصة إنما يحرم الحكم ولا يجيز انتزاع الملك من صاحبه . وإذن فعدم جواز الامتحان . محمد باقر الصدر

لا يخفف من صعوبة الحساب ولا يخرج الخليفة ناجحا من (1)حكم الحاكم على وفق علمه

) *هامش * (

(1)سنن البيهقي 144 - 143 : 10باب عدم جواز حكم القاضي بعلمه (*) .

.....تم .....